القضيّة العربيّة
في
الشّعر الكويتي

خليفة الوقيّان

القضية العربية

في

الشعر الكويتي

خليفة الوقيان

مقدمة

لم يحظ الشعر الكويتي بقدر كاف من الدراسات التي تبرز اهم ملامحه وخصائصه وتياراته . ولربما كانت المحاولات التي بذلت في الاونة الاخيرة بدايات تاريخية لها فضل السبق ومزيّة الريادة ، وهذا يعني أن الميدان ما يزال فسيح الصدر ، متسع الارجاء ، قادرا على احتضان مزيد من القادمين ، الذين ينشدون الكشف ويطمحون الى الاضافة .

ويتخذ هذا البحث من الشعر القومي مادته الاساسية وموضوعه الرئيسي لعوامل عدة ، من اهمها ان القضية العربية كانت وما تزال محور الاهتمام الاكبر ، وقد احتلت بسبب من ذلك مساحة كبيرة من ديوان الشعر الكويتي ، بحيث يمكن ان يعد البحث في هذه الدائرة معالجة للشعر في اوسع اغراضه واكثرها اهمية ، فضلا عن ان تفاعل الشعر الكويتي مع احداث الوطن العربي بدأ منذ فترة مبكرة تعود الى العقد الثالث من هذا القرن ، الامر الذى يجدر تسجيله ودراسته .

وكان لا بد من البدء بتمهيد تاريخي موجز للمرحلة التي شهدت بدء ظهور شعر الفصحى في الكويت . ولا يعتمد هذا التمهيد على جهود السابقين ، وما اوشك أن يستقر من قناعاتهم ، بل يحاول ان يدلي بتصور جديد ، مخالف في بعض جوانبه للاجتهادات السابقة .

وقد اقتضى الامر عرض الاراء التي وردت في المصادر حول الموضوع ، مع مناقشتها ومحاولة الخروج برأى مستقل معلل .

وعرض البحث لبواعث ومظاهر الوعي المبكر ، وقد اخذت بوادره في الظهور في مطلع القرن العشرين ، من خلال شيوع التذمر نتيجة توقيع معاهدة ١٨٩٩ بين بريطانيا والكويت ، وكان من أهم اثاره اقامة المجلس الاستشارى في عام ١٩٢١ . والمجلس التشريعى في عام ١٩٣٨ . ويلاحظ في هذا الصدد ان المصادر لم تتأن في عرض وتحليل احداث تلك الحقبة الدقيقة . بل كانت تعبر فوقها على عجل ، مخلفة وراءها كثيرا من التساؤلات . وكذلك لم يسلم الباحثون من الخلط بين المجلسين الاستشاري والتشريعي ، على الرغم من اختلاف طبيعتهما والظروف التي رافقت قيام كل منهما . ولعل ذلك يعود الى قلة المصادر واضطرابها في تناول الموضوع .

ويصور البحث اتساع افق التفاعل مع الاحداث العربية منذ بداية العقد الثالث من هذا القرن ، من خلال عرض نماذج موجزة تهدف الى التنبيه للغرض بأقل قدر ممكن من الشواهد ، حتى لا يترهل البحث ، ويستحيل معرضا أو متحفا للنصوص الطويلة ، وقد يكون في ذكر مصادر تلك الشواهد ما يرشد الراغب في الاستزادة الى النصوص الكاملة في مظانها .

ويلاحظ في هذا الصدد اهتمام الشعر بمتابعة احداث المنطقة العربية ، مع التنبيه الى مخاطر التفرق ، والحث على النضال في سبيل التحرر ، والتنديد بالاستعمار واعوانه ، والاشادة بالمناضلين ، والتعبير عن مشاعر الابتهاج بقيام الثورات التحررية ، فضلا عن الاهتمام بالدعوة للوحدة العربية منذ فترة مبكرة ، بدأت في منتصف العقد الثالث من القرن العشرين ، وامتدت الى ما بعد وقوع نكسة الانفصال .

وكان لا بد من الاشارة للمراحل التي مرت بها القصيدة القومية منذ كانت امتدادات أو استطرادا لقصائد المناسبات الدينية والاجتماعية ، الى حين استقلالها عن المناسبة ، ثم عن الحدث المباشر ، الذى كانت تلتصق به وتمثل الاستجابة العفوية لوقوعه .

وبالنظر لاهمية القضية الفلسطينية . ولكثرة وتنوع النماذج الشعرية التي عنيت بمتابعة مراحلها ، فقد اقتضى الامر افراد فصل مستقل لمعالجتها .

وقد واكب الشعر الكويتي الاحداث التي توالت منذ وقوع حادث البراق في عام ١٩٢٩ ، ونبه الى الاخطار المحدقة بفلسطين ، ودعا الى ضرورة النهوض لوقف الخطر قبل استفحاله ، واشاد بنضال الشعب العربي في فلسطين ، وبثوراته المتعاقبة ، وبخاصة ثورة ١٩٣٦ ، وخلد ذكرى الشهداء ، وندد بمن لم يؤمنوا بالقوة سبيلا الى الخلاص .

وكانت اساليب المعالجة تتأرجح بين الحماسة والتفاؤل والايمان بالامكانات العربية من جهة ، والقلق والشك واليأس من جهة اخرى ، وتلك نتيجة طبيعية لتقلبات الاوضاع ، واضطراب التوقعات ، وتباين التصورات .

ويصور البحث الخصائص الفنية العامة للشعر القومي في الكويت تصويرا منصفا بقدر الامكان ؛ اذ كان لا بد من النظر الى كثير من النماذج ، السامية في اغراضها ، والمتدنية من حيث قيمتها الفنية ، نظرة تعتمد الاعتدال والاتزان في الحكم ، دون افراط يعلي من قدرها الفني ، او تفريط يحط من قيمتها التاريخية .

والبحث لا يقف عند مرحلة معينة من تاريخ الشعر الكويتي ، ولا يقتصر على عدد محدد من الشعراء . ولكنه يسعى في سبيل رصد تيار الشعر القومي الى الاستعانة بكل ما يمكن ان يخدم هذا الغرض . وقد اقتضى الامر الاطلاع على كل ما يمكن ان تصل اليه اليد من نصوص الشعر الكويتي . وذلك بهدف انتقاء ما يتصل بالموضوع ، مع الحرص على الايجاز ، وتجنب التكرار والاكتفاء بما يرشد الى الظاهرة .

ولست املك في نهاية المطاف سوى التعبير عن بالغ الامتنان لاستاذى العالم الجليل الاستاذ الدكتور شوقي ضيف ، الذى منحني من توجيهاته ورعايته ما يسّر أمامي سبل العمل .

كما لا يفوتني ان اشكر اساتذتي الكرام اعضاء لجنة الحكم على هذا البحث المقدم لنيل درجة الماجستير ؛ الاستاذ الدكتور شوقي ضيف ، والاستاذ الدكتور عبد الهادى محبوبة ، والاستاذ الدكتور ابراهيم عبد الرحمن محمد ، الذين اوصوا بطبعه على نفقة الجامعة . وقد يكون من المناسب الاشارة إلى أن جامعة الكويت لم تقم بتنفيذ تلك التوصية .

والله ولي التوفيق .

الكويت في ٢٥ من ايار ١٩٧٤

خليفة عبد الله فارس الوقيان

الفصل الأول

ظهور شعر الفصحى في الكويت

(١)

حديث المصادر

في ظـل بيئة فقيرة ، متخلفـة ثقافيا ، يلهث السكان فيها خلـف لقمـة العيش الـتي تنتزع مـن بـين أشداق الطبيعـة انتزاعـا ، علينا أن لا نتوقـع ازدهـار فنون التعبير ، كالشعر وغـيره .

كانت تلك هـي حـال الكويت الى مـا قبـل منتصف القرن التاسع عشر ، فقسوة الطبيعة ، ونـدرة مـوارد العيش ، دفعتـا السكان الى قضاء معظـم أيـام السنة فـوق الامـواج ، بحثا عـن اللؤلؤ في موسم الغوص ، أو ارتحالا الى آفاق الارض الفسيحة لنقـل البضائـع في موسم « السفر » .

واذا بقـي ثمـة اهتمام باللغـة الفصحـى في مثـل هـذه البيئـة فانـه يكاد ينحصر – عـادة – في رجـال الديـن ، الـذيـن تملي عليهم طبيعة اختصاصهم الاهتمام بالعلوم الدينية كالفقـه والعلـوم اللغويـة كالنحـو والصرف .

وفي أفضل الاحتمالات لا نستطيع أن نتوقع غـير وجـود عـدد ضئيـل مـن الشعراء الفقهاء ، حالـت ظروف تخلّـف وسائـل النشر دون اتصالنـا بآثارهـم .

وقد صور المؤرخ عبـد العزيـز الرشيـد «١٨٨٣–١٩٣٨» تخلّـف الحركـة الفكريـة حينئـذ بقولـه « كانت الكويـت مـن نشأتهـا الى مـا قبـل عشريـن سنة غارقـة في بحـر الجمـود ، منغمسة في حمـأة التأخر ، ولا أثـر للحركـة العلميـة والفكريـة فيهـا»[١] .

ربمـا يكـون الرشيد متشائمـا مـن واقـع الحركـة الفكريـة بالأمس ، أو انـه ينظر اليهـا مـن خـلال تطلعاتـه وأفكاره النيّرة ، الـتي تتوق الى رؤيـة الواقـع في حال أفضل،ولكـن رأيـه يؤكـد – في الوقـت ذاتـه – أن الأمـر لم يكـن بالصورة المرجوة ، وقـد لا نتفـق معـه تمـامـا في قولـه انه لا أثـر للحركـة العلميـة والفكريـة الى مـا ق ا عشريـن سنة مـن تأليفـه « تاريـخ الكويـت »[٢] ؛ ذلـك أن الكويـت عرفـت

(١) عبد العزيز الرشيد – تاريخ الكويت – ص ٢٥٧

(٢) صدرت الطبعة الأولى من تاريخ الكويت سنة ١٩٢٦ .

قبل تلك الفترة عددا من علماء الدين وبعضا من الشعراء ، ولكن نشاطهم كان خافتا .

ولعل من المؤسف أن المصادر القديمة التي تعرضت لتاريخ الكويت ، والنشاط الفكرى فيها ، لم تعن بتحقيق بداية عهدها بالشعر . بل اكتفت بذكر بعض الشعراء واستشهدت بنماذج من آثارهم . وهذا ما فعله الرشيد ، الذي يُعدُّ المؤرخ الكويتي الاول ، حين بدأ الكلام عن معاصريه مثل صقر الشبيب ، خالد الفرج ، أحمد خالد المشارى ، مساعد الرفاعي ، حجي قاسم الحجي ، أحمد البشر ومنهم من لا يزال على قيد الحياة .

وأمام ندرة المعلومات المتصلة ببداية عهد الكويت بشعر الفصحى ، لا بد من المرور على أهم المصادر المحلية من كتب التاريخ والصحف وغيرها ، لعلنا نخرج بتحديد للبداية يقترب من الواقع .

يبدو أن عبد العزيز الرشيد لم يكن مقتنعا بوجود شاعر كويتي قبل عبد الله الفرج «١٨٣٦–١٩٠١» وان كان أغفل ذكره في تاريخه ، فقد بدأ بالكلام عنه في مجلته « الكويت » الصادرة في عام ١٩٢٨ ، وترجم لحياته في أربعة أعداد .

ويلي الرشيد من حيث الأهمية الشيخ يوسف بن عيسى القناعي «١٨٧٨–١٩٧٣» ، وهو أحد المهتمين بشؤون الثقافة ، ومن خلال تصفح كتابه « صفحات من تاريخ الكويت » ، نجده يفرد صفحات قليلة للحديث عن الشعر ، ومما قال في مقدمة حديثه إن عبد العزيز الرشيد تكلم عن « شعراء الكويت وادبائها ، فلا حاجة لاعادة ذكرهم ، وانما أراه ترك عددا من شعراء الكويت لهم المحل الأرفع ، ولم يذكرهم في تاريخه ، واليك البيان عنهم »[1] . يتضح من هذا القول أن الشيخ يوسف يتفق مع الرشيد حول من ذكرهم ولكنه يستدرك عليه ذاكرا من فاتته الاشارة اليهم . وحين نستعرض أسماء هؤلاء الشعراء نجد انهم أربعة . وهم :

عبد الله الفرج ، وحمود الناصر البدر ، ومحمد الفوزان ، والسيد عبد المحسن السيد عبد اللطيف الطباطبائي .

(١) يوسف بن عيسى القناعي : صفحات من تاريخ الكويت ص ٤٨

والذي يلاحظ أن حمود الناصر البدر ومحمد الفوزان والسيد عبد المحسن الطباطبائي من شعراء النبط الذين لا تعينا دراستهم . وان كان للأخير منهم بعض قصائد في الفصحى لم تصل الى أيدينا ، أما عبد الله الفرج فكان أسبقهم في الظهور ، أى انه أقدم شاعر تعرض له الشيخ يوسف ، وكأنه بذلك يتفق مع عبد العزيز الرشيد في البدء به .

ونترك هذين المؤرخين المتقدمين الى المؤرخين والكتاب المحدثين وعندئذ نلتقي بـ « عبد الله الحاتم » في كتابه « من هنا بدأت الكويت » ، والكتاب يعرض لأوائل الكويتيين في كل اختصاص أو فن ، مثل :

أول أمير ، أول قاض ، أول فلكى ، أول طيار ، وهكذا ، ولكن المؤلف حين أراد الكلام عن أول شاعر اختار صقر الشبيب ، الذى توفي في عام ١٩٦٣ ، على انه الشاعر الأكبر ، لا على أساس انه أول شاعر ، وبهذا أغفل البحث فيمن يمكن أن يُعدَّ أول شاعر عرفته الكويت .

وخلال كلامه عن أول شاعرة ، ذكر الشاعرة « موضي العبيدى »[1] ، التي رثت ابنها محمدا ، وهو أحد قتلى معركة الصريف في عام ١٩٠١ ، والشاعرة ممن ينظمون الشعر النبطي ، الذى لا يعنينا في البحث ، كما اننا نعرف من شعراء النبط من هم أقدم منها عهدا .

وإذا كان « راشد الفرحان » أغفل التعرض للحياة الفكرية في كتابه « مختصر تاريخ الكويت » ، فقد اكتفى « سيف مرزوق الشملان » في كتابه « من تاريخ الكويت » بذكر قصيدتين للشاعر صقر الشبيب في مدح محمد بن شملان أحد رجالات الكويت[2] .

ولم تعر الكتب التاريخية الاخرى الموضوع اهتماما ، اذ عنيت بالجانب السياسي فحسب .

وحين نتجاوز المؤلفات التاريخية الى غيرها ، فسوف نلتقي بكتاب الشيخ أحمد الشرباصى « أيام الكويت » وقد أفرد المؤلف فصلا ترجم فيه لعدد من

---

(١) عبد الله الحاتم – من هنا بدأت الكويت ص ٩١

(٢) سيف مرزوق الشملان – من تاريخ الكويت ص ٣٥٠ و ٣٥٦

شعراء الكويت وأورد نماذج من أشعارهم ، ولكنه لم يعن - كسابقيه - بتحقيق بداية عهد الكويت بالشعر .

ومثله فعل فاضل خلف في أحاديثه الاذاعية عن بعض الشعراء ، التي ضمها فيما بعد كتابه « دراسات كويتية » .

وحين نتصفح كتابات الصحف الكويتية القديمة مثل الكويت والبعثة وكاظمة والبعث والايمان والرائد ، فسوف نتبين أنها لم تهتم بتحقيق بدء ظهور شعر الفصحى .

ولعل المقالة التي نشرها خالد سليمان العدساني في « « سجل الكويت اليوم » سنة ١٩٥٦ هي الاولى من نوعها ، من حيث دقتها وشمولها ، فقد رجع ببداية الحركة الفكرية الى مطلع القرن العشرين ، وأعاد الفضل الى العلماء الذين زاروا الكويت في مستهل ذلك القرن ، مثل الشيخ رشيد رضا صاحب المنار ، والشيخ محمد الشنقيطي والشيخ حافظ وهبه[1] .

وتبقى ثمة اشارة عابرة لأحد الشعراء المتقدمين ، نشرت في مجلة البعثة الكويتية بتوقيع « شرقاوى » تكلم فيها عن الشاعر عبد الجليل الطباطبائي قائلا « اذا كنا نترجمه على أنه كويتي ، فقد كانت الكويت مثواه الأخير واختياره وترك بها أهلا وولدا وصهرا »[2] .

وبعد هذه الاشارة الخاطفة التي لا تجزم باعتبار عبد الجليل الطباطبائي شاعرا كويتيا ، نلاحظ أن المصادر سكتت عن التعرض لهذا الموضوع ، وبقي بدء عبد العزيز الرشيد بعبد الله الفرج خلال حديثه عن أعلام الشعر في الكويت ، وكذلك اشارة الشيخ يوسف بن عيسى القناعي اليه بمثابة اعتراف بكونه أول شاعر عرفته البلاد .

وفي كانون الثاني ١٩٦٧ نشر خالد سعود الزيد في مجلة « البيان » الكويتية مقالة ، عن عبد الجليل الطباطبائي ، ضمها فيما بعد كتابه القيم « ادباء الكويت في قرنين » وبذلك يكون خالد أول من جزم باعتبار عبد الجليل الشاعر الكويتي الأول ،

---

(١) سجل الكويت اليوم ١٩٥٦ - ادباء الكويت في قرنين ٢٦٤/١ ط٢

(٢) مجلة البعثة - آذار - ١٩٤٩ - تبين أن كاتب المقالة هو الاديب محمد ملا حسين

كما أنه أكد هذا الرأى في دراسته عن تاريخ الحركة الفكرية في الكويت التي جاءت ضمن كتابه آنف الذكر .

وقد تتبع المؤلف مراحل حياة عبد الجليل منذ ولد في البصرة سنة ١٧٧٦ حتى غادر البحرين الى الكويت في عام ١٨٣٤ ، كما تكلم عن نفسيته وشاعريته ، وذكر نماذج من شعره . أما دوره حين استقر في الكويت فقال عنه « لذلك كان مجيئ عبد الجليل فاتحة خير للمواهب الأدبية التي لم تتفتح ، أو التي هي في سبيلها الى أن تتفتح وتنطلق لتحقق وجودا أدبيا ، كان من قبل عدما أو ما يشبه العدم فبرزت وجوه أدبية في فترة وجوده ، وبعدها بقليل ، كان لها فضل السبق في وضع بذرة الأدب والفكر »[1] .

ويتضح من هذا القول أن خالدا يضيف الفضل في وضع بذرة الأدب في الكويت الى المواهب التي تفتحت خلال وجود عبد الجليل وبعدها بقليل ، أى أنه -كما يبدو- لا يجزم باضافة الفضل اليه، بقدر ما يعده فاتحة خير لتلك المواهب التي كان لها « فضل السبق في وضع بذرة الادب والفكر » .

وجاءت السيدة عواطف العذبي من خلال رسالتها عن الشعر الكويتي لتتوسع في بيان تأثير ذلك الشاعر ، بحيث سمته رائد حركة الاحياء في الشعر الكويتي.وعلى الرغم من قولها انه « يبدو للوهلة الاولى أن في اقحام اسمه في تاريخ الشعر الكويتي الحديث كثيرا من التعسف ومجانبة المنهج العلمي السليم[2] ، الا انها بررت ذلك بقولها « ولكنّا نحب أن نوضح منذ البداية أن اهتمامنا به يعود الى اعتبارات فنية تتصل بما يعرف من أنه كان رائد النهضة الثقافية في . الكويت[3] .

ولتوكيد هذه القناعة ذهبت الباحثة الى القول انه « على الرغم من قصر الفترة التي قضاها الطباطبائي في الكويت ، فانها كانت فترة تحول خطير في حياة هذه « الأمة »[4] ، اذا استطاع هذا العالم بفضل ثقافته الدينية واللغوية الواسعة أن يحدث تطورا في ثقافة الناس وأذواقهم ، حملهم على العناية بألوان

(١) ادباء الكويت في قرنين ١/٣٥ ط ٢ .
(٢) الشعر الكويتي الحديث ص ٤٥
(٣) المصدر السابق ص ٤٥
(٤) عدلت كلمة « الامة » في النسخة المطبوعة بعد وفاة المؤلفة فأصبحت « الشعب »

من المعارف القديمة التي لم يكونوا يعرفون عنها شيئا واضحا من قبل[1]» .

واشار الدكتور ابراهيم عبد الرحمن محمد في دراسته عن الشعر الكويتي الى « أن الطباطبائي شاعر عراقي ، وفد على الكويت في منتصف القرن التاسع عشر «١٨٤٣ م » . ولم يمكث بها سوى عشر سنوات ، غير أنه استطاع على الرغم من غربته عن هذه البيئة ، وقصر المدة التي عاشها فيها أن يلفت بعض ابنائها إلى الشعر القديم في لغته الصحيحة . وأن يحمل فريقاً منهم على اصطناع هذه اللغة الفصحى في أشعارهم »[2] .

وبعد فقد يكون من المناسب أن نتعرض لحياة ذلك الشاعر ، مع بيان حقيقة الدور الذى قام به . وذلك بعد أن أخذ الدارسون ينسبونه الى الكويت . وربما اسرف بعضهم في بيان دوره وتأثيره فيمن جاءوا بعده . على نحو ما نجد عند السيدة عواطف .

---

(١) المصدر السابق ص ٤٤

(٢) مجلة البيان الكويتية – تشرين اول ١٩٧١

(٢)

عبد الجليل البصرى « الطباطبائي »

تشير معظم المصادر العراقية التي اتصلنا بها الى أن اسم الشاعر هو « السيد عبد الجليل البصرى » نسبة الى مدينة البصرة التي ولد فيها ، ويتفق معها في هذه التسمية صاحب فهرس الأعلام[١] . وصاحب أعيان القرن الثالث عشر[٢] ، وغيرهما .

ولربما اشير اليه احيانا باسم « السيد عبد الجليل »كما جاء في « تاريخ الكويت » و « صفحات من تاريخ الكويت » و « من هنا بدأت الكويت » ، وكذلك في ديوانه طبعة بومباى ، وطبعة البحرين ، وطبعة دمشق .

أما اسمه الكامل فهو : السيد عبد الجليل بن السيد ياسين بن ابراهيم ابن طه بن خليل بن صفى الدين بنبه الطباطبائي الحسني .

وتجمع المصادر على أنه ولد سنة ١٧٧٦ في البصرة ، ولا يخالفها سوى كاتب مقدمة ديوانه الذى طبع على نفقة حاكم قطر ، حيث يذكر انه « ولد في قرية الزبارة »[٣] وهي احدى قرى قطر .

وجاء في "تاريخ الأدب العربي في العراق" أنه « أخذ العلم عن فضلاء البصرة ، وبرع وساد ، وأجاد في النظم والنثر ، وكانت له مراسلات مع الشيخ عبد الحميد بن القاضي عبد الله الرحبي ، والشيخ عثمان بن سند البصرى . . . كما كانت له علاقة أدبية مع ادباء نجد والحجاز والبحرين »[٤] .

واستشهد مؤلف « الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر » بعبد الجليل على انه الشاعر العراقي الوحيد الذى انفرد بتمجيد الوهابيين ، كما

---

(١) خير الدين الزركلي – فهرس الأعلام ٤٩/٤
(٢) خليل مروم بك – أعيان القرن الثالث عشر ص ١٧٨
(٣) روض الخل والخليل – ديوان السيد عبد الجليل – ص جـ . طبعة حكومة قطر
(٤) عباس العزاوى – الادب العربي في العراق – ٢٣٥/٢

أشار الى أنه أحد الشعراء العراقيين الذين امتدحوا داود باشا[1] والي بغداد .

أما مؤلف «الشعر العراقي – أهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر»، فقد عدّه نموذجا يمثل الاقليمية الضيقة التي كان يعيشها شعراء العراق في القرن التاسع عشر – حسب رأيه – واستشهد بقوله :

العيشُ طابَ وأسفرت أيامُهُ ... ببلوغ غايات المُنى والمقصدِ
سلطانُنا عبد المجيد ومن له الـ ... بأسُ الشديد وكلُّ مجد أتلدِ[2]

واذا ما اتجهنا الى قطر فسوف نرى القطريين ينظرون اليه واحدا من شعرائهم ؛ اذ جاء في مقدمة ديوانه « هذا ديوان السيد عبد الجليل الطباطبائي القطرى الموطن . . . وصاحب الديوان من شعراء البادية . . . ولد في قرية الزبارة وعاش فيها ردحا من الزمن ، وتزوج فيها زوجة أحبها وأحبته . . . ثم تعرضت الزبارة لاعتداء عن طريق البحر فرحل فيمن رحلوا ، وسكن العراق الجنوبي فترة من الزمن ، وقاسى في تلك الفترة مرارة الفراق وضيعة الحال ، فتغنى بالشعر في ذكر أحبابه ، حيث يقول :

ففارقت طيبَ العيش بعد فراقها ... ولا ساغَ لي يوما لذيذُ المشاربِ[3]

وذكر محب الدين الخطيب ، خلال عرضه لسيرة حياته أنه « عندما كان في السابعة والعشرين من عمره ، كان متوطنا بلدة الزبارة من شبه جزيرة قطر ، واتفق ان تغيب عنها في الشمال لتعهد مصالح له ، وترك في بيته بقطر أهله وولده فوقع عليهم الحصار من سلطان بن سعيد امام عمان[4] . ويقول الشاعر مشيرا الى تعلقه بالزبارة :

هواي « زباريٌّ » ولستُ بكاتمٍ ... هوايَ ولا مُصغٍ للاحٍ وعاتبِ

والحصار الذي تعرضت له الزبارة كان عن طريق البحر في عام ١٢١٧ هـ ، ١٨٠٢ م . وهي الفترة التي ذكر محب الدين الخطيب أن الشاعر كان متغيبا

(١) د . ابراهيم الوائلي – الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر ص ١٤٢و٢٣٣

(٢) د . يوسف عز الدين – الشعر العراقي أهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر ص ٤٧

(٣) ديوانه ص [illegible] طبعة قطر

(٤) المصدر السابق ص [illegible]

فيها لتعهد مصالح له في الشمال ، ويقصد العراق ، ذلك أن عبد الجليل كان كثير التردد على العراق لرعاية أملاك عائلته . ويتبين من هذا القول أنه استوطن الزبارة قبل عام ١٢١٧ هـ ١٨٠٢ م ، وبعد انتهاء الحصار عاد الى الزبارة ثانية ، وبقي فيها الى أن احتلها القائد السعودي سليمان بن طوق سنة ١٢٢٤ هـ ١٨٠٩ ، اذ أخذه أسيرا مع امرائها وأعيانها الى سعود بن عبد العزيز امام الدرعية .

وفي عام ١٢٢٥ هـ - ١٨١٠ م ارتحل الى البحرين مع من غادروا الزبارة بعد أن عفت معالمها وأمست اطلالا[1] .

وفي البحرين بقي الشاعر حتى عام ١٢٥٨ هـ ١٨٤٢ م ، وعين كاتبا لحكومتها ومثّلها « في المؤتمر الذى عقد بين امارات الخليج العربي وبريطانيا في « الشارقة » عام ١٢٣٥ هـ ، ١٨٢٠ م ، ووقّع نيابة عن الشيخ سلمان بن أحمد والشيخ عبد الله بن أحمد شيخي البحرين معاهدات الصلح المشترك بين بريطانيا وامارات الخليج العربي »[2] .

وطاب له المقام في البحرين فمكث فيها الى أن حدث الشقاق بين امرائها في عام ١٢٥٨ هـ ، ١٨٤٢ م وعندئذ اضطر الى الهرب منها ، حيث توجه الى الكويت ، واتخذها منذ ذلك الحين مقرا لسكناه .

ولعل المدة التي قضاها في البحرين ، والمنصب الكبير الذى تولاه ، مما يجيز للبحرين أن تدّعي نسبته اليها ، كما فعلت العراق ، خاصة أن تاريخ قطر والبحرين يمكن أن يعدّ تاريخا واحدا متصلا ، كما أن آل خليفة الذين حكموا الزبارة هم الذين حكموا البحرين ، وبهذا يمكن اعتبار مدة اقامته في الزبارة والبحرين واحدة ، وهي مدة طويلة تمتد من قبل عام ١٢١٧ هـ ، ١٨٠٢ م الى ١٢٥٨ هـ ، ١٨٤٢ م .

ويبدو من تتبع مراحل حياة الشاعر قبل وصوله الكويت ، ومن خلال الاطلاع على أشعاره ورسائله النثرية وما كتب عنه أنه كان كثير الصلات محبا للشهرة .

(١) ديوانه ص : ى طبعة البحرين . انظر ايضا : الشيخ محمد خليفة النبهاني التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية ١٣٢/٦

(٢) ادباء الكويت في قرنين ٤٤/١ ط٢ - وجاء في مقدمة ديوانه طبعة البحرين أن المؤتمر عقد في رأس الخيمة عام ١٨٢٠ م - ١٢٣٦ هـ .

ويعدّ ديوانه سجلا حافلا لحياته ، بما ضم من مدائح ومساجلات ومراسلات ، مع الامراء والولاة والأعيان ورجال الدين والعلماء ، في العراق ونجد والحجاز والاحساء والبحرين وعمان والشام .

أما في العراق فكان وثيق الصلة بالوالى داود باشا والوالي علي باشا ومحمد أفندى بن علي أفندى معاون والي بغداد ، وبكل من القاضي عبد القادر صبغة الله الحيدرى والسيد ياسين الخطيب البغدادى ، وبالشاعرين صالح التميمي وعبد الباقي العمرى .

وفي نجد توطدت علاقته بالامام سعود بن عبد العزيز وفيصل بن تركي وبالقائد سليمان بن طوق .

وفي الحجاز كانت له صلات ومراسلات مع الشريف محمد بن عون والي الحجاز والسيد حسين نقيب السادة ، وبكل من محمد أمين الزيلهلي وعبد الله سراج ومحمد بن زيني الشبيبي .

واتصل في الاحساء بالامير أحمد السديرى ، وبعبد الله بن محمد الاحسائي، ومحمد بن علي البغلي ، وابن عتيق الاحسائي ، وعبد الله ابن عثمان بن غريب .

وفي البحرين كان وثيق الصلة بالشيخ أحمد بن سلمان الخليفة ، والشيخ سلمان بن أحمد الخليفة ، والشيخ عبد الله بن أحمد الخليفة وغيرهم .

وكانت له مدائح في امام عمان ، ومحاورات مع شاعر الشام بطرس كرامه .

وبلغ به حب الشهرة واحتراف المديح حدا دفعه الى ارسال قصيدة الى أحد شاهات العجم ، لتنوب عنه في تمجيده ، وكان يكلف في بعض الأحيان بنظم قصائد المديح ، كما كان ينظم نيابة عن غيره ، كما فعل حين كتب جوابا على قصيدة وردت من الشاعر عبد الله بن عباس الصنعاني – ابن عم امام صنعاء – الى أحد أصدقائه ، فطلب ذلك الصديق منه أن ينظم نيابة عنه ردا عليها ، ففعل .

ومن طريف ما يدل على احترافه نظم الشعر أنه كتب مرة قصيدة

لأحد الشحاذين ليتكسب بها ، استجابة لطلب منه .

وبعد هذا كله نبحث في ديوانه عن اسم الكويت ، أو اسم أحد امرائها أو الأحداث التي جرت خلال اقامته فيها ، أو قبل مجيئه إليها فلا نجد شيئا من ذلك .

لقد قضى الشاعر فترة الخصب والعطاء من حياته متنقلا بين العراق وقطر والبحرين ، لذا عدّ شاعرا عراقيا في العراق ، وقطريا أو بحرانيا في قطر والبحرين وحينما بلغ من العمر مرحلة الشيخوخة والهرم[1] ، وجفت ينابيعه ، أحس بالحاجة الى الاستقرار والراحة والابتعاد عن الأجواء السياسية المتقلبة ، وعندئذ هداه تفكيره الى البحث عن بقعة ينعم فيها بالهدوء ، فاختار الكويت ليقضي على ترابها البقية الباقية من عمره الحافل بالتطواف .

ويتضح من رسالته الى أمير الاحساء أنه لجأ الى الحيلة كي يفر من البحرين ولولا نشوب الفتنة لما فارقها ، يقول « وبعدما أوقع الله بين ولاة البحرين ، وصاروا صفين في صفين ، وفارقها من هو في صدق الاخاء والوفاء بطين ، وفرّ منها كل هجّان وهجين ، اخترت منها النقلة ، وان كانت مثلة ، وأعملت سفينة الرحالة فمنعني ولاتها عن الارتحال ، ولم أفلت منهم الا بنوع من الاحتيال ، حرصا على اقامتي فيهم فاواخيهم ، ثم انى اتخذت الكويت دار اقامة »[2] .

ولم تمدنا المصادر الكويتية أو غير الكويتية القديمة بمعلومات كافية عن طبيعة أثر عبد الجليل في الشعر الكويتي ولعل ما قيل في هذا الجانب لا يجاوز ما جاء في « ادباء الكويت في قرنين » من أن مجيئه كان فاتحة خير للمواهب الأدبية التي لم تتفتح أو التي هي في سبيلها الى أن تتفتح . وفيما عدا ذلك فان دوره لم يجاوز تبصير الناس بما يشكل عليهم من أمور الدين .

وهذا لا يعني أنه كان مجهولا لدى المؤرخين الأوائل ، فقد ذكره عبد العزيز

---

(١) كان عبد الجليل في نحو السبعين من عمره حين اتخذت الكويت مقرا لسكناه .

(٢) ديوانه — ص ٢٦ طبعة قطر .

الرشيد خلال حديثه عن أهمية القهوة ، وسرد قصة ذهابه مع الشيخ عثمان ابن سند الى الشيخ حمود التامر الشبيبي ، شيخ المنتفق على شاطئ الفرات ، حيث دارت بين الاثنين مساجلة طريفة حول القهوة(١) .

وذكره عبد الله النورى على أنه أحد العلماء الذين كانوا يؤمون الناس ؛ وذلك في قوله « ولم تخل الكويت منذ وجدت من عالم يؤم الناس . ويرشدهم الى ما ينفعهم في دينهم ، ويصلح أحوال مجتمعهم وذكر من هؤلاء العلماء محمد بن فيروز ، الذى تولى القضاء والسيد عبد الجليل»(٢). أمّا عبد الله الحاتم فأشار اليه ، خلال عرضه لحياة رحمة بن جابر ، على أنه من أعيان الزبساره(٣) .

ومن خلال الاطلاع على ديوانه يتبين أن الفترة التي قضاها في الكويت كانت مجدبة بالقياس الى ما سبقها ، يضاف الى ذلك أن ما كتبه بعد انتقاله الى الكويت كان امتدادا لعلاقاته السابقة قبل مجيئه اليها ، ومثال ذلك قصيدته التي أرسلها في عام ١٢٦١ هـ ١٨٤٥ م الى أمير الاحساء أحمد السديرى ، وقصيدته الأخرى التي بعث بها في عام ١٢٦٥ هـ ١٨٤٩ م الى الأديب المكي عبد اللطيف الصحاف .

ولعل الكويت كانت خلال تلك الفترة في حال من التخلف، لا تناسب ما ألفه في البيئات الاخرى التي قضى في ظلها جلّ حياته ، لذا لا نجد من الاخبار ما يكفي لبيان طبيعة وحجم الدور الذى قام به .

ويبدو أن عواطف العذبي التي أيدت خالد سعود الزيد في اعتبار عبد الجليل الطباطبائي أول شاعر كويتي أسرفت في بيان أثره ، اذ سمته رائد حركة الاحياء الشعرى ، ورائد النهضة الثقافية في الكويت ، وبنت على هذا الأساس قناعات ونتائج تفتقر الى الدليل .

فقد ذكرت أنه « على الرغم من قصر الفترة التي قضاها الطباطبائي في الكويت ، فانها كانت فترة تحول خطير في حياة هذه « الأمة » اذ استطاع

(١) تاريخ الكويت ص ٢٧٣

(٢) عبد الله النورى : قصه التعليم في الكويت ص ١٧و١٨

(٣) من هنا بدات الكويت - ص ٤٥ الهمس .

هـذا العالـم بفضـل ثقافتـه الدينيـة واللغـويـة الـواسعـة أن يحـدث تطـورا في ثقافـة الناس وأذواقهـم ، حملهـم عـلى العنايـة بألـوان المعـارف القـديمـة الـتي لم يكـونـوا يعـرفـون عنهـا شيئـا واضحـا مـن قبـل »[1] .

مـن المسلـم بـه أن الحيـاة الفكـريـة في الكـويـت كانـت متخلّفـة أيـام الطباطبـائـي ، ولكـن ذلـك لا يعـني أن الناس لم يكـونـوا يعـرفـون عـن المعـارف القـديمـة ، مـن دينيـة ولغـويـة شيئـا واضحـا مـن قبـل .

واذا مـا سلمنـا بأنـه تصـدى لتبصـير الناس بامـور دينهـم لفـترة وجيـزة، فـلا بـد مـن التنويـه بـان الكويـت عرفـت قبـل مجيئـه جمهـرة مـن العلمـاء الـذيـن تـولـوا شئـون القضـاء،ومـن المتـوقـع أن يكـون لهـؤلاء العلمـاء أثـر في تبصـير الناس بشؤون دينهـم ، وحملهـم عـلى العنايـة بألـوان المعـارف القـديمـة . وكـان مـن أوائـل هـؤلاء العلمـاء القاضـي محمـد بـن فـيروز الـذى توفـي في الكـويـت سنـة ١١٣٥ هـ -١٧٢٢ م[2] ، أي قبـل وفـاة عبـد الجليـل بأكـثر مـن مـائـة وثـلاثـين عـامـا ، ذلـك أن عبـد الجليـل تـوفـي في عـام ١٢٧٠ هـ -١٨٥٣ م.

ومحمـد بـن فـيروز الـذى نقصـد هـو غـير محمـد بـن عبـد اللـه بـن فيروز الـذى ذكـر صـاحـب سبـائـك العسجـد أنـه تـوفـي في سنـة ١٢١٦ هـ ١٨٠١ م[3] ، والأخـير منهمـا هـو الـذى أجـاز عبـد الجليـل في ارجـوزتـه الـتي وجههـا اليـه في عـام ١٢١١ هـ -١٧٩٦ م[4] .

ردا عـلى طلبـه الاجـازة . وفي ذلـك يقـول :

في خمسةٍ من قبلها عشرون تَمْ ... يوم الخميس ما هنا من مُنْتَظمْ
من شهر شعبان لحادي عَشَرا ... مع مائتين بعدَ ألف حُررا
من السنينَ أي سنينَ هجرةِ ... أزكى الورى طرّا بغير مِرْيَةِ

(١) الشعر الكويتي الحديث ص ٤٤

(٢) انظر : قصة التعليم في الكويت ص : ١٥و١٨ - صفحات من تاريخ الكويت ص ٣٣ -من هنا بدأت الكويت ص ١٧ ، تاريخ الكويت ص : ٧٦

(٣) عثمان بن سند البصرى : سبائك العسجد في أخبار أحمد نجل رزق الأسعد ص ٩٩

(٤) ديوانه ص ٩١ طبعة بومباى . ص ١٠٥ طبعة دمشق . ص ٢٩٨ طبعه قطر

وذكر تاريخ الاجازة في مقدمة الديوان أيضا[1] .

واعتبرت السيدة عواطف الشاعر عبد الجليل استاذا لمن جاء بعده ، وأشارت في غير موضوع الى الشاعر عبد الله الفرج على انه تلميذه[2] . وفي بداية كلامها عن عبد الله الفرج بيّنت أن المصدرين اللذين تعرضا لحياته هما « مجلة الكويت » والمقدمة التي كتبها خالد الفرج لديوانه النبطي ، ولدى مراجعة هاتين الدراستين لا نجد أية اشارة الى اتصال عبد الله الفرج بعبد الجليل ، أو أية اشارة الى اسم عبد الجليل . وكذلك الحال مع المصادر الاخرى التي تناولت حياة الشاعر الفرج .

ومن المعلوم أن عبد الله الفرج « ولد في الكويت سنة ١٢٥٢ هـ - ١٨٣٦ م ونشأ في بومباى الهند في أحضان والده ، حيث الثروة والرفاهية والنعيم ، لأنه وحيد أبيه ، وتلقى دروسه في المدارس الهندية ، وتعلم العربية على اساتذة خصوصيين هناك »[3] واذا ما علمنا أن والده توفي سنة ١٢٧٠ هـ ١٨٥٣ م ، فلا بد أن يكون غادر الكويت الى الهند قبل هذا التاريخ حتى يصح بقاؤه في حضن والده هناك .

وحين نعلم أن عبد الجليل انتقل الى الكويت في عام ١٢٥٩ هـ - ١٨٤٣ م؛ أي حين كان عبد الله في السابعة من عمره ، فاننا نستبعد أن يكون التقى به بل لعله غادر الكويت الى الهند قبل وصول عبد الجليل .

ومن جهة اخرى نرى أن آثار عبد الله الفرج ، سواء في الشعر النبطى أو الفصيح تدل على صلته الواسعه بالأدب العربي ، كما أن تأثير اتصاله بالشعر العربى لم يقتصر على قصائده الفصيحة ، بل تعداها الى النبطية حيث نلمس في لغته اقترابا من الفصحى في مثل قوله :

ألا انعمْ أيها المعهود واسلم ... مدى الأيام ما ناحت حَمَامَهْ[4]

(١) ديوانه ص : د طبعة البحرين - وقد نفت السيدة عواطف وجود تاريخ الاجازة في الارجورة أو في مقدمة الديوان

(٢) الشعر الكويتي الحديث ص ٨٣-٨٨-٩٢

(٣) ديوان عبد الله الفرج ص ٨ط٢

(٤) ديوان عبد الله الفرج ص ١٣٣

وقولـــه :

هل الدار الا خافيات رسومها   وهل شاخص في الحي إلا رسومها [1]

والمفردات هنا فصيحة لا تحتاج الى تفسير ، يضاف الى ذلك أنه نظم المثال الأول من بحر الوافر ، والمثال الثاني من بحر الطويل .

ونلحظ أيضا آثار اطلاعه في مثل قوله :

نِدَبْتَه كما ينْدِبْ بالاشعار « طَرْفَه »   مرابيع « خولة » حيث قلبي لهم صافِ

وبي هيمةٍ « المجنون » « بالعامريّة »   وبي عبرة « الخنسا » على « صخرها » العافي [2]

وقد يلجأ الى تضمين أبياته النبطيه بعض المعاني الواردة في الشعر الجاهلي كقوله :

تبصّر خليلي هل ترى من ضعاينٍ   ترامت على البَيْدا سهيل يمُومْها [3]

. . . . . .

يفرّح حبايْ الماي حيزومْها بها   كما وصْف عوّام عليها يعومها [4]

ونخرج من ذلك الى أن عبد الله الفرج اتصل بمنابع الأدب العربي دون أن يلجأ الى وساطة عبد الجليل التي لم تثبت تاريخيا . وهذا يعني أن معاصريه أيضا وصلوا من حيث المستوى الثقافي الى حد يتيح لهم التعرف على تلك المنابع .

وقد قصدنا من هذا التفصيل الى مناقشة الاراء التي توسعت في بيان تأثير عبد الجليل في الحياة الفكرية ، والشعر خاصة ، وعدّت ذلك مبررا لاضافته الى تاريخ الشعر الكويتي ، والتنويه بدوره الرائد . ان هذا التأثير لو وجد لكان – تجاوزا – المبرر الأوحد لنسبته الى الكويت ، واعتباره واحدا من شعرائها ، على الرغم مما في ذلك الرأى من تعسف ظاهر .

(١) المصدر السابق ص ١٢٧

(٢) لمصدر السابق ص ٨٩

(٣) ضمّن هذا البيت شطرا من قول زهير في معلقته :

تبصر خليلي هل ترى من ضعائن   تحملن بالعلياء من فوق جرثم

مع تسهيل همزة ضعائن .

(٤) ديوان عبد الله الفرج ص ١٢٧ ط٢ – ويلاحظ أنه أخذ المعنى من قول طرفة في معلقته ·

يشق حباب الماء حيزومها بها   كما قسم الترب المفايلُ باليد

وحيث أن الشاعر ولد في العراق ، وعاش مراحل حياته الخصبة متنقلا ما بين العراق وقطر والبحرين ، فان نسبته الى تلك الأقطار أو الى واحد منها ستكون أصدق من نسبته الى الكويت .

لذا يجدر عند الرغبة في الكلام عن الرواد الأوائل للشعر في الكويت، أن نبحث عمن عاشوا فيها فترة كافية لأن تظهر تأثيرهم فيمن اتصلوا بهم أو جاؤوا بعدهم .

وعلى الرغم من أن عبد الجليل كان شاعرا عربيا معروفا لدى الكويتيين ، فقد عرفوا معه عددا آخر من مشاهير عصره ، وهو بذلك يشبه حال من كانوا يكثرون التردد على الكويت ، أو يطيلون الاقامة فيها أحيانا ، وقد عرفت البلاد في تلك الفترة عددا من الشعراء ، نذكر منهم شاعر العراق الكبير عبد الغفار الأخرس ، وهو معاصر للطباطبائي ، وكان كثير التردد على الكويت ، بل لعل صلاته بأهلها تجاوزت صلات عبد الجليل ، ونلمس ذلك في مدائحه لبعض أعيانها كقوله في مدح يوسف البدر ويوسف الصبيح :

إنَّ الكويتَ حماها الله قد بلَغت ... باليوسفين مكانَ السبعةِ الشُهبِ[1]

و يجدر التنبيه الى أن أحمدَ بنَ عبد الجليل الطباطبائي هو الذى كان ذا تأثير فيمن عاصروه ؛ إذ تتلمذ عليه كثير من الكويتيين حين « تصدى للتدريس نحو عشرين سنة ، ولم ينقطع عنه الا بمرض موته »[2] . وكانت وفاة احمد عبد الجليل في عام ١٢٩٥ - ١٨٧٨[3].

(١) تاريخ الكويت ص ٧٨
(٢) صفحات من تاريخ الكويت ص ٤٢
(٣) قصة التعليم في الكويت ص ١٨

(٣)

بدء ظهور شعر الفصحى :

ليس من المحتّم أن تنجب الكويت في مرحلة مبكرة ، وفي ظروف ثقافية متخلفة علما بارزا ، يكون له أثره الواسع ، ويؤدى وجوده الى ميلاد مدرسة تقتفّي أثره ، وتلاميذ يسلكون نهجه .

كما أنه ليس من المقبول أن نلتمس الأسباب لاستعارة أحد الأسماء البارزة في المنطقة ، كي يسهل فيما بعد قيامه بالدور الذى قام سواه بتأديته، في مناطق عربية اخرى لها ظروفها المغايرة ، فنجعل منه رائدا ،كما نضطر الى البحث عن تلاميذ ننسبهم قسرا الى مدرسته .

ومن المؤكد أن التكلف في اعتماد الاعتبارات الفنية ، والتعسف في اللجوء الى التقسيمات الرياضية ، في تتبع سير حركة الفكر مما يجانب الحقيقة ، ويبتعد بالباحث عن رؤية الواقع ، ويحصره ضمن اطر أعدّت سلفا كي يتّم فيما بعد ملئ فراغاتها .

وعلى هذا نرى أننا اذا ما أسقطنا عبد الجليل الطباطبائي من تاريخ الشعر في الكويت ، لعدم قيام دليل تاريخي أو موضوعي يبرر بقاءه ، فان ذلك سيؤدى الى التحرر من السير ضمن الاطر الجاهزة ، وبهذا يسهل النظر الى واقع الشعر الكويتي كما هو ، وليس كما نحب أن يكون ، صورة مماثلة لما هو قائم في أقطار عربية أخرى لها ظروفها المغايرة .

وحين نعود الى ما نقلته المصادر القديمة من أخبار وآثار الشعراء ، فسوف نتبين أن الشعر النبطي بقي الفن المسيطر ، والاداة المناسبة للتعبير عن القضايا والاهتمامات المحدودة للمجتمع العربي في الكويت ، حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، حين بدأ شعر الفصحى يشق طريقه ببطئ ، ولعل أول من عرف من شعراء الفصحى خالد عبد الله

العدساني المتوفى سنة ١٣١٦ هـ -١٨٩٨ م ، وعبد الله الفرج المتوفى سنة ١٣١٩ هـ - ١٩٠١ م ، فقد وجد الاثنان في فترة زمنية واحدة ، وكانت بينهما صداقة متينة نرى من مظاهرها رثاء عبد الله صديقه العدساني ، حين سبق اليه القضاء .

والفارق الزمني بين وفاة كل منهما - وهو ثلاث سنوات - لا ينهض مبررا لتقديم العدساني على الفرج ، لكن الشهرة الكبيرة التي نالها الفرج ربما تكون مبررا يمكن اعتماده لترجيح أهميته على صديقه .

جاء في مجلة الكويت لعبد العزيز الرشيد عند الحديث عن عبد الله الفرج أنه « مضى لهذا الفاضل رحمه الله وقت في الكويت لا يسمع الا صوته ، ولا يرجع الا الى رأيه في الأدب والشعر حتى لا يعد غريبا اذا قيل أنه كان شاعر الكويت وأديبها يوما ما وهو في النبطي أشعر منه في العربي ، وقد يصح أن يكون هو الشاعر العربي الوحيد في أيامه ، اذ لم نعرف شاعرا اذ ذاك كان في وسعه أن يجاريه »[1] .

وآثار هذين الشاعرين تمثل بصدق طبيعة النشاط الفكري في البيئة الكويتية.وتعبر عن الواقع كما هو في تلك المرحلة المبكرة ، حيث تتطور فنون التعبير بصورة بطيئة ، تناسب ركود الحياة الثقافية والسياسية والاجتماعية ، وبعدها عن الهزات والأحداث المصيرية .

ففي النصف الثاني من القرن التاسع عشر أخذت صلات الكويتيين بجيرانهم في العراق والخليج العربي في النمو ، نظرا لتزايد أهمية الكويت ، كما اتسع حجم اتصالهم - وسطاء في النقل البحرى - بأقطار العالم ، مثل الهند ، التي كانت تضم جمهرة من العلماء المهتمين بعلوم العربية . ويكفي أن نعلم أن الشاعر عبد الله الفرج تلقى علومه العربية في الهند ، كما كانت له علاقات وثيقة بمشاهير رجالات العراق ، يدلنا على ذلك قصيدته في مدح رجب النقيب ، نقيب الاشراف في البصرة ، وقصيدته في تقريظ كتاب « الآيات البيّنات » للسيد عبد الوهاب بن السيد أحمد

---

(١) مجلة الكويت ج ١-١٣٤٦ هـ

الموسوى النقشبندى ، ورثاؤه لناصر باشا السعدون ، وقاسم الزهير وصالح الزهير ، وتأريخه لبناء بيت أحمد بن ياسين في أبي الخصيب بالعراق »[1]

ومن جهة ثانية نجد في اشعار خالد عبد الله العدساني الصورة الحقيقية لطبيعة المشكلات ، أو الاهتمامات البسيطة التي كانت تشغل سكان تلك البقعة الصغيرة ، البعيدة عن معترك الأحداث ، من ذلك قصيدته في الدبى :

اللهُ أكبرُ كيف القُمَّلُ الضُعَفا — آذى الانامَ ومنه الزرعُ قد تَلفا
وصيَّرَ الأرض بَيْضًا لا نباتَ بها — كأنه لم يكن فيها وما عُرفا
قد جاء كالسيل يَعْدو ليس يمنعُه — شيءٌ فما ملَّ من شيْ ولا وَقَفَا[2]

ومن حيث القيمة الفنية ، نرى أن أشعار العدساني والفرج تمثل بصدق أيضا طبيعة تلك المرحلة التي نتوقع أن يكون الشعر فيها متخلفا ، يخطو ببطء ؛ اذ تثقله الصنعة ، ويسلبه الافراط في استخدام المحسنات البديعية الحياة والحرارة .

ونلمس ذلك جليا في اهتمام عبد الله الفرج بتأريخ بعض الأحداث والمناسبات وافراطه بذكر التاريخ في كل شطر احيانا ، مثل قوله مؤرخا بناء بيت أحمد بن ياسين في سنة ١٣١٠ هـ :

رُبَ فضلٍ كأحمدٍ ليس يُجحد ١٣١٠ — فابن ياسين فاضلٌ عُدَّ يُحْمَدْ ١٣١٠
بدرُ أفقِ العلا سرى يتسامى ١٣١٠ — للفخارِ الحفي مع كلِّ سؤددْ ١٣١٠[3]

ومن أمثلة الجناس قوله :

لقد ذكر العتيقُ فهام وجداً — ولولا الوجدُ ما ذَكَرَ العقيقا
فساقَطَ منه خاتَمُهُ الدراري — على العافي ونرجسُه العقيقا
غزال ما الحريق بوجنتيه — بمحرِقها ولو سكنَ الحريقا
عجبت بخدّه نارٌ وماءٌ — وذلك منه ما يطفي الحريقا[4]

(١) مجلة الكويت ج ٤و٥ – ذو الحجة ١٣٤٦ ومحرم ١٣٤٧ هـ
(٢) دماء الكويت في قرنين ٥٦/١ ط٢
(٣) مجلة الكويت ج ٤و٥ – ذو الحجة ١٣٤٦ ومحرم ١٣٤٧ هـ
(٤) مجلة الكويت ج ٢و٣ – شوال وذو القعده ١٣٤٦ هـ

وآثار هذين الشاعرين اللذين وجدا في فترة زمنية واحدة هي الجديرة بحق بأن تكون أول ما وصلنا من شعر الفصحى ، وعندئذ نستطيع القول ان الشاعرين خالد عبد الله العدساني وعبد الله الفرج هما أقدم من عرفنا من شعراء الكويت .

ومنذ ذلك الحين أخذ عدد شعراء الفصحى في التزايد . وفي كتاب « ادباء الكويت في قرنين » قائمة باسماء هؤلاء الشعراء، الذين رتبوا حسب تواريخ ميلادهم .

وان كانت ثمة حاجة الى تقسيم تاريخ الشعر في الكويت الى مراحل ، بغية تبين الأطوار التي مر بها ، فلعل من الجائز أن نقول بكلمة موجزة انه مرّ بمراحل ثلاث ، مع الاعتراف بصعوبة وضع حدود زمنية دقيقة ترسم سير حركة الأدب نظراً لتداخل المراحل .

المرحلة الأولى

وتمتد من النصف الثاني للقرن التاسع عشر – بدء ظهور شعراء الفصحى – الى العقد الثاني من القرن العشرين . وحيث أن هذه الحقبة تتسم بالتخلف ، وبعد البلاد عن المؤثرات الثقافية ، لذا كان الشعر خلالها مثقلا بالصنعة والتكلف ، من حيث الشكل ، محصوراً من حيث المضمون في دائرة ضيقة ، لا تجاوز أغراض الشعر العربي في عصور الانحطاط . ولعل قصائد عبد الله الفرج «١٨٣٦-١٩٠١» بأساليبها المزركشة ومضامينها الفجة خيرُ عنوان لتلك المرحلة المتخلفة .

المرحلة الثانية

وتبدأ مع مطلع العقد الثالث من القرن العشرين حين عرفت البلاد التعليم النظامي ، كما أنشئت أول مكتبة أهلية ، وأقيم أول ناد أدبي ، وصدرت أول صحيفة كويتية ، وبدأ الكويتيون بالتعرف على الصحف العربية ، وبخاصة العراقية والمصرية .

وتمتد هذه المرحلة حتى نهاية العقد الرابع من هذا القرن ، ويعد فهد العسكر « ١٩١٧-١٩٥١ » من أظهر أعلامها ، وان كان بروزه في نهايتها .

وقـد حظـي العسكـر بعنايـة فـائقـة مـن قبـل دارسي الشعـر الكويـتي ، وأضيـف اليـه مـن الفضـل مـا يجـاوز حقيقـة الـدور الـذى قـام بـه ، لأسباب عـدة ، منهـا ظـروف حياتـه الخاصـة ، ومـا لاقـى مـن عنت ومشقـه ، فضلا عـن احتجابـه المبكـر . الامـر الـذي وسـم نظـرة دارسيـه بطابـع العطـف والحب ، ثـم تـوافـر فـرص الاطـلاع عـلى نماذج مـن شعـره منـذ عـام ١٩٥٦، عندمـا صـدر كتـاب « فهـد العسكـر حياتـه وشعـره » عـلى حين لم تنشر المجـاميع الشعريـة لبعض معاصريـه حتى اليـوم .

وفي هـذا الصـدد نـرى ان فهـد العسكـر يمكـن أن يعـدّ احـد ثـلاثـة من الشعـراء الكـويتـيين الـذيـن يجمـع بينهـم نهـج متقـارب في النظـم . وإن تفاوتت أعمارهـم ، ودرجـة ذيـوع اشعارهـم ، وهـم عبـد اللطيف النصـف وكـان أسبـق الثلاثـة في الظهـور، إذ ولـد في عـام ١٩٠٦ ، ولكنـه كـان مقـلا وعـازفـا عـن النشر ، عـلى الرغـم مـن متانـة نسيجـه الشعـري . وثـانيهـم عبـد المحسن الـرشيـد ، الـذى ولـد عـام ١٩٢٨ . وهـو يعـانـق العسكـر مـن جهة سلاسة الصياغـة ومتانة السبـك ، وإن كان ينافسـه من ناحيـة عمـق الفكـرة . ولكـن مجيئـه في اعقـاب ذيـوع شهـرة فهـد العسكـر كـان سببـا في خفـوت ذكـره ، وبقـائـه بعيـداً عـن دائـرة الضـوء .

امـا الشاعـر الثـالـث فهـد العسكـر فقـد نـال مـن الشهـرة حظـاً جعلـه يطغـى عـلى زميليـه النصـف والـرشيـد ، بـل لقـد تجـاوز ذلـك حـين شغـل انظـار دارسي الشعـر الكويـتي عـن الالتفـات الى الشاعـر احمـد العـدواني ،الـذى كـان يمـارس في نهايـة تلـك الحقبـة حفـر قنـوات جـديـدة للشعـر الكـويـتي ، ويقـدم نمـاذج مغايـرة في التجديـد ، لم يألفهـا معاصـروه أول الامـر .

المرحلة الثالثة

وتبـدأ مـع انـدلاع الحـرب العالميـة الثانيـة ، الـتي أيقظـت المشاعـر ، وهزت واقـع الـركـود ، يضـاف الى ذلـك ما تميزت بـه تـلك الحقبـة مـن جهـة « تـدفق المـد القومـي وتوثـق الصـلات بـين الشعب العـربـي »[1] .ومـا نتـج عـن ذلك مـن اتساع ميـاديـن التعـاون والتبـادل الثقـافي .

---

(١) أنظر أدباء الكويت في قرنين ١/٣٨ ط ٢

وظهر خلال تلك الفترة عدد كبير من الشعراء الذين ساهموا في تطوير أغراض الشعر وأساليبه ، ومنهم من لا يزال يساهم في العطاء ولعل أبرزهم أحمد العدواني .

أما الشعراء الشباب الذين بدأوا في الظهور منذ سنوات ليست ببعيدة ، فيمكن أن نعدّهم امتدادا متطورا لشعراء هذه المرحلة الثالثة ، ولعل من السابق لأوانه القول بأنهم يكونون مدرسة أو مرحلة مستقلة،لها سماتها وخصائصها ، ذلك أن تأثرهم بتيارات التجديد التي يشهدها الشعر في البيئات المتقدمة ما يزال بطيئا ، وان هم أفادوا منها افادة جزئية .

وتجدر الاشارة إلى أن التيار المحافظ في الشعر الكويتي ما يزال يقف الى جانب التيار المجدد ، ويمكن القول إنهما « يعيشان جنباً الى جنب في أحدث نماذج هذا الشعر ، لم يستطع احدثهما ان يقضي على اقدمهما على الرغم مما طرأ على الفن الشعرى ذاته ، والحياة العربية في الكويت وغير الكويت من الأقطار العربية الأخرى من تطورات حضارية وثقافية »[1]

(١) الدكتور ابراهيم عبد الرحمن محمد – مجلة البيان تشرين أول ١٩٧١

الفصل الثاني

الوعي السياسي.. بواعثه وآثاره

(١)

بوادر الوعي :

كان من المتوقع أن تبقى الكويت الى فترة طويلة ، بعيدة عن الأحداث المصيريبة والهزات الاجتماعية والسياسية الحادة ، التي تغير أساليب الحياة وأنماط التفكير، نظرا لحداثة نشأتها ، وقلة عدد سكانها ، وصغر حجمها ، وتخلفها الثقافي .

واذا كانت تلك هي الحال حتى أواخر القرن التاسع عشر ، فقد حمل العقد الأول من القرن العشرين ارهاصات التغيير ، وتجاوز واقع الركود والاستقرار ، ويعود ذلك لعدة عوامل ؛ داخلية،وخارجية وهي الأكثر أهمية . ولعل من أبرز العوامل الخارجية ازدياد حدة الصراع الدولي على منطقة الخليج العربي عامة ، والكويت بصفة خاصة،ومن مظاهر ذلك الصراع :

١- سعي المانيا الى أن يكون لها مرفأ في الخليج العربي ، من خلال مد خط سكة الحديد الى كاظمة في الكويت .
٢- اهتمام الحكومة الروسية بالحصول على ميناء في سواحل الخليج العربي لخزن الفحم الحجرى .
٣- حرص بريطانيا على اتمام سيطرتها على الخليج ، حيث أنها ارتبطت مع امرائه بمعاهدات الحماية ، ولم يبق سوى الكويت . وقد تم لها توقيع معاهدة مع شيخها في عام ١٨٩٩ ؛ أى أن الصراع الدولي اتجه نحو الحسم لصالحها بتوقيع تلك المعاهدة .

وسواء جاء توقيعها نتيجة رغبة والحاح من الشيخ مبارك ، كما تذهب معظم المصادر . أو أنه تم تنفيذا لخطة بريطانيا في اتمام سيطرتها على الخليج بأكمله ، وخاصة بعد اشتداد حدة الصراع الدولي ، فالمرجح أن ميول مبارك نحو بريطانيا بدأت تتضح منذ بداية عهده ، ان لم نقل انه لجأ الى قتل أخويه « محمد وجراح » اللذين سبقاه في الحكم ، بهدف تقويض النفوذ العثماني ، ولعل ذلك الانقلاب كان بتشجيع من بريطانيا ؛ فالمعروف أن الشيخ محمد «كان قد قبل لقب قائمقام ، الممنوح

من قبل الاتراك لعبد الله بن صباح ، شيخ الكويت في الفترة بين «١٨٦٦-١٨٩٢» كما أنه أوكل مقاليد السلطة في مشيخته الى يوسف بن عبد الله الابراهيم ، الذى كان مواليا لتركيا »[١] .

ويضاف الى ذلك أن الشيخ محمد رفض محاولات الحكومة البريطانية استمالته ، كي ينضم الى جانبها ، حينما « منعت الدولة العثمانية السفن البريطانية من ارتياد مياه الخليج الشمالية ، ورفضت أن تكون لهم صلات تجارية مع أي جزء من ممتلكاتها التي في الخليج »[٢]

ويمكن أن نضيف الى ما سبق ذكره عاملا داخليا يتمثل في لجوء مبارك الى التفرد بالسلطة ، خلافا لسابقيه من الحكام ، الذين كانوا يعتمدون مبدأ الشورى ، واشراك وجهاء القوم في كل ما يمس مصير البلاد .

ومن جهة أخرى تميز مبارك بصفات ان لم نقل انها أدّت الى ابتعاد الناس عنه ، واضمارهم معارضته ، فمن المؤكد أنها لم تقم بين الطرفين جسرا للمحبة والتعاون .

وذكر الرشيد من « أخلاق مبارك المذمومة » أنه «كان جبارا غشوما ظلوما ، وكان من المستبدين الجائرين ، شغوفا بجمع المال وشديد البحث عن الطرق التي توصل اليه حتى كان يرهق بعض الجناة من رعاياه بضرائب فادحة وحتى اخترع رسوما مستمرة ، فمن زيادة في المكوس ، الى مشاركة في الأملاك والعقارات بل كان حظّه أحسن من حظ الشريك ، فله ثلث ما بيع وأُجرَ من كل عقار ، ولو تكرر ذلك في اليوم مرات ، وكان ذا مكر وخداع ومراوغة . . . »[٣]

لم يكن من اليسير أن يمر التحول عن مبدأ الشورى . والانفراد بتوقيع معاهدة سنة ١٨٩٩ ، وتفوق النفوذ البريطاني ، والاستبداد المحلي،دون أن يترك أثرا في النفوس . وبدأت بذور المعارضة في النمو ، على الرغم مما عرف عن مبارك من قسوة في الرد على خصومه أو معارضيه .

(١) د . حسن الابراهيم : الكويت . دراسة سياسة ص ٤٤
انظر أيضا : حسين خزعل - تاريخ الكويت السياسي ١٣٨/١
(٢) حسين خزعل : تاريخ الكويت السياسي ١٥٢/١
(٣) تاريخ الكويت ص ١٨٩

ومما ساعد على نمو المعارضة كون الدولة العثمانية تمثل في نظر العامة السلطة الدينية للمسلمين ، بحيث لم يكن من المستساغ أن تأتي على أنقاضها السلطة البريطانية غير المسلمة ، ويضاف الى ذلك أن النفوذ العثماني في الكويت كان اسميا ؛ أى أن الكويتيين لم يعانوا ما عانته الأقطار العربية الأخرى نتيجة الاحتلال العثماني .

ومهما تكن الأقوال عن حركة يوسف الابراهيم ، الذي أقضّ مضجع مبارك بمحاولاته الدائبة اسقاط حكمه ، فانه لو لم يكن موقنا بوجود من يناصر اتجاهه العثماني داخل الكويت لما استمر في صراعه مع مبارك ، وتحالفه مع خصومه ، حتى الأيام الأخيرة من حياته . ثم أن جهود مبارك الكبيرة لتعطيل مؤامرات يوسف الابراهيم واحباط مساعيه تدل على أنه كان يشكل خطراً حقيقياً على سلطته .

فقد اتخذ يوسف الابراهيم من مقتل محمد وجراح قميص عثمان ، وسعى الى طلب العون للأخذ بثأرهما . واتصل بكل من والي البصرة العثماني ، وابن الرشيد أمير حائل ، وحاكم قطر ، كما جهّز حملة لغزو الكويت ، ولكنه أخفق في الوصول الى غايته . ولم يكن يوسف بذلك المغامر الذي لا يقدر مغبّة اقدامه على مثل تلك المحاولة ، لو لم يضمن قدرا من التأييد الداخلي لعودته مع أبناء القتيلين وبمعني آخر عودة السيادة العثمانية .

ولا نريد أن نحمل المحاولة الانقلابية لصقر الغانم – قائد جيوش مبارك – فوق ما تحتمل ، مادامت المصادر لم تعط عنها أية تفصيلات تكشف دوافعها وأغراضها والقوى التي ربما استترت وراءها ، بل اكتفت بالاشارة الى اخفاقه في تحقيق الانقلاب ، ومن ثم القبض عليه ، وسمل عينيه من قبل مبارك .

واذا ما تركنا هاتين المحاولتين الانقلابيتين الى وجوه العصيان المدني فسوف نرى أن مبررات ذلك العصيان تدور حول معارضة الكويتيين لسياسة مبارك الموالية للانجليز .

فبعد احتلال الانجليز للبصرة اشتعلت الثورة ضد الشيخ خزعل حاكم عربستان لمساعدته أعداء الدولة العثمانية . « ودامت مدة خشي خزعل من شرها ، ولم يفت مبارك ما كان يخافه ويخشاه ، فأراد أن يمده بجند من الكويتيين يشد ساعده بهم ، ولكن الكويتيين وقد علموا أنهم سيقاتلون اخوانهم ، أظهروا العصيان وجاهروا بالامتناع ، لاسيما والعلامة المحدث الشيخ محمد الشنقيطي والشيخ حافظ وهبه المصري إذ ذاك كانا يطوفان بالمجالس ، ويغشيان الأندية ، لتحذير الناس من الطاعة ، وأن من انقاد فقد حكم عليه

بالارتداد عن الدين »[1] ، وهذا قد يعني أن الكويتيين استغلوا تلك المناسبة لإعلان عدم موافقتهم على سياسة مبارك .

وتدلنا وقائع استجواب مبارك لكل من محمد الشنقيطي وحافظ وهبه على طبيعة ذلك العصيان الذي كان موجها ضد التقارب مع الانجليز .

فقد استدعى مبارك الشيخين المذكورين ، بحضور القنصل الانجليزي في الكويت وقال لهما « أنا مسلم عثماني ، أغار على ديني وعلى دولتي ، ولا أحب من يتعرض لهما بسوء ، غير أني اتفقت مع الانجليز على أمر فيه نفع لي ولبلادي[2] .

وللدلالة على اتساع رقعة التذمر من سياسة مبارك الموالية للانجليز ، نجده يقول ، في استجوابه للشيخ حافظ وهبه المصري « ان أبناء المدارس في الكويت يجهرون في الشوارع والأسواق بذم الانجليز ومدح الألمان »[3] .

ويمكن أن نتخذ من هجرة كبار التجار الكويتيين إلى البحرين مثالا لوجه آخر من وجوه التذمر والمعارضة ، وعلى الرغم من أن المصادر تعيد هجرتهم الى أسباب لا تجاوز حدود سوء المعاملة التي تعرضوا لها ، الا أن الذي يهمنا في هذه الواقعة وغيرها هو الاشارة الى بذور المعارضة . وبداية مساهمة المواطنين في ابداء الرأي فيما يتصل بسلوك السلطة ، سواء على الصعيد المحلي أو الخارجي .

ولعل محاولات مبارك المتكررة لاسترضاء التجار ، كافية للبرهنة على أهمية ذلك الحدث بالنسبة لسياسته . يضاف الى ذلك تسليمه بالرأي القائل ان آثارا اقتصادية سيئة سوف تنجم نتيجة هجرة اولئك التجار الكبار من أمثال هلال المطيري وشملان بن علي وابراهيم المضف ، لذا نجده يسارع الى إرسال الوفود لاسترضائهم ، ويضطر في النهاية الى الذهاب بنفسه استجابة لطلبهم .

وليس ثمة حاجة الى البحث عن الأسباب البعيدة ، أو الدوافع السياسية أو الاقتصادية التي ربما كانت وراء تلك الحادثة ، ولكن سعي مبارك الى تطويق الأزمة قد يعكس احساسه باحتمال اتساع رقعة المعارضة ، وضرورة تنازله عن قدر من التصلب لمعالجة الأمر قبل استفحاله .

---

(١) تاريخ الكويت ص ١٧٤ ، ١٧٥

(٢) المصدر السابق ص ١٧٦

(٣) تاريخ الكويت ص ١٧٦

ويمكن اجمال أسباب التململ الشعبي المبكر الى عوامل عدة منها :

١ – العاطفة الدينية التي مسّت بلجوء مبارك الى التحالف مع الانجليز .

٢ – انتهاكه مبدأ الشورى ، الذي اعتمد أساسا للحكم ، وتفرده في انفاذ ما يراه ، مثل توقيعه معاهدة ١٨٩٩ ، دون استشارة وجهاء القوم .

٣ – التأثر بالدعاية الألمانية قبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى .

٤ – لجوء مبارك الى زج الكويتيين في حروب لم يجنوا منها غير الخسائر والأحزان ، ارضاء لنزعاته وطموحه ، وخير مثال لذلك ما تكبده الكويتيون من خسائر فادحة في موقعة الصريف سنة ١٩٠١ .

٥ – وعي أصحاب رؤوس الأموال بقدرتهم في التأثير على الواقع المحلي ، بما لهم من ثقل اقتصادي كبير .

٦ – الجهود التي بذلها المصلحون الأوائل من أمثال الشيخ محمد الشنقيطي والشيخ حافظ وهبه المصري لتوعية المواطنين،وتنبيههم الى ضرورة معارضة ما لا يتفق مع مصالحهم وميولهم .

٧ – المؤثرات الخارجية ، نتيجة وقوع البلاد على ساحل البحر،واتصالها من خلال رحلات التجارة بتجارب الآخرين في العراق والهند وشرقي أفريقيا .

ولو قدر لحكم الشيخ مبارك أن يمتد لفترة أطول ، لكان من المحتمل أن تتسع وجوه المعارضة وتتطور أساليبها ، نتيجة التصادم المتوقع في الاتجاهات ، أو لوجود باعث على الاحساس بعدم الرضا ، ولكن وفاته في عام ١٩١٦ ، ثم مجيء ابنه جابر المعروف بطيبته، واقدامه على تخفيف الضرائب والقيود التي فرضها والده ، كل ذلك أدى الى عدم اتساع نبرة التذمر .

ولم تدم فترة حكم الشيخ جابر طويلا ، إذ توفي بعد سنة وشهرين فخلفه أخوه سالم ، ولم يكن الأخير يختلف عن أخيه من حيث مسالمته ، وعلاقته الطبيعية بمواطنيه ، وعلى الرغم من أن عهده لم يخل من الحروب والمناوشات ، الا انها كانت دفاعية بصفة عامة ، مثل معركة « حمض » ومعركة « الجهراء » على خلاف الحروب التي جر والده الكويتيين الى خوض غمارها كرها .

ومع هذا فان روح التذمر بقيت حيث هي . لم تتفاقم ولم تنحسر في الوقت ذاته ، ومما ساعد على بقائها تقدم الوعي ، واحساس المواطنين بعدم تطور أساليب الحكم في بلادهم تبعا لتغيرها في البلدان الأخرى ، وعدم مشاركتهم الفعلية في تقرير مصيرهم .

وكان للأحداث السياسية في بعض المناطق العربية تأثير كبير على الواقع السياسي الكويتي ، ولعل من أبرزها ثورة ١٩١٩ في مصر، وتأثير زعامة سعد زغلول ، وكـذلك الثورة العراقية في عام ١٩٢٠ .

(٢)

المجلس الاستشاري ١٩٢١

وبنهاية عهد الشيخ سالم في عام ١٩٢١ ، كان الكويتيون قد أدركوا أهمية تطوير أداة الحكم ، وضرورة مشاركة الشعب في تقرير مصيره . وقبل أن يتم اختيار خلف لسالم ، اجتمع وجهاء البلد في ديوانية ناصر البدر ، واتفقوا وتعاهدوا على الاتحاد ، وأن يسعوا في صلاح البلد .

ووقّع ثمانية منهم عريضة تتضمن آراءهم ومطالبهم فيما يخص المرحلة المقبلة.وفي ما يلي نص تلك الوثيقة المهمة ، التي قام على أساسها أول مجلس استشاري[١] في الكويت :

« نحن الواضعين [٢] ، أسماءنا بهذه الورقة قد اتفقنا واتحدنا على عهد الله وميثاقه باجراء البنود الآتية :

١ – اصلاح بيت الصباح ، كي لا يجرى بينهم خلاف في تعيين الحاكم .

٢ – ان المرشحين لهذا الأمر هم الشيخ أحمد الجابر ، والشيخ حمد المبارك ، والشيخ عبد الله السالم .

٣ – اذا اتفق رأي الجماعة على تعيين أي شخص من الثلاثة ، يرفع الأمر الى الحكومة للتصديق عليه .

٤ – المعين المذكور يكون بصفة « رئيس مجلس الشورى » .

٥ – ينتخب من آل الصباح والأهالي « عدد معلوم » [٣] ، لادارة شؤون البلاد على أساس العدل والانصاف [٤] .

ووقّع على هذه العريضة كل من : محمد بن شملان . مبارك محمد بورسلي ، جاسم ابن محمد بن أحمد ، سالم بن علي بو قمّاز ، ناصر بن ابراهيم .

ويقول الشيخ يوسف بن عيسى القناعي ، الذي لم يكن من بين الموقعين على العريضة ، ولكنه اختير ليكون عضواً في المجلس ، ولعله كان ضمن المجتمعين في ديوان ناصر البدر :

---

(١) يخلط بعض الباحثين في التسمية بين المجلسين الاستشاري الذي أقيم في عام ١٩٢١ والتشريعي الذى أقيم في عام ١٩٣٨ ، فيسمون الأول منهما المجلس التشريعي خطأ . أنظر على سبيل المثال د . حسن الابراهيم – الكويت دراسة سياسية ص ١٤٦ .

(٢) في الأصل : نحن الواضعون

(٣) في الأصل : عددا معلوم

(٤) من تاريخ الكويت ص ١٩١

« وبعد هذا الاجتماع اطّلع الشيوخ ، وأرسل اليّ الشيخ عبد الله السالم وسألني عن سبب هذا الاجتماع ، فأخبرته وبيّنت له المصلحة العامة في ذلك ، ولم يبد أي خلاف ، وفي اليوم التالي اجتمعت كل عائلة الصباح ، وأرسلوا الى القائمين بالأمر ، وسألوهم عن سبب الاجتماع ، فتلونا عليهم ذلك ، ولم يظهروا شيئا يخالف فكرة الجماعة »[1] .

ومن الغريب أن معظم المصادر تغفل ذكر أسماء هؤلاء الرجال الذين تحمّلوا مسؤولية التوقيع على العريضة ، وتذكر بدلا منهم أسماء أعضاء المجلس الذين عينوا فيما بعد

وتجدر الإشارة الى أنه لم يتم اختيار أي من الموقعين على العريضة لعضوية المجلس الاستشاري ، بل اختير بدلا منهم بعض أفراد من العائلات الكبيرة المعروفة بجاهها وثرائها[2] ، وربما يعود السبب الى أن هؤلاء الأثرياء أكثر اعتدالا من موقعي العريضة .

كما تجدر الاشارة الى أن الشيخ يوسف بن عيسي القناعي يقول في الرسالة الخاصة التي وجهها الى صديقه شملان بن علي انه بعد ظهر يوم وفاة الشيخ أحمد الجابر « اجتمع وجهاء البلد من أهل القبلة والشرق في ديوان ناصر البدر واتفقوا وتعاهدوا على الاتحاد واتفاق الكلمة . وان يسعوا بصلاح البلد ، وكتبوا مجملة ، ثم يذكر نص العريضة[3] . على حين يقول في كتابه الملتقطات الذي صدر فيما بعد « انه هو الذي رأى أن يكلم وجهاء البلد في طلب مجلس للمشاورة مع الحاكم . وانه تكلم معهم منفردا واحداً بعد واحد »[4]

وفي الوقت الذي لا نرى فيه اسم الشيخ يوسف بين الموقعين على العريضة نجد اسمه بين من تم انتقاؤهم بالتعيين لعضوية المجلس ، وكذلك فإننا نلمس من آراء الشيخ يوسف في كتابه الملتقطات أنه يؤيد ما جاء في الرسالة التي تنتقد المجلس وتتهم أعضاءه بأنهم لا يعرفون التمرة من الجمرة . وهي الرسالة الموجهة للمعتمد البريطاني ، والتي يرجح الشيخ يوسف نفسه أن يكون كاتبها السيد هاشم الرفاعي . وذلك في قوله « ولعل الحاكم رأى ما رأيت من صدق ما كتب الكاتب في الانتقاد »[5] .

(١) المصدر السابق ص ١٩٥و١٩٦ – من رسالة وجهها يوسف بن عيسى القناعي الى شملان بن علي .
(٢) شكل المجلس الاستشارى من : حمد عبد الله الصقر « رئيسا » ، الشيخ يوسف بن عيسى القناعى ، السيد عبد الرحمن السيد خلف النقيب ، هلال فجحان المطيري ، شملان بن علي بن سيف ، الشيخ عبد العزيز الرشيد ، خليفه بن شاهين الغانم ، احمد الفهد الخالد ، احمد صالح الحميضي ، مرزوق الداود البدر . ابراهيم المضف ، مشعان الخضير الخالد .
(٣) من تاريخ الكويت ص ١٩٧
(٤) الملتقطات ص ١٢٠
(٥) المصدر السابق ص ١٢١

ويتكرر موقف الشيخ يوسف المثير للتساؤل عند تشكيل المجلس التشريعي في عـام ١٩٣٨ ، إذ نجده يقول « دعاني الاخوان الساعون في طلب المجلس على العشاء في الشويخ . وطلبوا مني الذهاب معهم للحاكم ، واقناعه بضرورة المجلس . فأجبتهم : بما أني أعتقد عدم أهليتنا للمجلس بحسب ما رأيت من المجلس السابق فلا أطلب شيئاً اعتقد عدم ثبوته »[1]

ولكن حين تحقق قيام المجلس التشريعي أصبح الشيخ يوسف نائباً لرئيسه . وحـين تأزم الموقف استقال من عضويته .

وقد أشار الى أن أعضاء المجلس لم يلتفتوا الى نصحه وان « أحد الأعضاء البارزين قال له ما معناه إنك حجر عثرة في طريقنا ، فكلما قررنا أمراً نرى فيه الاصلاح وقفت أمامنا مثبطاً لعزائمنا . ويقول الشيخ يوسف وبعد كلامه لم أر أحداً من الأعضاء خالفه فيما قال . زد على هذا الكتاب الذي يزعم المجلس انه حذف اليه من الخارج . ولم يعرف صاحبه ، وخلاصته انه يحث المجلس على السير في عمله بلا تأن ، وينهاهم عن سمـاع قول المثبط لعزائمهم ، ومعناه « اياك اعني فاسمعي يا جارة »[2] .

إن ما يهمنا في العريضة التي تتضمن طلب تشكيل مجلس للشورى في عام ١٩٢٠ هو كونها رفعت قبل أن يتم اختيار الحاكم الجديد ، وتضمنت ترشيح ثلاثة من الامراء ، ليتم اختيار أحدهم ، وكذلك ما جاء في التوصية الرابعة من اعتبار « المعين » أو الحـاكم الجديد « رئيس مجلس الشورى » ، ثم ما جاء في التوصية الخامسة من انتخاب عـدد معلوم من آل الصباح والأهالي لادارة شؤون البلاد على أساس العدل والإنصاف . فهذه أول مطالب علنية يواجه بها المرشح للحكم ليتخذها منهاجا للحكم وأساسا للبيعة ، وهي أول إشارة الى « مجلس الشورى » واشراك الأهالي في ادارة شؤون البلاد ، لذا نجد عنـاصر « الكتلة الوطنية » التي شكلت فيما بعد تذكّر الشيخ أحمد الجابر بذلك الأساس في صـدر خطابها الموجه اليه في عام ١٩٣٨ حين تقول « ان الأساس الذي بايعتك عليه الأمة لدى أول يوم من توليك الحكم هو جعل الأمر بينك وبينها على أساس من الشورى »[3] .

وتم تشكيل المجلس الاستشاري من اثني عشر عضوا في شهر نيسان من عام ١٩٢١ ،

---

(١) المصدر السابق ص ١٢١

(٢) المصدر السابق ص ١٢١–١٢٢

(٣) خالد سليمان العدساني – نصف عام للحكم النيابي في الكويت ص ٧

فباشر في جلسته الأولى النظر في تنافس آل صباح على كرسي الامارة ، وفي الجلسة الثانية تأكد للمجلس أن الشيخ أحمد الجابر هو أكثر المرشحين نصيبا في التأييد ، فأقر مبايعته بالاجماع ، وعندئذ أقسم « لهم اليمين على الاخلاص بالعمل ودوّن لهم ميثاقا خطيا » من خمس مواد .

وعقد المجلس بعد ذلك جلسات أخرى كثيرة[1] ، خلافا للرأي القائل « ان الشيخ لم يستدع المجلس الاستشارى ، فترك يندثر دون أن يحس به أحد[2] .

ولم يمر وقت طويل حتى بدأت الخلافات تدب بين الأعضاء ، ولعل مما عجّل بنهاية المجلس تدخل أحد الأعضاء ، وهو السيد عبد الرحمن النقيب في أمور اعتبرها آل الصباح اجحافا بحقوقهم ، وعدّوها مخلّة بكيانهم ، فأغلظوا عليه القول ، وهددوه باتخاذ الاجراءات المضرة به ، ان لم يكف عن ذلك ، فدّب الفتور بين الأعضاء وانقطع بعضهم عن حضور تلك الجلسات[3] .

ومما زاد الطين بله ورود كتاب الى المعتمد البريطاني في الكويت بتوقيع « الامة » تبين فيما بعد أنه مرسل من السيد هاشم الرفاعي ، وفيه تنديد بأعضاء المجلس ، وأدت تلك الأسباب وغيرها الى تفكك المجلس ونهايته ، وعودة الشيخ أحمد الجابر الى الحكم الفردي .

لم تكن موافقة أحمد الجابر على ما ورد في العريضة أمرا هينا ، لولا أنه أدرك أن من العبث الوقوف في وجه تيار الاصلاح ، الذي تجاوز حدود التذمر أو المعارضة السلبية ، ليبادر الى طرح التصورات لاسلوب الحكم المناسب ، الذي يعتمد مبدأ الشورى واشراك الشعب في حمل المسئولية .

أما اخفاق المجلس في تحقيق ما عقد عليه من آمال فيعود الى أسباب كثيرة لعل من أهمها أن أعضاءه معينون ، ولم يتم اختيارهم عن طريق الانتخاب .

وعلى الرغم من اخفاق تجربة المجلس الاستشارى ., فقدكانت أول محاولة لتطوير أسلوب الحكم في الكويت .

---

(١) تاريخ الكويت السياسي – القسم الأول ج ٥ ص ١٦
(٢) د . صلاح العقاد – معالم التغيير في دول الخليج ص ٢٤
(٣) تاريخ الكويت السياسي – القسم الأول – ج٥ ص ١٦

(٣)

المجلس التشريعي ١٩٣٨

واتخذت حركة الاصلاح من بعد أساليب أخرى ، أكثر تطورا وملاءمة لما استجد من ظروف ، ويبدو أنها بدأت تتأثر « بالتيارات الفكرية الجديدة التي انتشرت في الشرق العربي ، وكانت هذه التيارات تنتقل الى الكويت عبر العراق حيث تعلّم بعض الشبان الكويتيين ، ولعل الحركة الاصلاحية تأثرت بالتقلبات السياسية التي شهدها العراق في سنة ١٩٣٦ ،حين قام الجيش بمحاولة لتغيير الاتجاهات السياسيه التقليدية، وبعث الحياة في فكرة الوحدة العربية والتغيير الاجتماعي وكانت اذاعة قصر الزهور تغذّي هذه الاتجاهات ، وتروج لها في بعض الأقطار العربية خارج العراق ، ومنها الكويت ، وذلك بتشجيع من الملك غازي »[1] .

وتجدر الاشارة الى أن أول بعثة غادرت الكويت لطلب العلم اتجهت الى العراق في عام ١٩٢٥ ، ومن بين أعضائها خالد سليمان العدساني الذى أصبح سكرتيرا لمجلس الامة التشريعي في سنة ١٩٣٨ .

ويضيف ديكسون مؤثرا جديدا في حركة الاصلاح ، حيث يرى أن هتلر « نجح عن طريق الدكتور « غروبا » سفيره في بغداد في تأسيس حزب للشباب في مدينة الكويت ، عرف باسم « الشبيبة » وباستخدام نفس الطرق والاساليب التي اتبعت في تشيكوسلوفاكيا نجح في اشعال ثورة مفاجئة هدفها الاطاحة بسمو الشيخ أحمد الجابر الصباح ، وانهاء الحماية البريطانية على الكويت ، واستبدالها بالعراق ، على أساس انها دولة مسلمة »[2] .

أما العوامل الداخلية التي فجرّت الصراع بين دعاة الاصلاح والسلطة فيمكن اعادتها الى فساد الوضع الداخلي من جهة ، وتقدم الوعي السياسي من جهة اخرى .

ومن الملاحظ أن المصادر ، حين تمر بتلك المرحلة الخطيرة من

---

(١) معالم التغيير في دول الخليج ص ٢٤ – انظر أيضا : محمود الدرة – الحرب العراقية البريطانية سنة ١٩٤١ ص ١٠١

(٢) ديكسون : الكويت وجاراتها ٣٣/٢

تاريخ الكويت ، تعبر فوقها على عجل وتتجاهل ذكر الأسباب التي أدت الى تفجير الصراع ، كما تغفل الدور الذى قامت به عناصر الاصلاح والذى توّج باقامة تجربة ديمقراطية رائدة في منطقة الخليج والجزيرة العربية سنة ١٩٣٨ ، ولعل السبب يعود الى التحرج من التعرض لتلك الأحداث التي تتسم بحساسية خاصة ، ويضاف الى ذلك قلة المصادر التي تتناول تلك المرحلة بقدر من التفصيل والأمانة .

ويبدو أن الرسالة التي أصدرها خالد سليمان العدساني - أحد عناصر حركة الاصلاح وسكرتير المجلس التشريعي الذي انبثق عنها - ما تزال من أهم المصادر . وقد منعت تلك الرسالة من دخول الكويت ؛ لذا فسوف نضطر الى الاستشهاد بنصوص طويلة منها ، لالقاء الضوء على الجانب الذى يهمنا ، ولأن تلك النصوص في ذاتها تعدّ مثالا صادقا لنمط التفكير ومستوى الوعي في تلك المرحلة.

يقول العدساني « في أوائل عام ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م كانت الكويت تتميز بحركة فكرية نشيطة ، وكان النزاع بين الوطنيين وخصومهم يتطور يوما بعد آخر من جراء التعديات ، وانتهاك الحقوق الوطنية التي يقوم بها رجال السلطة من الحاشية والمتنفذين .فقد أقدموا على حل مجلس المعارف المنتخب من « الامة »انتخابا شرعيا صحيحا للتخلص من أحرار البلاد المتنفذين ، وعيّنوا بمشيئتهم أعضاء مجلس المعارف الثاني ممن يقادون بالاشارة ، ويستسلمون للأهواء ، فانسحب الوطنيون من عضوياتهم الأخرى في مجلس البلدية والمكتبة ، احتجاجا على هذه التصرفات الكيفية ، وبدأوا ينظمون امورهم ويعملون سرا للحدّ من هذه التصرفات الفردية ، فكان من نتيجة هذا الصراع المتواصل تحفّز السلطة أخيرا ، واصدارها الارادة العليا عام ١٣٥٧ - ١٩٣٨ بمنع الناخبين من انتخاب بعض أحرار البلد البارزين بأسمائهم لعضوية المجلس البلدى الرابع ، بغير ما حجة صريحة ولا بيّنة مسماة ، ثم أجريت الانتخابات المفروضة بأشنع ما يمكن أن توصف الانتخابات المزيفة في التاريخ ، من ضغط على الحريات وتلاعب في اسماء الناخبين ، وفرز أوراق الانتخابات واعلان

نتائجها ، واشتد بعد ذلك الضغط على أحرار « الأمة » وخيرة شبابها . . . »[1]

ونتيجة لذلك عقد الاصلاحيون العزم على بلوغ غايتهم ، وسعوا الى تطوير جهودهم واعتمدوا منهج العمل التنظيمي السرى ، وكونوا - كما يقول العدساني - « جمعية سريةً من اثنى عشر عضوا ، للعمل على تقوية الروح القومية في النفوس ، وتوجيه دفة الحركة التحررية في الطريق المرغوب، وتطوع الكتاب منهم لتغذية الحملات الصحفية في جرائد العراق بتوقيعات مستعارة ، ففاضت تعابيرهم بالشكوى ، فاضحة كافة الأعمال والتصرفات الكيفية المناهضة لآمال الشعب ، وتحقيق أمانيه ، فكان لكل ذلك أثره البعيد ، وصداه القوى في نفوس الكويتيين ، وآذان الساسة الانجليز »[2]

والعدساني يعرض في هذه الكلمة الموجزة لموضوعات على جانب كبير من الاهمية تكشف عن مقدار الوعي الذي بلغته عناصر الاصلاح ، فمن أهداف جمعيتهم السرية :

١- تقوية الروح القومية وهذا ما ينفي عن الحركة الطابع الاقليمي الضيق .
٢- توجيه دفة الحركة التحررية في الطريق المرغوب .
٣- الموقف المبدئي من الانجليز وقد اتضح هذا الموقف بعد قيام المجلس التشريعي .

وعملت الجمعية السرية التي سميت بـ « الكتلة الوطنية » على تصعيد نشاطها ، من خلال الحملات الصحافية ، والمناشير السرية التي كانت تطبعها في البصرة وتوزعها في شوارع الكويت ، ولما أدركت أن الوقت أصبح مناسبا ، وأن التعبئة الشعبية حققت أغراضها ، قامت بعرض مطالبها على

---

(١) نصف عام للحكم النيابي في الكويت ص ٥
(٢) المصدر السابق ص ٦

الشيخ أحمد الجابر[1] ، وذلك في يوم ٣٠ من ربيع الثاني ١٣٥٧ هـ ١٩٣٨ م ، وفي ما يلي نص الوثيقة :

« ان الأساس الذى بايعتك عليه « الأمة » لدى أول يوم من توليك الحكم هو جعل الأمر بينك وبينها على أساس الشورى ، التي فرضها الاسلام ، ومشى عليها الخلفاء الراشدون في عصورهم الذهبية ، غير أن التساهل الذى حصل من الجانبين أدى الى تناسي هذه القاعدة ، كما أن تطور الاحوال والزمان ، واجتياز البلاد ظروفا دقيقة « بعث المخلصون »[1] ، من رعاياك أن يبادروا اليك بالنصيحة راغبين [في] التفاهم واياك على ما يصلح الأمور ، ويدرأ عنهم وعنك عوادى الأيام وتقلبات الظروف ، ويصون لنا كيان بلادنا وحفظ استقلالنا غير قاصدين الاّ ازالة أسباب الشكوى واصلاح الأحوال عن طريق التفاهم مع المخلصين من رعاياك ، متقدمين اليك بطلب تشكيل مجلس تشريعي مؤلف من أحرار البلاد للاشراف على تنظيم امورها ، وقد وكلنا حاملي كتابنا هذا ليفاوضوك على هذا الأساس ، والله تعالى نسأل أن يوفق الجميع لما فيه صالح البلاد[2]

٣٠ ربيع الثاني ١٣٥٧ هـ — جماعتك المخلصون

وبعد اجراء المفاوضات بين وفد « الكتلة الوطنية » والشيخ أحمد الجابر وافق على طلب تشكيل المجلس التشريعي ، وتم بالفعل انتخاب أربعة عشر عضوا .

وفي الليلة التالية للانتخاب اجتمع الأعضاء ، واختاروا الشيخ عبد الله السالم – ولي العهد آنذاك – رئيسا للمجلس .

ومن بعد قاموا باعداد مسودة القانون لتوقيعه من قبل الشيخ أحمد الجابر. وجرت مفاوضات بين الطرفين،أوضح خلالها الشيخ أحمد عدم الحاجة الى مثل ذلك التوقيع ، ولكن أعضاء المجلس أصروا على الطلب ، وذكروه أنه قطع على نفسه عهدا أن يجعل الحكم شورى ، ولكن

(١) كذا في الأصل ، ولعل صوابها « دعت المخلصين » ،

(٢) نصف عام للحكم النيابي في الكويت ص ٥و٦

ذلك الوعد لم يتحقق ، كما لوحوا بالتهديد في قولهم « وهؤلاء نحن قد تهيأنا لكل أمر متوقع . كتلة واحدة في صف البلاد لا نتردد ولا نقهر ، ففي هذه اللحظة التي نرفع اليك فيها كتابنا هذا نقف جميعا في انتظار جوابكم التحريرى الحاسم بالموافقة »[1] .

وبتوقيع الشيخ أحمد ذلك القانون الخطير في تاريخ الكويت كللت مساعي عناصر الاصلاح بالنجاح ، ونورد في ما يلي نص القانون لأهميته :

بناء على ما قرره «مجلس الأمة التشريعي » صادقنا على هذا هذا القانون في صلاحية المجلس ، وأمرنا بوضعه موضع التنفيذ :

المادة الأولى : الامة مصدر السلطات ، ممثلة في هيئة نوابها المنتخبين .

المادة الثانية : على المجلس التشريعي أن يشرع القوانين الآتية :

١- قانون الميزانية
٢- قانون القضاء
٣- قانون الأمن العام
٤- قانون المعارف
٥- قانون الصحة
٦- قانون العمران
٧- قانون الطوارئ
٨- كل قانون آخر تقتضي مصلحة البلاد تشريعه .

المادة الثالثة : مجلس الأمة التشريعي مرجع لجميع المعاهدات والامتيازات الداخلية والخارجية والاتفاقات ، وكل أمر يستجد من هذا القبيل لا يعتبر شرعيا الا بموافقة المجلس واشرافه عليه .

المادة الرابعة : بما أن البلاد ليس فيها محكمة استئناف ، فان مهام المحكمة المذكورة تناط بمجلس الأمة التشريعي ، حتى تتشكل هيئة مستقلة لهذا الغرض

المادة الخامسة : رئيس مجلس الأمة التشريعي هو الذى يمثل السلطة التنفيذية في البلاد .

---

(١) المصدر السابق ص ١٠

تحـرر يـوم الجمعـة الحـادى عـشر مـن جمـادى الاولى عـام الـف وثلاثمائة وسبعـة وخمسين هجـريـة الموافـق ثانـي جـولاى الـف وتسعمائـة وثمـانيـة وثـلاثـين ميـلادي »[1] .

لعـل أهـم مـا يلـفت النظـر في هـذا القانـون كونـه جمع بـين السلطتين التنفيذيـة والتشريعيـة في يـد المجلـس ، كمـا جعلـه مـرجعـا لجميـع المعاهـدات والامتيـازات والاتفـاقـات الـداخليـة والخارجيـة .

وللبرهنة عـلى جديـة عـناصـر الاصـلاح ، وارتقـاء وعيهـا يحسن الاطلاع عـلى الانجـازات الـتي تمـت في عهـد المجـلس التشريعـي الممتـد مـن ١٩٣٨/٦/٢٩ الى ١٩٣٨/١٢/١٧ . فقـد قـام المجلس بسّن كثير مـن القـوانـين . واهـتم بامـور التعلـيم . ونظـم شئـون الجمـارك والقضـاء والأمـن العـام والماليـة . وحـد مـن تـدفـق الهجـرة الايـرانيـة الى البـلاد . واهـتّم بتنشيـط الحـركـة الفكـريـة ، وغـرس الـروح العـربيـة ، وتعـريـف الجمهـور بمـاهيـة أنظمـة الحكـم الديمقراطي والحقـوق الشعبيـة . وفسح المجـال للمعـارضـة لتبـدى آراءهـا ، كمـا الغـى الاحتكـارات الضـارة ، وأصـدر سلسلـة مـن القـرارات النافعـة في شتى المجالات .

وعـلى الصعيـد الخارجـي تطلـع المجـلس الى « رفض معاهـدة الحمايـة المفـروضـة عـلى الكـويت سنـة ١٨٩٩ ، والمطالبـة بـالـوحـدة القـوميـة مـع العـراق الـذى كـان يـدعـم - بشخص المـلك غـازى - الحـركـة »[2] .

ولعـل ممـا عجّـل بنهايـة تجـربـة المجـلس التشريعـي تعرضـه للمصالح الانجليزيـة وتضييقـه عـلى أصحـاب الاحتكـارات ، وميلـه الى تحقيـق الاتحاد مـع العـراق ، ووقـوفـه في وجـه الهجـرة الايـرانيـة المشبـوهـة ، الأمـر الـذي أثـار العنـاصـر الشعوبيـة الايـرانيـة في الكـويت ، ودفعهـا الى الالتفاف واثـارة الشغـب والتآمـر .

ووقـع الصـدام بـين الوطنيـين والسلطـة واصيـب المجلس بكـارثـة عظيمـة أدت الى ثـورة مسلحـة ، قتـل فيهـا مـن قتـل وأدخـل السجن

(١) نصف عام للحكم النيابي في الكويت ص ١١و١٢
(٢) جريدة السياسة ١٩٧٢/٣/٢٢

مـــن أدخـــل[1] .

ونتيجـــة لهـــذه النهـايـــة الداميـــة أحست عناصـــر الاصـــلاح باليـــأس ، وبضيـــاع الأمـــل في تطويـــر أساليب الحكـــم مـــن خـــلال مشاركـــة الشعب في ادارة شـــؤونـــه وتقريـــر مصيـــره .

وعلى الرغم من التأييد الشعبي الكبير لفكرة النظام النيابي ، ومشاركة ممثلي الشعب في الحكم ، ولما حققه المجلس خلال فترة ولايته القصيرة من مكاسب ، لم يكن ذلك التأييد العفوي قادرا على صيانة هذا المكسب وتطويره والدفاع عنه ضد من أرادوا تقويضه .

وبعد سقوط المجلس لجأ كثير من عناصره ومؤيديه الى العراق ، واتخذوا من الصحف العراقية منابر لبث أفكارهم المناهضة لعودة الحكم الفردي ، واجهاض التجربة الديمقراطية .

ولعل منهم من حاول الحصول على مساعدة الجهات الرسمية في العراق للتدخل . الا أن الأمر لم يجاوز تجنيد بعض الصحف العراقية مثل السجل والناس والاستقلال لمهاجمة الوضع في الكويت .

وكان من المحتمل أن يتطور هذا التأييد ، ولكن حال دون ذلك اندلاع الحرب العالمية الثانية ، وانشغال العراق فيما بعد بأحداث عام ١٩٤٠ ، ومقتل الملك غازي .

وقامت الحكومة من بعد بتعيين مجلس للشورى من أربعة عشر عضوا ، أربعة منهم من الأسرة الحاكمة ، والباقون من الأعيان « فكان هذا المجلس ضعيفا في تكوينه ، ومقدرته على التنفيذ ، وكان طبيعيا أن يفشل »[2] .

كان لابد من عرض هذه الصورة الموجزة للهزات والتحركات السياسية التي شهدها المجتمع العربي في الكويت ، منذ فترة مبكرة وحتى مطلع عام ١٩٣٩ ، فهي تشكل مظهرا عمليا محسوسا لمستوى الوعي السياسي في تلك الفترة ، يضاف الى ذلك أنها كانت في الوقت ذاته عاملا جوهريا في تعميق الوعي . وصقل الحس القومي بما تركت في وجدان الجماهير من آثار .

وما دمنا أجملنا من قبل عوامل التحرك السياسي الأول في عهد الشيخ مبارك الصباح ، فانه يجدر اجمال عوامل التحرك السياسي الثاني في عهد الشيخ أحمد الجابر ، والـــذي

(١) راشد الفرحان – مختصر تاريخ الكويت ص ١٩٦

(٢) مختصر تاريخ الكويت ص ٩٧

اتخذ صورة أكثر نضجا وتطورا وعنفا ، تبعا لما استجد من ظروف وفي ما يلي أهم تلك العوامل :

١ – تأثر الكويت بواقع العمل الوطني في الأقطار العربية ، وخاصة العراق وسوريا ومصر .

٢ – تطور النشاط الثقافي والفكري ، ومن مظاهر ذلك التطور :

أ – افتتاح المدرسة المباركية – وهي أول مدرسة نظامية في عام ١٩١١ .

ب – انشاء الجمعية الخيرية في عام ١٩١٢ ، وكانت تهدف الى ارسال البعوث العلمية الى الأقطار العربية لدراسة علوم الدين .

جـ – انشاء المكتبة الأهلية في عام ١٩٢٣ .

د – إقامة النادي الأدبي في عام ١٩٢٤ ، وكان ملتقى الفئات المتعلمة والواعية ، تتبادل فيه الآراء والأفكار حول ما يهمها .

هـ – ارسال أول بعثة لطلب العلم في العراق سنة ١٩٢٥ .

و – صدور أول مجلة كويتية ، وهي مجلة الكويت ، التي أصدرها عبد العزيز الرشيد في سنة ١٩٢٨ .

ز – قدوم أول بعثة تعليمية من المدرسين الفلسطينيين في عام ١٩٣٦ .

٣ – اتصال الكويتيين بالمصلحين العرب ، من أمثال الزعيم التونسي عبد العزيز الثعالبي ، الذي كان داعية لتوحيد كلمة العرب وقد زار الكويت غير مرة ، فاحتفت بمقدمه ، وتبارى الشعراء في الترحيب به .

٤ – اتصال الكويت بالصحافة العربية ، وبخاصة المصرية والعراقية .

(٤)

منذ الحرب العالمية الثانية :

لعل من الجائز أن نطلق على الفترة من عام ١٩٣٩ - سقوط المجلس التشريعي - الى السنوات الأخيرة من عهد الشيخ أحمد الجابر مرحلة الجفاء والمقاطعة بين السلطة والعناصر الوطنية ، حيث آثرت تلك العناصر الابتعاد عن الساحة والانطواء ، وكان هذا المسلكُ السلبيُ تعبيرا منها عن عدم الرضا بعودة الأمور الى سابق عهدها .

وبقيت الحال على هذا النحو حتى السنوات الأخيرة من حكم الشيخ أحمد الجابر ؛ إذ ارتبطت تلك الفترة بوقوع نكبة فلسطين سنة ١٩٤٨ .

وبدأ النشاط السياسي يدب ثانية ، حين استقبلت البلاد أعدادا كبيرة من الفلسطينيين الذين شردتهم النكبة ، بالاضافة الى أعداد أخرى من العرب القادمين من بقية المناطق العربية بهدف العمل ، نظرا لاتساع مجالاته ، وكان طبيعيا أن تنقل هذه العناصر العربية أفكارها وتجاربها السياسية ، وأن تلقى تجاوبا من قبل الفئات الواعية .

وأصبحت النوادي ، وعلى رأسها النادي الثقافي القومي ، ساحات لتفاعل الأفكار التقدمية التي تدعو الى التحرر والوحدة ، كما أمست الصحف المحلية ميدانا رحبا لطرح وجهات النظر التي تنشد الصالح العربي .

وما لبثت البلاد أن تأثرت بتجارب التنظيمات السياسية العربية ، ذات الأفق القومي والبرامج التقدمية ، وساهم العرب الوافدون ، المنتمون لتلك التنظيمات في التبشير بأفكارهم .

وتكوّنت الخلايا الأولى لحركة القوميين العرب وحزب البعث العربي الاشتراكي من العناصر المثقفة ، وساهم هذان الحزبان في الارتقاء بالوعي القومي ، والانتقال به من طور الحماسة العفوية الى مرحلة العمل السياسي المنظم ، القائم على برنامج معلوم .

وعلى الرغم من تعثّر هذين الحزبين في استقطاب قاعدة جماهيرية واسعة ، نتيجة الظروف الموضوعية المتصلة بواقع الكويت الاجتماعي والاقتصادي ، الا انهما نجحا الى حدّ كبير في تعميق الحس القومي ، وغرس بذور الوعي الطبقي .

ومع نهاية عهد الشيخ أحمد الجابر ، وتولي الشيخ عبد الله السالم دفة الحكم بدأت البلاد تشهد نوعا من الانفراج السياسي ، الأمر الذي أتاح للعناصر الواعية أن تساهم - أكثر

من ذي قبل – في طرح وجهات نظرها وتصوراتها حول الاصلاح وتطوير أساليب الحكم ، وانتهاج سياسة تحررية .

وكان من الطبيعي أن يتأثر الشعر الكويتي بتلك الأحداث والتيارات التي شهدتها البلاد ، فهزت اسس العلاقات السائدة بين المواطنين والسلطة ، وغيّرت أنماط التفكير ، وأيقظت المشاعر ، ورسخت جذور الوعي القومي .

وكان من نتائج ذلك بروز اتجاهين رئيسيين في الشعر : أما الاتجاه الأول ، فيتمثل في نقد الوضع القائم ، والتبرم بالأساليب السائدة ، التي تتعارض مع تطلعات الجماهير ، ومستوى وعيها ، وطموحها الى التغيير والتطور ، ثم الشكوى المرة نتيجة التراخي في اصلاح الأوضاع السيئة .

وأما الاتجاه الثاني فيتمثل في اتساع دائرة الانتماء . وتطور مفهوم الوطن ، بحيث لم يعد يقتصر على المجتمع المحلي ، بل يتجاوزه الى الوطن العربي من الخليج الى المحيط .

ومن هنا نتبين مبرر اختفاء النماذج الشعرية التي تنشد التغني أو التعلق بالكويت ، أو بالوطن بمفهومه الاقليمي الضيق ، فالشعراء الكويتيون لا ينسون الكويت في معرض الشكوى والتذمر من تردى أوضاعها ، ولكنهم عند الاعتزاز بالوطن وتمجيده يتجاوزون حدودها وترابها ، لاتساع أفق الولاء والانتماء لديهم .

وغني عن البيان أن قسطا من الشعر الكويتي لم ينشر بعد ، وخاصة ما يتصل منه ببعض الأحداث المحلية التي تتسم بالحساسية ، ولكنا مع هذا لا نعدم أن نجد فيما وصلنا ما يصح اعتماده مثالا صالحا لرسم الصورة التي ننشد الوصول اليها .

ويمكن أن نتلمس آثار الوعي من خلال النماذج الشعرية التي عنيت بمعالجة الأوضاع المحلية ؛ السياسية منها والاجتماعية .

(٥)

الأوضاع السياسية :

اتخذت معالجة الأوضاع السياسية اتجاهات مختلفة ، فتارة تكون نقدا عاما للوضع السياسي ، وتارة أخرى يتجه النقد الى كشف فساد الجهاز التنفيذي . المتمثل في ادارات الدولة ، وفي بعض الأحيان ينصبّ الاهتمام على التنبيه لأخطار التهاون في صون عروبة البلاد .

وثمة اتجاه جديد برز في أحدث نماذج الشعر الكويتي ، وقد أخذ على عاتقه كشف عيوب المجتمع الحديث ، أو مجتمع ما بعد النفـط ، الذي اضطربت فيه المقاييس وشاعت الفـوضى .

وتختلف الأساليب في نقد الأوضاع السياسية ، فهناك من يعرض وجوه الخلل ويلح على ضرورة النهوض لتصحيحها ، وثمة من يدلي بتصوراته لكيفية العمل ، وتكتفي فئة ثالثة بالشكوى والتذمر .

فالشاعر عبد اللطيف النصف * يصور حال الكويت ، وما ألمّ بشعبها ، فأمسى يتخبط في دياجير التخلف والضياع ، ويدعو الى إزالة أسباب الفساد ، وذلك في قصيدة نظمها عام ١٩٢٦ :

يا للكويت وما ألمَّ بشعبها ... فلقد رمته فأقصدته رماتُه
شعبٌ يقاد الى البوار وما درى ... لهفي أيدري من غشاه سباتُه
ويلُ امهِ ماذا دهاه فأصبحت ... وقد استوت برجاله غاداتُه

. . . . . .

أسفي وهل يُجدي عليه تأسفي ... شيئا ولو قُرنت به حسراتُه
أنْ لا أرى الشعب المضامَ بجنبه ... تفترُّ عن ثغر الردى ثوراتُه
من لي بـ « روبسبير » يُذْكي نارها ... حمراءَ تخفق فوقها راياتُه
فتخر لليوم الرهيب طغاتُه ... وتذيقهم ذيقاتها حسراتُه(١)

ولا يكتفي خالد الفرج * بعرض المشكلة ، بل يدلي بتصوراته لكيفية المعالجة بصورة تنم عن وعي سياسي دقيق ، فهو يؤكد حقيقة مهمة تتمثل في خطر الإعتماد على الفـرد ؛ إذ من الخطأ أن يعلق شعب آماله وتطلعاته ومصيره بالفرد مهما تكن قيمته ، وجاءت تلك الآراء ضمن رده على زميله النصف في عام ١٩٢٦ :

هذي نتيجة كلِّ شعبٍ قائمٍ ... بالفردِ منه حياتُه ومماتُه

وقوله هذا يمثل دعوة مبكرة الى مبدأ العمل الجماعي ، الذي لم يتنبه الى أهميته كثير من المثقفين حتى يومنا هـذا .

---

* الشاعر عبد اللطيف ابراهيم النصف : ولد في عام ١٩٠٦ وتوفي بتاريخ ١٩٧١/١١/١٦

(١) ديوان خالد الفرج ص ١١٧ أدباء الكويت في قرنين ص ٢٥١ ط٢

* الشاعر خالد محمد الفرج : ولد في الكويت عام ١٨٩٨ ، وتوفي بتاريخ ١٩٥٤/١٢/١٥ في لبنان

وهو ينبه أيضا الى أن القوة وحدها ليست كافية لتحقيق المراد ، فلابد أن تدعم بالعلم ، ويستشهد لتوكيد صحة رأيه بالثورة الفرنسية ؛ إذ لولا أفكار « فولتير » وهو أحد المبشرين بالثورة لما قام « روبسبير » الذي لا يعدو أن يكون أداة منفذة شحذها الفكر :

لا مجدَ الا بالعلوم ونشرِها   في الشعب حتى ترتقي طبقاتُه

. . . . . .

فهناك ثُرْ إن النجاح محققٌ   والسيرُ منك سديدةٌ خطواتُه
ما قام « روبسبير » حتى هَزَّه   « فولتيرُ » تُذْكي ناره نفخاتُه(١)

ويُعدّ فهد العسكر * خير من يمثل الفئة التي اكتفت بالشكوى والتذمر ، ويبدو أنه اسرف في الشكوى لفرط حسّاسيّته ، ولاختلاط همومه الخاصة بهموم مجتمعه ، الأمر الذي صبغ حياته بالقلق واليأس والتذمر من كل ما يحيط به ، بحيث يصعب أن نتبيّن فيما اذا كان يصدر في معظم قصائده عن شجون ذاتية تتصل بظروفه الخاصة ، أو أنه يصور قلق المجموع ، ولكنا مع هذا نرجح اختلاط الرؤية ، وعدم وضوح الهدف لديه(٢) .

وربما وجدنا في ثنايا قصائد الشكوى لديه اشارات الى ضيقة بالوضع السائد كقوله :

سائلي الحي لا عُدمتكِ عن عبـ   ـدانِهِ حين ضايقوا أحرارَه
وسَلِيهِ عن الفقير له اللـ   ـهُ وكم بات يشتكي تُجّاره
وسَلِيهِ عن كلِّ ندبٍ غيور   حين ولّي وما قضى أوطاره
الأفاعي في أُفقه تنفثُ السـ   ـمَّ وقد أخرس الفحيحُ هزارَه(٣)

---

(١) ديوانه ص ١٢١ ، خالد الفرج : حياته وآثاره ص ٨٨

* الشاعر فهد العسكر : ولد سنة ١٩١٧وتوفي في ١٥/٨/١٩٥١

(٢) يلاحظ أن فهد العسكر الذى يرى أن بلاده فردوس للدخيل لم يجد حرجا في توجيه الشكر « للمعتمد البريطاني » حين أراد تسليمه جائزة فوزه في المسابقة التي نظمتها اذاعه لندن . وفي ذلك يقول :

وأرفع لمعتمد الحكومـ   ـةِ خالص الشكر الوفير
اني لمغتبطٌ بمـا   أسداه نحوي من شعور
فاليوم جائزةٌ وقبـ   ـل أخرى في سطور
برسالة قد جنحت   قلبي فطار من السرور

(٣) فهد العسكر : حياته وشعره ص ١٨٠ ط٣

وقوله من قصيدة أخرى نظمها في عام ١٩٤٦ .

وطني وما أقسى الحيا ة به على الحرِّ الأمين
وألذَ بين ربوعه من عيشتي كأسُ المنونِ
قد كنتَ فردوسَ الدخيـ لِ وجنّةَ النذل الخؤونِ
لهفي على الأحرار فيـ كَ وهم بأعماقِ السجونِ
. . . . . .
ما راع مثلُ الليث يُؤ سرُ وابن آوى في العرينِ(١)

وعُني الاتجاه الثاني بكشف فساد الأجهزة الحكومية ، وما نجم عن ذلك من ضياع الحقوق وشيوع الأساليب المغلوطة ، فالمناصب العليا لا يتولاها سوى ذوي المظاهر الخادعة ، وان كانوا من الجهلة ، أو أن الأمر كما وصفه صقر الشبيب * :

يَرقى ببزّتهِ الفتى لا علمِهِ أسمى الوظائفِ في الكويتِ ويكسبُ(٢)

أو كقوله :

يُولّى هنا المرءُ الوظيفةَ جاهلا على شرط أن تُلقى ملابسُهُ قُشُبْ(٣)

ومن المشكلات الدقيقة التي تطرق لها الشعر استيلاء أولياء الأمور على الأراضي، على نحو ما نرى في قول عبد الله الجوعان * :

الراكضينَ على الأرا ضيِ بالجشاعةِ والنَهَمْ
هذا يُحدّدُ بالعصيِّ وذاكَ يذرعُ بالقَدَمْ(٤)

ويشير الشاعر نفسه الى الفساد المهيمن على دوائر الحكومة بقوله :

حتى الدوائرُ قد تضعـ ضعَ وضعُها وقد انهدَمْ
وغدت بحالٍ لا تقرّ بوضعِهِ حتى البهَمْ (٥)

---

(١) فهد العسكر : حياته وشعره ص ١٥٤ ط٣

(٢) ديوانه ص ٧٦ (٣) ديوانه ص ٩٤

* الشاعر صقر الشبيب ولد في عام ١٨٩٢ وتوفي بتاريخ ١٩٦٣/٨/٦

(٤) مخطوطه . . . ومطلع القصيدة آغاي هلْ مِيخَمْ يرمْ – للصيدِ أم لا أمْ نَعَمْ ويلاحظ أن الشاعر جعل الأبيات الاولى مزيجا من الألفاظ العربية والفارسية ، ولا نرى سببا لذلك سوى احتمال رغبته في الاشارة الى مشكلة المتسللين الايرانيين ؛ اذ عرف عنه الاهتمام بالتنبيه لهذه المشكلة .

(٥) جريدة الشعب ١٩٥٨/١/٣٠ – وهي من الجزء الذى نشر من القصيدة .

* الشاعر عبد الله الجوعان ولد في سنة ١٩٢٣ – وهو الآن يمارس الأعمال الحرة

* الشاعر عبد المحسن محمد الرشيد : ولد سنة ١٩٢٨ – يعمل في وزارة التربية مديراً لادارة الوسائل التعليمية

وعرض عبد المحسن الرشيد * لمشكلة الوساطة على أنها من أخطر الأوبئة التي تفتك بمبدأ العدالة والمساواة وتؤدي الى شيوع الفوضى ، واتسمت معالجته بالسخرية اللاذعة ؛ فما دامت الوساطة هي السبيل الى نيل الغايات والمطالب فلا أهمية لبذل الجهد في طلب العلم ، وما على المرء الا أن يبحث له عن ذي جاه ، ولو كان من الجهلة الأغبياء ، ليصل به الى مـــراده :

دَعْ عنك انك من أهل الكفاءات ... ما الفوزُ إلاّ لأصحاب الوساطات
هي المطايا التي يُرجى الوصول بها ... الى منال مطاليب وغايات

. . . . . .

اختر لنفسك ذا جاه ومنزلةٍ ... وكلُّهم جاهلٌ جمّ الحماقات
وانسج حواليه أثوابا منمّقة ... من المديح كما يهوى جميلات
زَيِّنْهُ في ناظر بالحمق ممتلئٍ ... وكنْ له حين يرنو خيرَ مرآة
تَنَلْ على كتفيه ما طمَحت له ... من دوحةِ المجد أغصانا رفيعات[1]

وكانت الهجرة الايرانية المشبوهة من المشكلات المحلية المهمة ، التي أثارت القلق والتخوف من احتمالات المستقبل ، ويبدو أن السُلطة لم تعر الأمـر اهـتماما جديا عـلى الرغم من كل التحذيرات التي أطلقها المخلصون .

ومن الذين نبهوا الى تلك المشكلة عبد الله الجوعان الذي تناول الموضوع باســلوب ساخر ، حين راح يهجو بعض مناطق الكويت ومنها « البِدْع » وهي منطقة ساحلية تلجأ اليها سفن المتسللين الايرانيين لتفرغ حمولتها :

ماءٌ أجاجٌ وأرض سبخة وبها ... من كل ما قذفتنا فيه ايرانُ
في كل يوم ترى الأعجامَ قادمةً ... كأنهم حُمُرٌ تغدو وثيرانُ
كم قلت للنفس مُذْ شاهدت جمعَهُمُ ... أهذه بلدتي أم تلك طهران

فالأعاجـم – كمـا يقـول – يتوافـدون عـلى البـلاد في كـل يـوم ، حتـى لم يعـد يميـز هـل هـو في الكـويت أم في طهـران ، واذا كـان النفـط السبب أو الدافـع الكـامـن وراء تـلك الهجـرة ، فهـو يتمنـى لـو أنـه لم يتـدفـق حتـى تبقـى البـلاد محافظـة عـلى عروبتهـا :

---

(١) أغاني ربيع ص ٤١

فليت نفطَ بلادى لم يَسِلْ أبدا   ولا تفجرّ منه اليوم برقانُ[1]

وحين هنأ أحمد السقاف* الشيخ عبد الله السالم بمناسبة عيد جلوسه ، اغتنم تلك الفرصة لتنبيهه الى خطر الهجرة الايرانية المتزايدة ، التي أوشكت أن تحوج المواطنين العرب الى ترجمان لكثرة الايرانيين بينهم :

فاسمعْ – وانت الآمر – من شاعر   ديدنه النصحُ وصدقُ البيانْ
صُنْ معقلَ الأمجاد من هجرةٍ   قد احوجت قومي الى ترجمانْ[2]

ويبدو أن عبد الله أحمد حسين* كان أكثر ايجابية في تعرضه للخطر الايراني الذى أمسى يتهدد الوجود العربي في منطقة الخليج ، فهو لا يكتفي بالتنبيه ، بل يدعو الى ضرورة النهوض لصد الغزاة .

يقول من قصيدة أنشدها في عام ١٩٦٨ :

يا ضفافَ الخليج والخطرُ البا   غِي تحدّى وجودَنا والبقاءَ
يوم ذي قار ما نسيناه والخيـ   ـل تجوب السهوبَ والصحراءَ

. . . . .

والخليجُ الأبي ثارتْ بواديـ   ـهِ ولاحت قلوعُه شمّاءَ
عربيٌ حمَته شيبانُ بالسيـ   ـف وتأبى تسليمَه والجلاءَ
خبطَ الآثمونَ في وضحِ الصبـ   ـحِ وثارت أطماعُهم عشواءَ
فاركبوا غارةً تصدُّ المناكيـ   ـدَ وتحيى المآثرَ الغرّاء

وكان للتغييرات الاقتصادية والاجتماعية التي شهدتها الكويت بعد تدفق الزيت أثر كبير في زعزعة اسس المجتمع ، وهدم قاعدة العلاقات السائدة ، وشيوع الأساليب المذمومة ، وفساد الأوضاع ، وضعف الاحساس بالمسئولية ، وقد

(١) مخطوطه – البرقان : أكبر حقول النفط في الكويت
(٢) أحمد الشرباصي – أيام الكويت ص ١٨٢

* الشاعر احمد السقاف : ولد في عام ١٩١٩ – يعمل بوظيفة العضو المنتدب للهيئة العامه للجنوب والخليج العربي .

* الشاعر عبد الله أحمد حسين الرومي : ولد سنة ١٩٣٤ يعمل سفيرا للكويت في سوريا .

لـزم التنبيـه الى مواطن الفساد ، والتحذيـر من السقوط ، والحث على ضرورة الثبات والصمود في وجـه تيـار الزيف .

وها هـو ذا أحمد العدواني* يتخـذ من الجمـل رمزا يحاوره ، ويحذره من أن يكـون كالآخريـن الذيـن تساقطوا ، وأسلموا أشرعتهـم للتيار ، أو ركنوا للدعـة ، أو راحـوا يبحثون عن مشجب يعلقـون عليـه عجزهـم :

ايّاك يا صديقي يا جمل . . .
ايّاك أن تيأس أو تلين
ايّاك أن تكون مثل آخرين
قد عكفوا على الطلول . . يندبونها . . .
أو أطفأوا شموعهم
وخرجوا الى الرياح يلعنونها . . .
كلا وأنت رمز الصبر يا جمل
لا . . . ولن تكون مثلهم
ولا أنا
وحق أرضنا[1]

أما علي السبتي* فآثـر أن يكشف الستار عن مدينتـه التي لوثهـا الزيف ، وغمرهـا الطغيان المـادي المدمـر ، حتـى لم يعد بالامكـان النظر الى الأشياء الا من خـلال منظار المـادة :

مدينتي كأنها تمثال
ملون مزركش لكنه تمثال
حتى النساء في مدينتي بلا آمال
المال في مدينتي المال
يبيع يَشتري يستأجر الرجال

* الشاعر أحمد مشاري العدواني : ولد سنة ١٩٢٣ – يعمل بوظيفة « الأمين العام للمجلس الوطني للثقافـة والفنون والاداب » ويتولى رئاسة تحرير مجلة « عالم الفكر » وكذلك الاشراف على سلسلة من المسرح العالمي .

(١) جريدة الهدف ١٩٦٦/١١/٣

* الشاعر علي السبتي : ولد في عام ١٩٣٥ وهو الان يمارس الاعمال الحرة .

فكل شيء في مدينتي له ثمن
الجنس والأطفال والسكن
مدينتي بلا مطر
وأرضها حجر[1]

ولعل محمد الفايـز * وهـو يصدر عن شجـون ذاتيـه لهـا دوافعها الخاصة ، يكشف من ناحيـة اخـرى وجهة نظره تجاه تـلك المدينـة التي رفعت أعمدتها الصدف والأقـدار ولكنهـا لـن تلبث أن تتداعـى ، لأنهـا لم تنهض - كمـا يرى - نتيجـة كـدّ أبنائهــا وعطـائهــم وتضحيـاتهــم :

وما ارتفعت جدرانكم من مهابة — ولكنها الأيام هاج عبابُها
مدينتكم هذى التي ترضعونها — ستمتصكم حاراتها وقبابها
هبطتم بها لم تعجن الخبز كفكم — ولا دُوركم منها يسوّى ترابها
ظهور جمال تعتليها هوادج — بصحرائها حيث الدُنا ورحابها
أجلّ لعمرى من حدودكم التي — يعشش فيها موتها وخرابها
تلوذون في ظل وريف وخلفه — ظهيرة يوم لا يطاق جنابها[2]

---

(١) بيت من نجوم الصيف ص ١٣٨
(٢) النور من الداخل ص ١٠٥
* الشاعر محمد فايز العلي : ولد في العراق سنة ١٩٣٢ وانتقل الى الكويت منذ عام ١٩٥٦ ، يعمل حالياً في القسم الأدبي باذاعة الكويت .

(٦)

ميول تحررية

لم تألف البلاد منذ القدم ألوان التعصب والتناحر ، ولعل ذلك يعود الى تجانس سكانها ، وبعدهم عن الفرقة المذهبية والمشكلات الطائفية ، وانفتاحهم على العالم من خلال رحلات السفر الدائمة ، التي كانوا يطوفون خلالها بآفاق بعيدة ويختلطون بشعوب ذات ثقافات متباينة .

وتجدر الاشارة الى أن الكويتيين عانوا كثيرا نتيجة بعدهم وبعد علمائهم عن التعصب والجمود ، وطموحهم الى الرقي ، فقد تعرضت البلاد لغزوات من قبل غلاة الوهابيين[1] ، بحجة اعادة أهل الكويت الى حظيرة الاسلام .

ولعل كلمة شاعر نجد « ابن عثيمين » كافية لأن تعكس احساس هذه الفئة ومن وراءها بخطورة التحرر في فهم تعاليم الدين ؛ فالشاعر يبرر موقعة الجهراء سنة ١٩٢٠ ؛ التي افتعلها غلاة الوهابيين بدعوى اعادة الكويتيين الى الاسلام ، ويتحدث عن مصابهم وقتلاهم بكثير من التشفي :

واذكر مآثر قوم جلَّ قصدهمُ ... جهادُ أهل الردى للهِ لا السلبُ
صبَّ الاله على أهل الكويت بهم ... سوط العذاب الذى في طيه غضبُ
ظلّت سباع الفلا تفري جماجمهم ... كأنها شارب يهفو به طربُ
كم عاتق تلطم الخدين باكيةً ... تقول وآحربا[2] لو ينفع الحربُ
هذا نكال إمام المسلمين بكم ... فان رجعتم والا استؤصل العقبُ[3]

والشاعر يعلم أن الكويتيين ، وهم ابناء عمومته ، لا يدينون بغير الاسلام ، ثم أنه لا يصدر في أقواله عن عداء متعمد ، ولكنه يمثل عقليه متخلفة تظن أن الفهم المتحرر للدين يشكل خطرا يجب القضاء عليه .

---

(١) عرف غلاة الوهابيين الذين تعرضت الكويت لغزواتهم باسم « الاخوان »

(٢) في الأصل : وآحرب

(٣) تاريخ الكويت ص ٢٢٥

ولعل مما يلفت النظر أن علماء الدين الكويتيين ساهموا مساهمة ايجابية محسوسة في التصدى للمتزمتين ، على نحو ما نجد عند الشيخ عبد العزيز الرشيد حين يحدثنا عن الشيخ عبد العزيز صالح العلجي – من علماء الاحساء – فيقول :

« تكون الكويت آمنة مطمئنة ، وما هو الا أن تطأ قدمه أرضها حتى ينكر الابن على أبيه ، والأخ على أخيه ، وينشر من زيغه وضلاله ما يضج الدين منه . . . . . حكم بعضهم من جراء تعاليمه بكفر الاستاذ السيد الكبير رشيد رضا واستحلال دمه حتى حاول أحدهم قتله في السنة التي زار فيها الكويت »[1]

ولم يقف العلجي الاحسائي عند هذا الحد ، بل حاول الاتصال بالشيخ مبارك لدفعه الى قسر الناس على اتباع آرائه ، ونفي من يعارضه من الكويت ولكن مباركا تنبه لغرضه .

ومن أمثلة تعصب العلجي وجماعته ما أفتى به أحدهم من أن قتل ثلاثة من رجالات الكويت ومصلحيها يعد ثمنا لدخول الجنة وهؤلاء الثلاثة هم الشيخ عبد العزيز الرشيد ، والشيخ يوسف بن عيسى القناعي ، والشاعر صقر الشبيب .

لم يكن ذلك الضرب من التزمت مقبولا لدى الكويتيين ، ومن هنا نعرف السبب في كثرة النماذج الشعرية التي تندد بالمتزمتين ، وتعيب تشددهم في فهم الدين ووقوفهم في وجه الاصلاح والتقدم .

ويبدو أن صقر الشبيب كان يرى في هذه الطائفة سببا لكل بلاء ، الأمر الذى دفعه الى الافراط في مهاجمتهم ، والتطرف في مخاطبتهم وحين أصدروا الفتوى الشهيرة بقتله اضطر الى بيع بيته الذى يقع في الحي الشرقي من المدينة خوفا على حياته ، وفي ذلك يقول :

أظَلَّتني بشرقي الكويتِ ... خطوبُ الزمتْني بيعَ بيتي
وما بيعيكَ يا بيتي بسهل ... ولكنْ خفتُ فيكَ اليوم موتي[2]

أما الشيخ عبد العزيز الرشيد فتربطه وشائج روحية متينة بالعلماء المصلحين العرب ، من أمثال السيد رشيد رضا والزعيم التونسي عبد العزيز الثعالبي ، لذا

(١) تاريخ الكويت ص ٢٧٧
(٢) ديوانه ص ١٩

نجده يصب غضبه على الشيخ أحمد الفارسي – أحد أركان مدرسة العلجي – حين تعرض بالطعن والقدح في أعراض بعض العلماء الكبار ، كما طعن في المدارس ، ودعا الى ترك الصحف والكتب العصرية . وقد صوره على أنه من بله أهل فارس وأذنابهم، أما العلجي فأفرد للرد عليه قصيدة تقع في ثلاثمائة بيت يقول فيها :

وجئتَ لقوم في الكويت تزيغهم عن المنهج الاسنى الى المنهج الوعرِ
تذيع لديهم كلَّ يوم نصائحا ولكنها عن كلِّ خير وعن برِ
وتحسبُ أن الغش إنْ طال صقله سيخفى على أهل البصيرة والذِكْر[1]

وتفنن الشعراء في الرد على العلجي وجماعته ، وتسفيه آرائهم ، وكان السيد مساعد الرفاعي* – الذى اشتهر بالهجاء – من أشدهم مقالة في قوله :

لُذْ بالاله من الجهول الجانيْ علج العلوجِ وفتنةِ الشيطانِ
خسِرَ السعادة مُذْ هوى لتعصبٍ وتشددٍ ما جاء بالأديان[2]

واستجار ناصر الغانم بشيخ الكويت ، لينقذ البلاد مما يدعو له المتعصبون بحجة التقشف ، في حين أنهم يهدفون الى اشاعة الفرقة والعداء بين الناس :

ياشيخَنا ان الكويت لتشتكي من جور أفراد من الاخوانِ
جعلوا التفرّق دأبهم فيها فما راموا سوى التخريب للأوطان
كم مزّقوا شملا لنا بتقشف كم أوقعونا في هوى فتّانِ[3]

وقارن عبد اللطيف النصف بين ما بلغته الأمم المتحضرة من رقي وازدهار ، وما تكابد منه بلاده نتيجة تزمت المتعصبين ، الذين يحاولون اطفاء أنوار المعرفة :

رَقَت العوالم بالعلوم فأسفرت أوطانها واحلولكت ظلماتُهُ
لَعِبت به العِمّات أشنع لعبةٍ فشقي بها وشقت به عِمّاتُهُ[4]

---

(١) تاريخ الكويت ص ٢٨٠

(٢) ادباء الكويت في قرنين ص ١١٠ ط٢

* الشاعر السيد مساعد الرفاعي : ولد سنة ١٨٨٣ وتوفي في سنة ١٩٣٦ .

(٣) مجلة الكويت ج١٠ – ١٣٤٧ هـ

(٤) ديوان خالد الفرج ص ١١٧ . . . . ادباء الكويت في قرنين ص ٢٥١ ط٢ وقوله « شقت » صوابه « شقيت » .

ولعبد المحسن الرشيد مقارنة طريفة بين ما كابد منه الآباء في موقعة الجهراء عام ١٩٢٠ ، نتيجة التعصب ، وما عانت منه البلاد في عام ١٩٦٥ بسبب الضغط الذى مارسته جمعية الاصلاح الاجتماعي على الحكومة ومجلس الامة :

قالوا تحررت الكويت فقلت لا ... بل أعلنت حربا على الحريّةِ
هذى حكومتُها ومجلسُ شعبِها ... كلٌّ يُدارُ على هوى الجمعيّةِ

ويصر على رفض هذا المسلك كما رفضه الآباء من قبل :

هيهات نرضى بالتحلف مسلكا ... عمياً نسير كمثل سير الآلةِ
آباؤنا بدمائهم قد حاربوا ... جورَ التعصب قبلنا في الجَهّرةِ(١)

ويبدو أن عبد المحسن الرشيد أول من ذَهَب الى أن موقعة الجهراء في عام ١٩٢٠ ، كانت حربا بين التخلف والطموح الى التحرر .

وفي ضوء كثرة النماذج التي تناولت المتعصبين باللوم والتقريع ، وأسرفت في الشكوى من أعمالهم ، نرى أن تلك الشكوى تجاوزت حجمها الطبيعي ، الأمرُ الذى يقود الى الاعتقاد بأن بعض الشعراء أسقطوا على هذه الجماعة كلّ همومهم وأحاسيسهم التي لم يفصحوا عنها تجاه الأوضاع السائدة ؛ فدعاة التعصب كما يستشف من أقوال المؤرخين لم يجاوزوا بضعة أفراد ، كما أن جهودهم في عرقلة التطور لم تكلل بالنجاح ومع هذا صور الشعر البلاد وكأنها تعيش محنة خانقة .

ونحن لا ننكر الدور الذى حاول المتعصبون القيام به ، ولكنّا نرى أنه تعرّض للتضخيم ، أو أنه أمسى مشجبا علقت عليه مشاعر التذمر من الأوضاع والاحساس بالعجز عن اصلاحها .

الفصل الثالث

قضايا التحرر والوحدة

* قضايا التحرر والوحدة *

(١)

النزعة القومية

ان قضية التحرر كل لا يتجزأ ، وهي لا تخرج عن طموح الامة الى الانعتاق من قيود الاستعمار ورواسبه ، والسعي الى تطوير أوضاعها ، لتكون في منزلة تمكنها من المساهمة الايجابية في البناء الحضارى .

ويلاحظ أن ثمة تشابكا وتداخلا في جزئيات تلك القضية ، بحيث يكون من التعسف تقسيمها الى موضوعات مستقلة ، فالحديث عن التخلف مرتبط بالتطلع الى الرقي ، والتنديد بالاستعمار متعلق بالرغبة في التحرر ، وتمجيد المناضلين يعد الوجه المقابل للتعريض بالمتخاذلين وأعوان المستعمر .

كما أنه من غير المقبول النظر الى القضية من زاوية التقسيم الجغرافي للكيانات القائمة كل على حدة ، ذلك أن ما يجرى في أية جهة عربية يؤثر تأثيرا مباشرا على ما يحدث في الجهة الأخرى ، فالمكاسب التي تجنيها أية منطقة تقود الى مزيد من المكاسب لبقية المناطق ، والنكسات التي تلحق بأية ناحية تمتد آثارها لتصيب بقية النواحي .

ويعدُّ الشعر واحدا من الشواهد التي تصور النزعة القومية ، وتؤكد وحدة المشاعر والمصير والهدف . وقد حفل الشعر الكويتي بنماذج كثيرة تمثل التفاعل مع أحداث الوطن العربي ، والتنديد بالمستعمرين وأعوانهم ، والحث على النضال ، والاشادة بالمناضلين ، وتصوير مشاعر الابتهاج بقيام الثورات التحررية ، والاهتمام بالدعوة للوحدة العربية .

وكان من الطبيعي أن تأتي النماذج الاولى للشعر القومي صورة صادقة لمستوى وطبيعة الوعي في تلك المرحلة ، حيث الحنين الى اعادة الامجاد العربية الغابرة والاكثار من اللجوء الى التاريخ لاستثارة الهمم .

ولم يكن الوعي في المراحل المتقدمة قائما على نظرية ناضجة ، تنتقل به من مرحلة الحماسة العفوية الى طور يحمل أبعادا أكثر عمقا ، لذا كان الشعر تصويرا

عائما فضفاضا للتمنيات والأفـراح والأحـزان تجـاه ما يحيط بالأمـة .

واستغل الشعراء المناسبات الدينية والاجتماعية منذ فترة بعيدة ليثيروا من خلالها مـا يختلج في نفوسهم ، وحين تطور الأمر قليلاً بدأت القصيدة تنبع من واقع المناسبة أو الحدث الذى تلتصق به ، ان كان الحدث حادا ومباشرا ، مثل تعرض أحد الأقطار العربية للعدوان .

ولـم يكـن من المستغرب أن تمـر فـترة من الزمن قبل أن تولـد القصيدة الناضجـة التي تأتـي بعيدا عن المناسبة ، بحيث لا تكـون استطرادا لهـا ، أو استجابـة عفويـة لحـدث مباشر ، وهـذه الحقيقـة لا تنال من قيمة الشعر القومـي المبكـر ، وانما تضعه في اطـاره التاريخـي الحقيقـي ، في المرحلـة السابقة لنضوج الوعي وتعمقـه .

ويتميز الشعر القومي المبكـر بكونه يمثـل الاستجابـة التلقائية لاى حدث يقـع على الأرض العربيـة ما بين المحيط والخليـج ، فسيان أن يكـون الحدث اعتداء ايطاليـا على ليبيا ، أو مؤامـرة بريطانية في فلسطين ؛ فالشاعـر يعرض للوضـع السيئ في المغرب بـذات الدرجـة من الحماسة التي يتناول فيها أوضاع الخليـج ، كما أنـه يفخر بامجـاد بغـداد قـدر فخره واعتزازه ببطولات الجزائـر .

وممـا يلفت النظر أن الشعر الكويتي لم يتناول الاستعمار العثماني ، كمـا تناولـه الشعر في الأقطار العربية الأخـرى ، وربمـا يعود ذلك لأسباب مـن أهمهـا أن البـلاد لم تتعرض لـلاحتـلال العثماني المباشر ، ولم تشهد مـن صنـوف الاستبـداد مـا شهدت بقية الأقطـار ، وهـذا وحده لا ينهض مبررا للسكوت عـلى جرائـم العثمانيين ، حيث أن الشعر نـدد في المقابـل بالاستعمار الفرنسي والايطالي وان لم تقـع البـلاد في قبضـة الفرنسيين أو الايطاليـين .

ويمكـن أن نلتمس مـبررا ثانيا لاغفال تلك القضية ، فقـد بـدأت البلاد تشعـر بالخطـر البريطاني ، الـذى أطبق عـلى الخليج العربي ، حين بدأ بعمان وانتهى الى الكـويت في عـام ١٨٩٩ ، يضاف الى ذلك التأثـر بآراء بعض المصلحين العرب ، مـن أمثال الشيخ محمد الشنقيطـي والشيـخ حافظ وهبـه ، اللـذيـن كانا يريـان في الدولة العثمانية المسلمة درعـا يقـي المنطقـة من النفوذ البريطانـي .

ولم نجـد عـن العثمانيين – فـيما وصلنا مـن الشعر الكـويتي – سوى اشارة خـاطفـة لـوحشية « جمـال السفّاح » ، وردت في ثنايا قصيدة متـأخـرة لمحمـود الأيـوبـي * حين

قـــال :

حتى اذا هاج مفتونا بصولته «جمالُ» يشنق من أحرارها فيها
ثاروا وهبّوا جميعا من مراقدهم وهدّموا من قلاع الظلم عاليها
سارت مواكبهم نشوى يُؤرّقها سوقُ التحرر من أيدي أعاديها [1]

واتخـذ التعبير عن ضعف الامـة وتفرقهـا اسلـوبـا عفويا ، في بادئ الأمـر . غـلب عليه التأثر العاطفي ، سواء في تصويـر الألم والجـزع ، أو في تصور سبل الخلاص ، عـلى نحو ما نقـرأ عند ناصر الغانم ، الذى عـبر عن جزعــه ممـا ألم بالأمـة من ضعف وتفــرق ، نتيجـة شيوع الضغائـــن والعداوات :

جزعتُ وما خوفا من البينِ أجزع وما هالني أمرٌ به القلبُ يفزعُ
ولكنني أخشى تفرُّقَ امه لها الله من دون البريةِ مفزعُ

ويـلاحظ أن مفهوم الاسلام مختلط لـدى الشاعـر بمفهـوم العروبـة ، فهو يخاطب قـومـه العرب بقــولــه :

فيا أُمَّةَ الاسلام هذى جموعُكم ألمَّ بها خطب عظيمٌ مزعزعُ
إذا أصبحت ألفيتها في تفرُّقٍ وانْ هي أمست فالضغائن تصرَعُ [2]

والشيــخ عبد اللـــه النورى* ، وان لم يجـاوز سابقه كثيرا من حيث تصوره للـواقـع العربي ، إلا أنه يتقدمـه خطوة حين يجعـل « العروبـة » عنوانا لقصيدته التي يعبر فيهـا عما أصاب الامـــة فـأزال نضرتهـــا :

الحزنُ قرّحَ بالبكا أجفانَها وأزل نضرتَها وأسقط شانها
لبست حزينةً السوادَ وأسبلت دمعا يجدد دائما أشجانها
لهفي عليها حسرة لهفي على عليائها تبكي أسى أعوانها
تبكي الذي فقدته من أبنائها وحمى حماها منعة وأعانها [3]

(١) الحان الثورة – ص ٤١٤ ولعل قوله ، « سوق التحرر » تصحيفٌ صوابه « شوق التحرر » ، مع أن قولهم سوق الحرب يعني ساحة الحرب .

* الشاعر محمود شوقي الايوبي : ولد في عام ١٩٠١ وتوفي في ١٩٦٦/٣/٢٣

(٢) مجلة الكويت ج ٨–١٣٤٧ هـ

(٣) من الكويت ص ١٦

* الشاعر الشيخ عبد الله النوري : ولد عام ١٩٠٥ . وهو يعمل حالياً في المحاماة والوعظ .

وينتقل الشعر خطوة الى الأمام ، فيجاوز العرض المبهم والتعميم في الكلام عن المشكلات المصيرية ، فالتفرق ليس قدرا محتوما ، أو قضاء مكتوبا على الامة ، لا تعرف أسبابه ولا يدرك كنه مبرراته ، وما دام كل واقع يُعَدُّ نتيجة حتمية لمقدمات وعوامل قادت اليه ، فلا بد من كشف النقاب واذاعة ما يجول في النفس دون حرج أو تردد .

وكان طبيعيا أن يلجأ الشعر في تشخيصه للعلاج الى أساليب أكثر واقعية ، وهنا نلحظ الاتجاه الى التشديد على ضرورة النهوض بالعلم ، والاستفادة من منجزاته ؛ اذ بغير العلم لن يقدر للامة أن تلحق بركب الامم المتحضرة .

ونجد في هذا الصدد كلمة مبكرة لعبد الله الصانع * عن التناحر الذي تعاني منه منطقة الخليج ، نتيجة الصراع بين المشائخ ، حيث يسود الجهل وتحتجب أنوار المعرفة ، يقول مخاطبا صديقه شاعر دبي أحمد بن سلطان آل سليم :

الله أكبر آن يبدو الذي ... يخفي الأديب من الأمور ويكتمُ
قل لي فدتك النفس[قل[1]] حتى متى ... نار العدى بين المشائخ تضرَّمُ
فالى م بأسهمُ قويٌّ بينهم ... والى م داءُ الجهل فيهم يقضمُ

ويخلص الى أن العلاج انما يكون بالاتحاد ، وبالاستفادة من منجزات العلم :

فعلى الوفا والاتحاد تعاهدوا ... والى المعارف والعلوم تقدموا[2]

وأكثر صقر الشبيب من ذكر الجهل ، وبيّن أنه السبب الأول في كل ما أصاب الأمة من ضعف وتفرّق ، والحّ على ضرورة الاهتمام بالعلم ، وتفنن في عرض آرائه فتارة نراه يلجأ الى التهكم والسخرية في مثل قوله :

والجهلُ – والحمد له – مُريحُنا ... من كلِّ ما نضمرُ منه الرَّهبَا
والشعبُ طوعٌ للهوى والهزء إنْ ... بكلِّ شِعْبٍ لم يكنْ مُنْشَعبا[3]

---

(1) في الأصل « قل لي فدتك النفس حتى متى . . . » وصوابه « قل لي فدتك النفس قل حتى متى . . » انظر مجلة الكويت – ج ١٠–١٣٤٧ هـ . ومجلة البيان – أيار ١٩٦٧

(2) مجلة الكويت ج ١٠–١٣٤٧ هـ

* الشاعر عبد الله العلي الصانع : ولد سنة ١٩٠٢ وتوفي في ١٧/٢/١٩٥٤

(3) ديوانه ص ١٥٦

ونراه تارة أخرى جاداً ، يحرص على الفصل بين التمسك بالدين ، ومسايرة ركب التطور والتقدم والأخذ بأسباب العلم ، اذ لا تعارض بين الجانبين ، يقول عما يعاني المؤمنون بأهمية نشر العلوم :

كُلَّما قام مخلصٌ ينصح النا ... سِ ويهديهمُ سبيلَ الرشادِ
كفرَّتهُ عمائمٌ قِرب الجهـ ... ـلِ اليها مِنّا بعيدَ المُرادِ

ويضيف أن المتعصبين لو فقهوا حقيقة الدين لوقفوا حائلا دون تفرّق أبناء الأمة ، ولردّوا كيد أعدائها :

إنَّ آيَ التنزيل لو قرؤوها ... آملي الوعْدِ خائفي الإيعادِ
لَغَدوا بيننا وبينَ التنافي ... والتجافي سَدًّا من الأسْدادِ
وأعادوا ذوي الشّماتة بالعر ... بِ جميعا وهم من الحسّادِ[1]

ويزداد اهتمام الشعراء بالمناسبات الدينية والاجتماعية ، وتتحول المساجد والنوادي والمدارس الى منابر لاذاعة الشعر ، فحين تمر ذكرى المولد النبوي أو مناسبة الهجرة أو المعراج ، يتسابق الشعراء الى احياء تلك المناسبات ، وتبدأ القصيدة عادة بذكر المناسبة ، ثم لا تلبث أن تتخلص الى تناول الأوضاع العربية .

وكذلك يفعل الشعراء حين يفد الى البلاد أحد الزعماء أو المصلحين العرب، إذ نجدهم يتبارون في الاحتفاء به ، ويكون استقبالهم له مناسبة لطرح ما يضطرب في نفوسهم من مشاعر قومية ، مع الحرص على المقارنة بين مسلك الآباء ، وما بلغوا من رفعة ومجد ، وما انتهى اليه أمر العرب من بعد حيث الضعة والتمزق .

فالشاعر فهد العسكر ، وهو يحيي المولد النبوى يحرص على ذكر مآثر الأقدمين :

حدّث على الفاروق عنوان العدا ... لةِ كيف شادَ الملكَ والسلطانا
وعن الغضنفر سعد هلا زلزلت ... بزئيرها أشباله الايوانا

ويمضي في ذكر أعمال خالد بن الوليد ومعاوية بن أبي سفيان.وطارق بن زياد وهارون الرشيد وغيرهم ، وينتهي الى وصف حال العرب :

---

(١) ديوانه ص ٢٠٩

عبثَ الفسادُ بنا فبعثَرَ مُلْكَنا والجهلُ شتَّتَ شملَنا فكفانا[1]

ويسلك عبد الله النوري الطريق ذاتها في قصيدة له بمناسبة المولد النبوي حين يعدد مفاخر الجدود في المغرب ومصر والعراق والشام :

وعرّج على الشام وانزل بها دمشق وغنٍّ الغناء الشجي
بذكرى زمان مضى لكرام بَنَوا ثَمَّ عرشا لهم أموي

ويأتي على ذكر موسى بنِ نصير وطارق بن زياد ، وعمرو بن العاص ، والمنصور والرشيد والمأمون ليصل الى وصف حال البلاد الآن :

بلادُك تشكو السقام الأليم وأنت بدفع بلاها حري
أصَمَّت مسامعَ أبنائها تقول إليّ انهضوا أي بَني[2]

وكان قدوم المصلحين العرب الى البلاد أمرا يستثير القرائح ويهيّج النفوس ، فكأنها تنتظر تلك المناسبات لتستقبلهم بما هم أهل له ، ولتنثر أمام مسامعهم المشاعر المتأججة .

ويلاحظ أن الزعيم التونسي عبد العزيز الثعالبي حظي بقدر من الاهتمام لم يحظ به سواه ، فما يكاد يحل بالبلاد حتى ينهض الشعراء الى استقباله بالصورة التي تليق بمقامه في النفوس .

فحين زار الكويت في عام ١٣٤٥ هـ – ١٩٢٧ م أقامت له مدرسة السعادة حفلة تكريمية ، تبارى الشعراء خلالها في تكريمه ، ثم في توصيل وجهات نظرهم اليه ، ومما قال محمود الأيوبي :

يازعيم العرب أنعشت بنا أملا كاد يلاشيه الدّمر
يامثير العرب الأحرار في تونسَ الخضراء لبّتك الزّمر
يازعيم العرب وثَّبْتَ بنا ثورة التحرير من بعد الضجر[3]

وفي زيارة الثعالبي الأخرى للكويت سنة ١٣٤٧ هـ – ١٩٢٩ م لم يستطع صقر الشبيب حضور الحفل الذي أقيم لتكريمه ، فأناب عبد اللطيف النصف ليقرأ قصيدته بين

(١) فهد العسكر : حياته وشعره ص ١٤٣ ط٣

(٢) من الكويت ص ٨٣

(٣) الحان الثورة ص ١٨٨

يديه ، ولأن صقرا يرى في التعصب والمتعصبين سببا لكل بلاء تعاني منه الأمة ، لذا نجده يحرص على أن ينقل للثعالـبي هذا الاحساس الذي يلحّ عليه ويقلقه ، ويكاد يكون سمـة غالبة على شعره ، ولعله يطمح في أن يجد الزعيم التونسي-بما له من قوة تأثير – مخـرجا للامة من تلك المحنة التي تعطّل انطلاقتها :

هل في صحيحِ الدين مايدعوا الى | مُرْدي التفرُّقِ والتعادي المُتْعِسِ
كَلاّ . ولكنْ ناصِبُره كُفَّةً | عَكَسُوه عمدا ويْلهم من عُكَّسِ

ويختم قصيدته بتوكيد أهمية الدور الذي يمكن أن يؤديه الثعالـبي :

فمَنْ الذي من بعدواحدِ تونس | نرجو لاسكاتِ العوادي الرُّجَّسِ[١]

وكان خالد الفرج في البحرين حين زارها الثعالبي ، فاشترك في الحفل الذي أقيم لاستقباله هنالك ، وبعد أن حيّاه عرّج على عرض حال الوطن العربي ، وما يعاني من جهـل وتخلّف :

عبدَ العزيز وأنتَ أفضلُ قادم | وافي بوقت للنهوض مُناسبِ
بلَغت بنا النفسُ التراقي من عنا | جهلٍ لأطنابِ المذلة ضاربِ

وانتهى الى مطالبته بأن ينشر خبايا ما رأى من وجوه النقص خلال زيارته للجـزيرة العربيـة :

فاكتب وعظ وأنشر خباياها لهم | في الخافقين فأنت أكبر كاتب[٢]

وربما تعلق الشعراء ببعض الخطوات الأولية التيتمت على طريق التضامن ورأوا فيها بادرة ايجابية ، لعلها تبعث الأمل المندثر حول جمع شمل العرب ، على نحو ما نـرى عند راشد السيف * ، الذي حيّا جامعة الدول العربية ، حين أعلن عن قيامها وأكد في الوقت ذاته أن الأمر لا يصلح الا بتضافر جهود أهل الرأي :

لولا التفاؤلُ ياعزّام[٣] أدركني | قبل التضامن عن تفكيركم أجلي

---

(١) ديوانه ص ٣٢١

(٢) ديوانه ص ١١٢

(٣) يقصد عبد الرحمن عزام أمين جامعة الدول العربية آنذاك

لا يصلح الأمرُ الا أن تقوم به | عواهلُ الرأي والأقطابُ في الجدل
وثورةُ من مفيد العلم ثروتها | تنمو سريعا لقمع الظلم والخطَل[1]

ولعل أحمد العدواني يمثل بداية مرحلة جديدة ، حيث أخذت القصيدة القومية أو السياسية تنسلخ عن تبعيتها لشعر المناسبات وعن الالتصاق المباشر بالأحداث لتستقل بموضوعها ، وتنحو في معالجته نحوا جديدا يعتمد الشمول والبعد عن الجزئيات ، مع الاستعانة بالوسائل الفنية المتطورة كالرمز ، يقول من قصيدة له بعنوان « نداء » :

رعاةَ الشاء في دهم الروابي | أفيقوا فالحمى وشكَ انتهابِ
توسّدت الثعالب جانبيه | ولابت حوله طلس الذئاب
فان لم تنفضوا البحران عنكم | أُخذتم في السهول وفي الهضاب
ولن يغنيكم صوتٌ وصولٌ | اذا زحف الخراب الى الرحاب
ولا ندم ولا أسفٌ مُقيلٌ | من العثرات في كهف العُقاب[2]

(١) مجلة كاظمة تشرين أول ١٩٤٨

* الشاعر راشد السيف : ولد عام ١٩٠٠ وتوفي في ١٩٧٢/٢/١٣

(٢) مجلة البعثة – شباط ١٩٤٩

(٢)

التفاعل مع الأحداث العربية

لم تقف المسافات حائلا دون التفاعل مع أحداث الوطن العربي من محيطه الى خليجه ، وعلى الرغم من كون فلسطين محور الاهتمام الأكبر ، الا أن ذلك لا يعني اغفال بقيّة الأقطار العربية ونضالها من أجل التحرر ، فقد فضح الشعر أساليب المستعمرين وأعمالهم الوحشية ، ودعا الى مساندة من يتعرضون للعدوان ، كما مجّد المخلصين والمناضلين في سبيل حرية الأمة ، وعمل على كشف المتخاذلين والمنحرفين ، وسيان أن يقع الاعتداء ، أو الظلم على البحرين ، أو تكون الجزائر الهدف ، فالأمر في كلا الحالين مثير مهيّج للقرائح ، ومن هنا نرى عبد الله النورى يهب لاستنكار الارهاب الايطالي في ليبيا ، ففي عام ١٩٣١ نشر قصيدة حول هذا الموضوع ، بعنوان « لا فخر لمن ذل » ثم أتبعها بأخرى بعد عام ، حين قال مندداً بوحشية الايطاليين وأعمالهم الشائنة في طرابلس :

قُبْحاً لكم يا بني روما فبغيكُمُ ... جَنَيْتمُ فيه يا ظُلاَّمُ شنآنا
سفكتمُ الدَّمَ عدوانا بلا سبب ... أيْتَمْتمُ النشء طفلات وولدانا
وفعلُكمْ ما فعلتم في طرابلس ... ياجندَ «فاشست» عصرَ النورِ قد شانا
زلزالُ ظلمكمُ والله إنَّ له ... ناراً تفجَّر فيما بعدُ بُركانا
وحشيَّة يا بني روما البغاة لقد ... نلتم بها عند كل الناس أضغانا[1]

ويلاحظ أن الجزائر احتلت من ديوان الشعر الكويتي حيزاً كبيراً ، نظرا لما عانت من شراسة المستعمر وسعيه الى طمس وجهها العربي ، ثم لما بذل شعبها من تضحيات جسام ، لذا نلمس الاهتمام بتمجيد بطولاتها ، والاشادة برجالاتها،واستنكار تقصير العرب عن مساندتها كما ينبغي ، والتنديد بوحشية الاستعمار الفرنسي .

ويبلغ الأمر حد استغراب بعضهم من انغماس أجهزة الاعلام في اذاعة اللهو في وقت تكابد الجزائر فيه صنوف العذاب ، وتحتاج الى انصراف كل الجهود لنصرتها ، ومن ذلك قول صقر الشبيب :

(١) من الكويت ص ٣٤

دعوا الجزائرَ تلقي الويلَ والحَرَبا — ثم ادّعوا انكمْ ما زلتمُ عَرَبا
لو لمْ نَزَلْ عربا لم تَلْقَ اخواتنا — من دوننا كلٌّ ما قد آد (1) أوكَرَبا

. . . . . .

ما للاذاعات بين العرب دائبة — تبثُ ملء الشروق اللهوَ والطَرَبا
كأنها حسبتْ أهل الجزائر في — ما يقتضي طول بثّ اللهو والدَّأبا

ويخلص الى أن العرب لو نهضوا كما تتوقع الجزائر منهم أن يفعلوا لتغيرت الحال :

ولو نَهضتم كما رَجَّوا لما حَبَسَت — عنهم ذئابُ فرنسا النصرَ والغَلَبا (2)

وتتبّع الشعر مراحل الثورة الجزائرية منذ انطلقت أول رصاصة الى أن تحقق النصر ، مرورا بما عانت من تعذيب وتشريد لقادتها .

ويصف عنجري أحمد العنجري * ثوار الجزائر بأنهم خبروا كنه الحياة ، وعرفوا طريق الخلاص فسلكوها ، غير عابئين بما سوف يلحقهم من أذى :

قد أدركوا كُنْهَ الحياة فجيّشوا — جيشا يقضُّ الغاصبَ الجبّارا
لم ينثنوا رغم التعسفِ والقِلى — وكذا الأبيُّ يرى المذلةَ عارا
لا يذعرون من المدافع إنْ دَوَتْ — حتى ولو صار النجيعُ بحارا (3)

ويفخر خالد سعود الزيد * باولئك الرجال الذين طهّروا قمة الأوراس بدمائهم وتضحياتهم :

سلْ قمةَ الأوراس مَنْ زانها — مجدا ومن طَهَّرها بالدَّم
نحن قريناها بأرواحنا — أكرمْ بها والمطعمِ المكرم
أيامُنا في الدهر مشهودةٌ — ماعابها مَيْنُ الحقودِ العمي (4)

---

(1) آد : أثقل
(2) ديوانه ص ١٥١
(3) جريدة صدى الايمان ١٩٥٥/٤/١
(4) مجلة البيان آذار ١٩٧٣
* الشاعر عنجري أحمد العنجري : ولد في عام ١٩٣٨ ، ويعمل في شركة الزيت العربية « اليابانية » .
* الشاعر خالد سعود الزيد : ولد في ١٩٣٧/١/٢٧ – يعمل في وزارة المواصلات بوظيفة مراقب الشؤون الادارية

ويعود عبد اللطيف النصف الذي هجر الشعر منذ زمن بعيـد ليحيي انتصار الجزائر على أعدائها ، وليفخر ببطولات الجزائريين :

لمن الشعب فوق أرض الجزائر ... ملَّت الأرض تحته وهو صابِر
فانظروا هل قتيبة والمثنّى ... بعثا في صفوفها وابن عامرْ
أم على الخيل خالد قاهر الأبـ ... ـطال يوم الوغى بحدّ البواترْ
أم هو الليث طارق يعبر البحـ ... ـر ويَنْقَضُّ كانقضاض الكواسرْ
. . . .
حشد القوم كلَّ أسلحة المو ... ت لكي يظفروا فكنت الظافر[1]

وعن المغرب « مراكش » تحدث خالد الفرج ، فسخر من فرنسا التي لقنت في الصين درسا قاسيا ، كما سخر من قومه الذين لا يملكون غير الاحتجاجات :

يا شمسُ إما غِبتِ عن « طنجة » ... ثم على الصين خلعت الشروق
تري بني باريس آسادها ... في الصين أعتاهم كفأر غريقْ
تمضي فرنسا في اعتداءاتها ... ونحن لا نملك الا النقيقْ[2]

وتوجه بالخطاب – في قصيدة أخرى – الى الرئيس الامريكي ايزنهاور ، فأخبره بما ترتكب فرنسا من مظالم في القطر المغربي ، وكأنه يريد أن يستنجد به :

يا ترى هل للرئيس الـ ... ـحر مقياسٌ يقيسْ
إنَّ قطر المغرب المسـ ... ـكين بالظلم تعيسْ
من ظلامات فرنسا ... وبما كانت تسوسْ[3]

ومن أقصى المغرب العربي تنقلنا مشاعر خالد الفرج – التي لا تعرف الحدود – الى أقصى المشرق ، ليعرض الوضع في البحرين بعد أن شهدت انقلابا قام به الميجر ديلي ضد حاكمها الشيخ عيسي بن على آل خليفة ، فاستولى على السلطة ، وخنق الحريات ، وزج بالأحرار في السجون :

وهذه البحرين مغلولةٌ ... يقودها الغرب الى حفرته

(١) جريدة الهدف ١٩٦٢/٢/٢٥
(٢) ديوانه ص ٢٠٧– خالد الفرج حياته وآثاره ص ٧٥
(٣) ديوانه ص ٢٢١– خالد الفرج حياته وآثره ص ٧٤

يخنقُها الغربي في كفِّها وباسمها يستر من سوأته[1]

ويشير عبد الله سنان * الى محنة عمان ، حين تعرضت للعدوان البريطاني فقاومته ببسالة ، على الرغم من ضعفها :

هنّئوا سكسونَ بالنصر المبينْ واهتفوا حيّوا الأسودَ الفاتحينْ
هنئوها بانتصارات على أُمّة عزلاء تأبى أن تلينْ
قاومت انجلترا « نزوى » كما قاوم الاسطولَ أشبالُ العرينْ
قاومت مؤمنةً بالحق لا تنحني والفوز حلفُ المؤمنين[2]

ولم يكن أعوان الاستعمار ، والحكام المستبدون في المنطقة العربية بمنأى عن غضبة الشعر ، وعن عينه التي لا يفوتها ان تواكب الأحداث ، وتكشف ما يستتر وراءها .

ويلاحظ في هذا الصدد الاهتمام بمتابعة تغيرات الوضع الداخلي في العراق بصفة خاصة ولعل ذلك يعود الى تعرض العراق لكثير من المؤامرات الاستعمارية والشعوبية التي كانت تهدف الى تعطيله عن أداء دوره النضالي ، ثم الى انعكاس واقعه على منطقة الخليج بشكل مباشر ، ففي قوّته وتحرره دعم لتلك المنطقة التي تعيش في حال مزرية من التمزق والضعف . وفي تشويه وجهه العربي ما يؤدي الى مزيد من الهوان والضياع .

ومن هنا نجد الشعر – وان لم يغفل الأوضاع العربية الداخلية –يعني برصد أي انحراف أو تعثر في مسلك ولاة الامور في العراق .

وقد لقي نورى السعيد الكثير من النقد ، نظرا لانتهاجه سياسة الموالاة للانجليز، وسعيه الى ربط بلاده بسياسة الأحلاف الاستعمارية ، وفي ذلك يقول محمود الأيوبي :

نوري السعيد ومن والاه من نفرٍ شُلّتْ أياديهمُ بالغدر قد مُرنوا
همُ الخيانة في أشقى مخائلها تكشّفَت وبها كم عُذِّبَ الوطنُ [3]

---

(١) ديوانه ص ١٣٠– خالد الفرج حياته وآثره ص ٤١

(٢) نفحات الخليج ص ١٩١

* الشاعر عبد الله سنان محمد : ولد في عام ١٩١٦ . يعمل في ادارة مكتبة صغيرة يمتلكها . بعد أن تقاعد من وظيفته الحكومية . (٣) ألحان الثورة ص ٧٩

ولم ينج عبد الكريم قاسم من التقريع واللوم ، فعبد الله سنان كان يتوسم خيرا ، بقيام ثورة ١٤ من تموز ١٩٥٨ ، ونهاية عهد نوري السعيد وجماعته ، وخاب ظنه حينما انقلب قاسم عن أهداف الثورة ، وفسح المجال للعناصر الشعوبية كي تتنكل بالأحرار :

كُنّا تَوَّسمنا بهم خيرا فما قصدوا الهداية
فكما هوى عبد الالَه وقُطِّعت أوصالُ نورى
فلسوف يلقى المجرمونَ وحمرهم نفس المصير[1]

وللشاعر نفسه قصائد أخرى في هذا الموضوع .

وثمة قصيدة فريدة في بابها لمحمود الأيوبي ، تناول فيها قضية الظلم الاجتماعي في منطقة الجزيرة العربية والخليج ، فعلى الرغم من تدفق الزيت بغزارة فالمنطقة ما تزال تعيش في حال مزرية من الفقر والجهل والتخلف ، أما الموارد الضخمة فتتجه الى خزائن المستعمرين المستغلين ، والحكام المحليين الذين أعماهم الجشع والشره عن التفكير في النهوض ببلادهم ، وتوجيه مواردها لخدمة البؤساء ، وهو يفصل جوانب القضية بجدية وعنف لم نألفهما فيما وصلنا من شعره ، إذ يبدأ بوصف الكيانات الضعيفة المبعثرة في المنطقة :

في كلِّ أرضٍ سريرٌ فوقه صنمٌ مُرَقَّشٌ يتعالى بينَ أوثانِ
هذا وجيه وهذا عندنا ملِكٌ كلاهما لأمانينا عدوّانِ

ويشير الى جوع الملايين وبؤسها وجهل ولاة امورها :

هذي الملايينُ فاز المستغلُّ بها وللرعيةِ منها كلُّ حرمانِ
مدينةٌ حولَها من كلِّ ناحيةٍ مدينةٌ ملؤها فقرٌ وجهلانِ
جهلُ الرعاةِ وجهلُ الساكنين بها كلاهما عند أهلِ الفكر خصمانِ

ويبين من ثم كيفية ضياع الثروات الضخمة :

وللكنوزِ التي ضَمَّتْ جزيرتُنا غولانِ من شَرَهٍ قاسٍ ولصّانِ
صنفٌ من الزعماءِ الخائنينَ لهم صنفٌ من اللؤمِ في أبرادِ إحسانِ[2]

(١) نفحات الخليج ص ٢٢٧

(٢) الحان الثورة ص ٤٢١

(٣)

الحث على النضال ضد الاستعمار وأعوانه

لم يكن من المقبول الوقوف عند الشكوى والتذمر ، والتنديد بما يمارسه المستعمرون وأعوانهم ،في الأقطار التي أنشب الاستعمار فيها مخالبه ، فلابد من حث الجماهير على النضال والجهاد في سبيل التحرر ، فالحرية لا تنتزع الا من خلال العمل الدائب والتضحيات الجسام ، كما أنه لابد من توجيه اللوم الى المتخاذلين الذين يكتفون بالتفرج ، والى الذين تستنزف القضايا الثانوية اهتماماتهم ، وتصرفهم عن التنبه للحظر الذي يستهدف وجودهم .

وها هو ذا فهد العسكر يصوّر العصر على أنه لا يفهم سوى لغة الحديد والنار أما الأخاء والمساواة فلا وجود لهما :

يا بني الفاتحين إنّا بعصر — لا مساواة فيه لا مدنيّه
لا أخاء كما ادّعوا لا حقوق — لضعيف عان ولا حريّه
لغة النار والحديد هي الفصـ — حى وحظ الضعيف منها المنيّه
يا بني الفاتحين حتّام نبقى — في ركود أين النفوس الأبيه[1]

ويشدد عبد المحسن الرشيد على أهمية القوة ، ويحذر من أباطيل السياسة التي تتخذ لها في كل يوم لونا جديدا :

وإنّا بعصرٍ للقوى تحكّمٌ — بكلّ ضعيف يستكين له رعبا
فمن كان ضرغاما يُهابُ ومن يكن — خروفا يجد من كلّ ناحية ذئبا
فخلّوا أباطيلَ السياسة إنّها — لحرباء تبدي كلّ يوم لها ثوبا

ثم يدعو الى ضم الصفوف والتضحية في سبيل الوطن ، ويحذّر من التفرق :

وظنّي بقومي أن يضموا صفوفهم — وأن يضربوا كفاً وأن يحملوا قلبا
وأن يعرضوا عن كلّ داعٍ لفرقة — وهل تطرب الغربانُ سامعَها نَعْبا[2]

ولأحمد العدواني اسلوبه الخاص في الدعوة الى العمل ، فهو يطالب بأن نكون واقعيين ،

(١) فهد العسكر : حياته وشعره ص ١٣٩ ط٣

(٢) أغاني ربيع ص ٢٧

إذ لا فائدة من التوقف عند شيء انتهى ، بل لا بد للقادم أن يكمل ما بدأ السابق :

يا أخي إنْ متُّ لا تبـ كبْ على قبريَ دَمعهْ
بل خذ الشمعة من كفّـ ـي وكنْ في الليل شمْعَهْ
إنني منكَ قريبٌ كلمّا ضوّأتَ بُقْعَهْ
وتركتَ الليلَ يهوي قطعةً في إثر قِطْعَهْ

واذا ما سار الأمر على هذا المنوال فلا محل للخوف أو اليأس ، إذ أن سنة الحيـاة لا تسمح لما يخالف الطبيعة بالبقاء :

لا تخفْ من جامدٍ مهـ ـما تعالى وتجبَّرْ
سوف يمضي كسحابٍ لامسَ الريحَ فأسْفَرْ
أضعفُ الأشياء شيءٌ ثابتُ لا يَتَغيَّرْ
البِلى تنخرُ فيهِ وهو لا يملكُ دَفْعَهْ[1]

ويرافق الدعوة الى النضال واعتماد القوة بروز الاحساس بأن التعلق أو التشدق بأمجاد الماضي لم يعد أمرا سارا أو مشرفا ، فما قيمة الادعاء بأن الآباء حققوا من المنجزات الحضارية ما يدعو الى الاعتزاز في الوقت الذي يعيش فيه الأبناء واقع الذل والهوان ؟
وفي هذا المعني يقول عبد الله أحمد حسين :

فاتركونا من التشدقِ بالمجـ ـدِ فمن أنتمُ وذكرُ المآثرْ
....
كم فتحتمْ وكم ملكتمْ وسدتمْ فارقدوا الآن في بطونِ المقابرْ
خالدٌ منكمُ وسعدٌ وعمرو فاكتفوا منهمُ بما في الدفاترْ

وينتقل من بعد الى الحث على الجهاد باسلوب ينم عن التذمر :

فالجهادُ الجهادُ بُحَّ لنا الصو تُ وكلّ في مهْمَةِ الفسقِ سادِرْ
والثباتُ الثباتُ إنْ زعزعَ الحـ ـقُ وساءت من الطغامِ السرائرْ
وتراءت نواجذُ الشر تجتا حُ عريناً صافي العروبةِ طاهرْ[2]

(١) جريدة الطليعة – ١٩٦٤/١/٨

(٢) مجلة كاظمة تشرين أول ١٩٤٨

ويبقى الجهاد والتضحية السبيل الذي لا مفر منه لبلوغ الغاية ، وبقدر ما يُطلب الموت تكتب لطالبيه الحياة ، كقول عبد الله زكريا الانصاري * :

فاطلبوا الموتَ بالجهادِ لتحيوا ... وانشدوا العزَّفوق هام الأضاحي
قد أتت ساعةُ الجهادِ وقد د ... قَّت فحيّوا على العُلا والفلاح
فحياةُ الفتى على الشوكِ أحلى ... في ذرى العزِّمن خدودِ الأقاح (١)

أما السلم ، أو المسالمة بمعنى أدق فلا محل لها حين يشعل العدو لظى الحرب والعدوان ، انها لا تعدو أن تكون حينئذ ضربا من الجبن ، لذا يحذّر أحمد السقاف من خديعة السلم ، ويبارك الجهاد ويحث عليه :

باركَ الله في الجهادِ ولا عا ... شتْ نفوسٌ تعيشُ عيشَ البهائمْ
أيُ معنى للسّلم إنْ سعَّروا الحر ... بَ وما قيمةُ الجبان المسُالمْ
ذا أوانُ النهوضِ يا معشرَ العر ... بِ فلا عذرَ بعد ذاكَ لنائِمْ (٢)

ومن حق المناضلين الذين لبّوا نداء الواجب أن ينالوا التقدير والتكريم الذي يستحقون ، فمنهم من أرخص دمه ، وبينهم من تعرّض للتعذيب أو النفي . وعلى الرغم من كل الظروف القاسية التي عاشها الوطن العربي ، فما زال الشعب يدفع الى مذابح الحرية بقوافل الشهداء ، وما برح المؤمنون بحق أمتهم في الحياة يستسهلون التعذيب والقهر في سبيل ما ينشدون .

وحري بالشعر أن يسجل للمناضلين والمخلصين ما قدّموا من تضحيات وما حققوا من مكاسب ، وأن يعبر عن مشاعر الاعتزاز والفخر بهم ، وأحاسيس الألم لما يعانون من أذى ومصاعب .

فحين هب أبناء الريف المغربي بقيادة الأمير عبد الكريم الخطابي لمقاومة المحتلين ، وذلك ما بين عامي ١٩٢١ و ١٩٢٦ ، ترددت أصداء تلك الثورة في الكويت ، فسجّلها عبد اللطيف النصف في قصيدته « الى أسد الريف » التي أشاد فيها بالخطابي وبطولته قبل أن يضطر الى الاستسلام :

---

(١) مجلة كاظمة تموز ١٩٤٨

(٢) مجلة كاظمة أيلول ١٩٤٨

* الشاعر عبد الله زكريا الأنصاري : ولد في عام ١٩٢٠ – ويعمل مديراً لادارة الصحافة والثقافة بوزارة الخارجية .

طَلَعْتَ فظنّوا في ثيابكَ طارقا   وذكّرْتَهم أيامَ طارقَ فيهمُ
صدمْتَهمُ وسطَ الملاحمِ صدمةً   فكم بعدها ثكلى ترِنُّ وترزِمُ
فلله يوم فيك قد شهد العدا   حساما جلاه اللهُ لا يتثلّمُ
فقد علمت مدريدُ انّك فاتحٌ   وقد شهدت باريسْ أنّكَ ضيغمُ[1]

ويطوف بنا الشعر أقطار المغرب العربي ، فيحيي مناضلي الجزائر وتونس وليبيا ويتحول الى مصر فينوه بالمخلصين من أبنائها ، وينتقل الى أقطار الشام فالعراق ليشيد بقادتها ويمجد أعمالهم ، وينتهي الى الخليج العربي فيخص البحرين بنصيب وافر من الاهتمام ، نظرا لصلابة شعبها في النضال .

وها هو ذا خالد الفرج الذي لا يكاد يغفل حدثا عربيا ينعي « أمين الرافعي » حين توفي في عام ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٨ م ، لأنه فتح صدر جريدته « الأخبار » لنشر أعمال الانجليز ضد البحرين ، ولم يفته في هذه المناسبة أن يذكر بزعماء الشعب العربي في مصر مثل سعد زغلول ومصطفى كامل :

هذه مصرُ رماها دهرها   برصاصات المنايا فأصابا
ثكلت بالأمس « سعدا » بدرَها   فاذْلَهمّتْ ظلمةً والبدر غابا

ويتحوّل الى ذكر أمين الرافعي :

شيّعت مصرُ أمينا مخلصا   قطُّ ما ساومَ في الحق وحابا

ويربط بينه وبين مصطفى كامل :

لَو دَرى « كاملُ » عن مقدمِهِ   لنَفَضَا الأكفانَ عنه والترابا

ويشيد بجريدة الرافعي « الأخبار » ودورها في كشف أعمال طاغية البحرين الميجر ديلي :

أرْجفَت من مصر في تقريعها   طاغي البحرين نقدا واحتسابا[2]

أما الرئيس جمال عبد الناصر فحظي بقدر كبير من الثناء والتقدير ، لمواقفه المعروفة ضد الاستعمار ، ومن قول محمود الأيوبي في تعداد مآثره :

(١) تاريخ الكويت ص ٣٠٤- ادباء الكويت في قرنين ١/٢٥٤ ط٢
(٢) ديوانه ص ١٥٨ - خالد الفرج حياته وآثاره ص ١٠٣

بك يا جمالُ الغاصبون تقوَّضت أبراجُهم يوم الكفاحِ المرعبِ
فلقد رفعتَ رؤوسنا في ساحة الـ حرّية الحمراء دون تهيّبِ
في كلِّ قلبٍ من صنيعك ثورةٌ للحقِ لم تهدأ ولم تتنكّبِ
ولقَد وقفتَ من القناة محرّرا أمجادَها من كلِّ قيدٍ أجنبي[1]

وحين تعرض بعض زعماء البحرين للنفي من بلادهم في عام ١٩٥٦ . وقف عبد الله سنان يحييهم ، ويربط بين حادثة نفيهم ونفي زعماء الجزائر وكأن الطرفين على موعد في المحن :

ما استبشرت «سيشل» الا بمقدمهم هم الهداة لسارٍ في الدجن الدكنِ
كأنهم وصناديدُ الجزائرِ في الـ بلوى على موعد في الأسر والمحن
إنّي أحيي بهم روح النضال فقد سرَتْ فأحيت قوى خارت من الوسن[2]

وحين اطلق سراح زعماء البحرين بعد حين عاد الشاعر الى الاشادة بهم والسخرية من المستعمرين وأعوانهم :

قف واستمع يا ابن ودّي ذوي الوفا والبسالهْ
« لباكر » و « العليوا ت » و « ابن شملان »[3] قالَهْ
قالوا سنبقى لشعب صكّت عليه الحبالهْ
نضيْ كالشمع كي يسـ ترد حقا هوى لهْ
يحرّر الأرض من طغـ مةٍ غدت كالحثالهْ[4]

ولم يغفل الشعر دور كثير من المناضلين العرب أينما كانوا ، ومنهم جول جمال ، وجميلة بو حريد ورجاء أبو عماشه وغيرهم .

---

(١) الحان الثورة ص ٤١
(٢) نفحات الخليج ص ١٩٥
(٣) اسماء زعماء البحرين الذين تعرضوا للنفي
(٤) نفحات الخليج ص ٢٣٠

(٤)

الثورات التحررية

بقي الوطن العربي يعاني من التفكك والضعف منذ وطئ الاستعمار الأرض العربية وجعلها ضمن مناطق نفوذه وأقام في كل ناحية كيانا يضمن مصالحه . وقد أدت تلك الكيانات دورها في ترسيخ التجزئة والضعف ، وأحست بعض الزعامات أن بقاءها مرتبط بالمستعمر فأسلمت له قيادها ، وأمست الحارس الأمين لمصالحه ، وطبيعي أن تلجأ في سبيل تأدية ذلك الدور الى انتهاج سياسة معادية لأماني الجماهير وتطلعاتها .

وكانت نكبة فلسطين في عام ١٩٤٨ أخطر حلقة في سلسلة الهزائم المتتالية التي مني بها الوطن العربي في التاريخ الحديث ، وقد سبقها وقوع معظم الأقطار العربية في دائرة النفوذ الاستعماري المباشر أو غير المباشر ، لذا كانت النفوس مهيأة لاحتضان أية حركة تحررية تنشد التغيير .

وكانت الجماهير في حاجة ملحة لأن تلقي بثقلها وراء أيّة قيادة تحلم أن بأمكانها تجاوز الوضع الشاذ . وساد الاعتقاد بأن الامكانات متوافرة لتذليل كثير من المعضلات والمعوقات وأن الأمر لا يحتاج إلاّ الى قيادة مخلصة تفجّر الطاقات الهائلة الكامنة في الشعب العربي .

وما دامت الآمال معلقة ومرتبطة بتلك القيادة المتحررة المرتقبة ، التي عاشت الواقع السيئ ، فأدركت كنهه ، وخبرت سبل تقويمه ، فلا بد من أن تتجه كل الجهود لتأييدها واحتضانها والتعلق بها ، ومن ثم تحميلها عبء تحقيق كل التطلعات والمطالب .

مصر

وقامت ثورة ٢٣ من يوليو « تموز » سنة ١٩٥٢ في مصر ، فكانت النافذة الاولى التي انفتحت وسط ليل متجهم مكفهر الوجه ، ومن المؤكد أن تتلقى الجماهير ميلاد الثورة بالبهجة والفرح ، وأن تسقط عليها حاجتها الى القيادة

التي تأخذ بيدها ، وتخلصها مما تعاني ، وربما بلغ الأمر حد مطالبة الثورة بما يفوق امكاناتها ويجاوز طبيعتها .

واذا كانت تلك المشاعر مقبولة في البداية ، ومنسجمة مع طبيعة الوعي في تلك المرحلة ، فانها قادت في النهاية الى نمو ظاهرة التواكل والتراخي عن المشاركة والمبادرة ، والاكتفاء بالانتظار والترقب ، فالقيادة هي المكلفة وحدها باقتطاف ثمار النصر في كل ميدان ، دون أن تكلّف الجماهير نفسها عناء المساهمة في العمل من خلال تكتيل جهودها وتنظيمها ودفعها في الطريق المطلوب . وقد يكون من التعسف تحميل الجماهير كل المسئولية في التقصير . ذلك أن أجهزة الاعلام الموجهة توجيهاً غوغائياً ساهمت في التضليل وترسيخ ظاهرة التواكل ، ومحاربة مبدأ العمل الجماعي .

واذ قدر للجماهير أن تساهم في مساندة الثورة ، فان مساهمتها لم تجاوز – خلال فترة طويلة – الدور السلبي ، المتمثل في التأييد المعنوى فحسب .

ولعل الشعر يعكس الحقيقة المتمثلة في استقبال الثورة المصرية باللهفة والحماسة ، ومطالبتها بتحقيق كل شيء، ونذكر في هذا الصدد أن صقر الشبيب كتب في عام ١٩٣٧ يلوم مصر الملكية على ما عدّه سكوتا عن نصرة فلسطين حين قال :

لومي فلسطينُ العزيزةُ أو ذرى	مصرا على هذا السكوتِ المُنْكَرِ
سكتتْ وصوتُ الظلم يَدْوِى مُعلنا	تقسيمَك المُشجي كأَنْ لم تشعُرِ (١)

فلما قامت ثورة الثالث والعشرين من تموز « يوليو » سنة ١٩٥٢ لم يفته أن يعتذر لمصر عن قوله السابق .

عتبتُ عليها قبلَ ثورتها لِما	رأيت لها إذ ذاك من موجبِ العَتْبِ
فردَّت الى حمدِ عتابيَ كلَّه	لمصرَ مساعي أُسدِ ثورتها الغُلْبِ

ومضى في تمجيد الثورة ، ثم تمنّى عليها أن تعمل على ازالة الكيان الاسرائيلي :

وانّا لنرجو أن يتوّجَ سعيهُم	بنزعهمُ من بيننا شوكَةَ الجَنْبِ (٢)

(١) ديوانه ص ٢٧٨

(٢) ديوانه ص ١٠٩

ونحا أحمد السقاف مثل هذا المنحى في عرض تمنياته على الثورة ، وخصّ محمد نجيب بالتحية ، ووصفه بأنه معنى الخلاص والكفاح :

نجيبُ تُفدِّيكَ منا القلوبُ تَزَعَّم على الأُمة الثائره
فلو لم تكن أنت معنى الخلاص لجاءت مفاهيمه قاصره
ولو لم تكن أَنتَ معنى الكفاح لظلَّت مكانته شاغره

ثم نبّهه الى أن فلسطين تنتظر الخلاص على يديه :

نجيبُ فلسطينُ ترنو اليكَ لتقطع عن وحشها دابرَه [1]

وأحس خالد الفرج – لغيرته على ثورة مصر – أن الواجب يدعوه للتنبيه الى مالا يراه صالحا ، فهو يؤمن باطلاق الحريات ، وباعتماد الانتخابات وسيلة لشغل المناصب القيادية :

إنَّ من كمَّمتُمُ أفواهَهم همْ ذوو الحكمةِ والعلم أُولوها
اجعلوا الأمةَ فيهم حكما بانتخابات صحاح وادخلوها
ودعوا أُمَّتَهم تسقطهم فهي لنْ تقبلَ ناسا ضللوها
حسناتٌ أذهبتها عنكمُ سيئاتٌ ليتكم لمْ تفعلوها [2]

وازداد التعلق بثورة ٢٣ يوليو – تموز ١٩٥٢ عاما بعد عام ، وأصبحت مصر محطّ أنظار العرب ، وتعمّق الاحساس بأنها المهيأة لقيادة الركب العربي الى بر الامان ، وبرزت الدعوة الى ضرورة الالتفاف حول الثورة وحمايتها من تآمر أعدائها ومن ذلك أن عبد الله الجوعان عبر عن بعض المخاوف ، قبيل وقوع العدوان الثلاثي في عام ١٩٥٦ ، ودعا الحكام العرب الى التضامن والاعتراف بأن مصر هي المهيأة للقيادة ، لما لها من امكانات كبيرة :

إنَّ مصر وما لها من كيانِ ومقامٍ لدى الورى ومكانِ
هي أحرى بأن تدكَّ عروش الـ بغيِ والظلم والعدى في ثوانِ
وتبيدَ الدخيلَ خيَّبه اللـ ـه وتَرْدِيه في الردى والهوانِ [3]

وتعرضت مصر للعدوان الثلاثي الذى استهدف وقف مسيرتها التقدمية فنهض

(١) مجلة البعثة – ملحق العدد السادس – حزيران ١٩٥٣

(٢) ديوانه ص ٢٢٣

(٣) مخطوطه

الشعر للدفاع عنها ، والتنديد بالغزاة ، والاشادة بالمقاومة المصرية للعدوان ولعبد المحسن الرشيد كلمة دقيقة أعاد فيها سبب العدوان على بور سعيد الى كوننا اخترنا الحياة الكريمة والثورة على الغاصبين :

يا بور سعيد وقد فتكتِ بجمعهم	أسألتِ لِمْ حشدوا الجيوشَ وجاروا
ألأنّنا اخترنا الحياةَ كريمةً	وهمُ لنا عيشَ الشقاءِ اختاروا
ألأنّنا ثُرنا لغَصْبِ حقوقِنا	في أرضنا وهمُ لذلكَ ثاروا [1]

وهكذا مضى الشعر في تسجيل انجازات الثورة المصرية على كل صعيد ، كما تابع مسيرة الثورة العربية ، فأشاد بانتصارات الشعب العربي على من صادروا حريته واستغلوا جهده وكبّلوه بقيود العبودية .

العراق

وحين أشرقت شمس الحرية في بغداد بميلاد ثورة ١٤ من تموز ١٩٥٨ ، استقبل ذلك الانتصار العربي الجديد على قوى التخلّف بما هو أهل له .

وعبّر محمود الأيوبي عن ابتهاجه لأن الثورة انتزعت العراق من دائرة الأحلاف وقضت على أعوان الاستعمار :

وفي العراق الأبي اهتزت الدمنُ	بثورة لم يلوِّث طهرها الوهنُ
بغداد والنجف الميمون حولهما	قد استجابت الى ثاراتها المدن
وثارت الموصل الحدباء ضاربة	ميثاق بغداد في وجه الأُلى لُعنوا [2]

وحين سقط المستبدون الذين كمموا أفواه الشعب ، أصبح بامكان الشاعر أن ينشد ألحانه بكل حرية ، وهذا ما عبر عنه على السبتي وهو يشيد بثورة ١٤ من تموز ١٩٥٨ :

أنا في البصرة
أشدو ألحاني الحرة

(١) أغاني ربيع ص ٥٦
(٢) الحان الثورة ص ٧٩

وأغنّي لرفاقي
في البلد الحر الصامد

ثم بين أنه الآن لا يخشى أعين الرقباء وعملاء « الشعبة الخاصة » من المخبرين الذين كانوا يحصون على الأحرار تحركاتهم :

لا شبحٌ من « نوري » يفزعني
لا عينٌ « الشعبة » ترقبني
لا شكٌّ في الناس يدمرني
فالكل غدوا أصحابي(1)

ويلاحظ أن هذه القطعة تكشف وجها للتطور الذى أخذ يجدّ على الشعر سواء من حيث الشكل أو المضمون .

وحين انحرفت الثورة عن نهجها القومي ، وتسلقتها العناصر الشعوبية وانتهت بها الى الدكتاتورية المعادية لتطلعات الجماهير ، ارتفع صوت الشعر ليسجل تلك النهاية المؤسفة .

ومن ذلك قول محمد أحمد المشارى* مخاطبا الشيوعيين العراقيين :

أيها المارقون مهلا قليلا   نَفَسُ البغي فيكم لن يطولا

. . . . .

نحن شعب لنا العروبة أصل   لا تخيف الحبال شعبا أصيلا
والعميلون أنتم قرعتكم   من هناك العصا فكنتم طبولا
والدخيلون أنتم وبلادى   طبعها أنها تعاف الدخيلا

وبالفعل لم يطل نفس البغي ، اذ انقضّت الطلائع الواعية في ١٤ رمضان ٨ شباط من عام ١٩٦٣ على معاقل الدكتاتورية الشعوبية فقوّضت أركانها وأعادت العراق الى حظيرة الركب العربي المتحرر .

يقول عبد الله أحمد حسين مخلدا ذلك الانتصار :

الله أكبر ضجَّ القاع والألمُ   وخرَّ منجدلا في صرحه الصَنَمُ

---

(١) جريدة الشعب ٤ أيلول ١٩٥٨

ومادت الأرض بالطاغي وزمرته	كأنما عهده في أرضنا حلم
وقام للمجد فتيان يزينهم	عزم وتسمو بهم نحو العلا همم

ويحيي هؤلاء الفتيان الذين أسقطوا عبد الكريم قاسم وصحبه :

نفسي الفداء لأبطال سموا كرما	نحو المعالي وفي أعطافهم شمم
طوبى لصيد أتوا بالمعجزات وما	ردَّ الميامين في الساحات مزدحم[1]

وأشاد عبد الله الجوعان بثورة ١٤ رمضان ورجالها :

حي العراق وحي فيـ	ـه كلَّ منتفض وثائرْ
راحت مدافعه تصب الـ	ـنار في أوكار غادر[1]

أما محمد أحمد المشارى فيرى أن ذلك اليوم أسعد أيام الحياة ، اذ سقط الظلم والطغيان ، وساد الحق :

هذه أسعد أيام الحياة	اذ يدك الشعب أوكار الطغاة
وينير الحق بعد الظلمات	في عراق العرب كلَّ الطرقات[2]

اليمن

وفي ٢٦ من أيلول عام ١٩٦٢ قامت الثورة في اليمن ، وأطاحت بنظام الأئمة الموغل في التخلف ، وخرجت بالبلاد الى عالم النور ، ومن الذين أشادوا بقيام الثورة الشاعر عبد الله الجوعان ، حيث أشار الى أن سنّة الله تقضي بزوال الباطل :

عِبَرٌ كلُّها الحياة وهذى	سنَّةُ الله في الورى سبحانَهْ
يُورث الأرض من يشاء ويخزى	بالرّدى كلَّ خائن أوطانَهْ

---

(١) جريدة الطليعة ٢٧ آذار ١٩٦٣

٭ الشاعر محمد أحمد المشاري : ولد عام ١٩٣٥ ، وهو يزاول حالياً الاعمال التجارية .

(٢) مخطوطه

(٣) جريدة الطليعة ١٣ شباط ١٩٦٣

وهـــدا مــا حدث في اليمــن حـــين أزال الشعب اسطـــورة الامــــــام :

هاهو الشعب في الجنوب يُمَشِّي ... فوق اسطورة الامام حصانَهْ

. . . . . .

ولسيف الاسلام من غضب الأحـ ... رار يوم ما كان أعظم شانَهْ[1]

وقـــريب من ذلـك قـــول عبـــد الله سنان مبينا أحاسيسه تجـــاه النصـــر الذى تحقق في اليمن :

قُوِّضَ البغيُ اذ بدت ... طلعة اليُمْنِ في اليَمَنْ
وأتى النصر رافعا ... راية العز في القنن
ثار للعزة الصنا ... ديد فانهارت الإحن
طال في القيد أسرهم ... حول مستنقع أسن
حطّموا القيد وانبروا ... مستخفيـــن بالوثـــن[2]

وعـــرج محمـــود الأيوبـــي على اليمـــن بعـــد أن تحرّرت ليستلهـــم مـــن ثورتهـــا عـــذب النشيـــد :

عرّج على اليمن السعيد ... مستلهما عذب النشيدِ
للثورة الحمراء في ... وطن المغاوير الاسود
واصدح بصنعاء الحمى ... بالشعر في أرض الخلود[3]

سوريا

وفي ٨ مـــن آذار ١٩٦٣ قـــامت الثـــورة في سوريـــا ، فأطاحت بمـــن صنعـــوا الانفصال وقوّضوا دعائـــم أول وحـــدة عربيـــة في العصـــر الحـــديث ، وعزلـــوا سوريا عـــن تأديـــة دورهـــا النضالي في مسيرة الثـــورة العربيـــة .

---

(١) جريدة الطليعه ٣٠ أيلول ١٩٦٤

(٢) نفحات الخليج ص ٨٩

(٣) الحان الثورة ص ٨٩

وهـا هـو ذا فـاضل خـلف* يحيـي الثـورة ، ويعـدد مآثـر سوريـا منذ القـدم ، ويبيـن ايمـانهـا بالوحـدة ، وسعيهـا الى اقامتهـا مـع مصر في عـام ١٩٥٨ :

وأتت راضيةً في سعيها تضع الراية في كفٍّ فتاها

ويذكـر بالـردة الانفصالية الـتي طعنت الوحـدة في أيلول مـن عـام ١٩٦١ :

ثم جاءت ردَّة عاتية قوَّضت بنيان قوم لا يُضاهى
واستبدت عصبة مارقة بالمقادير كما يُملي هواها

ولكـن تـلك العصبة لم تستطع أن تبقي سوريـا بعيدة عـن موقعها الطبيعي في طليعة الركب العـربـي المتحـرر ، وما لبثت مخططاتهـا أن انهـارت في ٨ من آذار ١٩٦٣ :

لكن الأحرار في موطنهم قد أعادوا للبطولات بهاها
فغدت فينا دمشق حرة مثلما بغداد قد نالت مناها[1]

وهكذا نجـد الشعر يواكب الأحداث على امتداد الوطـن العربـي ، فيعيب التفرق والتناحـر ، ويدعـو الى جمع الشمل وتكتيل الجهـود ، ونبـذ الخمول والاستكانـة ويندد بجـرائـم المستعمريـن وأعوانهم في المنطقة ، ويشيد بمـا يبـذل المخلصون المؤمنـون بحـق امتهـم في الحياة ، ويحيي الانتصـارات العـربيـة في كـل صعيـد .

(٥)

الايمان بالوحدة

لم تكـن الدعـوة للوحـدة العربيـة ضـربا من الخيالات الشائقة أو التمنيات الرائقـة ، الـتي تتوق معها النفس الى رؤيـة الرقعة الفسيحة من الأرض العربيـة وقـد ظللها علـم واحـد . ولكن تلك الدعـوة تمثـل النزوع الطبيعي لشعب عاش تـاريخـا

---

(١) جريدة الطليعة ٣ نيسان ١٩٦٣

* الشاعر فاضل خلف : ولد سنة ١٩٢٧ ، ويعمل موظفاً في وزارة الإعلام .

مشتركا وربطه منذ أقدم العصور مصير واحد ، امتزجت فيه الآلام بالآمال والنكسات بالانتصارات .

ولعل من نافلة القول أن نلجأ الى توكيد وحدة الدم واللغة والمصير والتاريخ ، وأن نشير الى البناء الحضارى الذى اتحدت السواعد في رفع أركانه ، ثم الى النكبات التي تجرع مرارتها كل الناطقين بالضاد .

« وفكرة الوحدة من التيارات الطبيعية التي تنبع من أغوار الطبيعة الاجتماعية لا من الآراء الاصطناعية التي تستطيع أن يبتدعها الأفراد ، أو تستطيع أن تخلقها الدول »[1] ، فهي اذن قدر لا بد منه ، وضرورة يمليها الواقع بكل متطلباته ويستلزم قيامها ، ويعدّ تخلفها وضعا شاذا لا يتفق مع المصلحة العربية العليا .

ومن هنا لم يسلّم الوجدان العربي بالتجزئة أمرا واقعا . ولم يتخل الانسان العربي عن الاحساس بأن الوحدة قائمة في الحس والشعور وان تخلّف قيامها المادى في بعض مراحل التاريخ .

وفي مثل تلك المراحل العارضة ، التي تقضي الظروف خلالها بتفوق الباطل نرى أن الانسان العربي لم يركن الى الدعة والتسليم بما هو كائن ، بل على العكس من ذلك نلمس الاصرار والالحاح على ضرورة ازالة كل ما يعترض سبيله ، ويعوقه عن ادراك غايته وتنفيذ ارادته في صنع مصيره .

وقد لجأ الاستعمار في سبيل ترسيخ الفرقة الى تمزيق الوطن العربي ، وتجزئته الى كيانات عديدة ، مع اختلاق المشكلات الجانبية التي تساهم في اشاعة العداء والتنافر بين الأقطار المتجاورة ، وتحول دون لقائها ، ومن ثم تضافرها وتعاونها لما فيه صالحها .

وعمل الاستعمار على تحقيق جانب من مخططاته بمساعدة الحكام المحليين ، الذين ارتضوا تنفيذ ارادته ثمنا لتمتعهم بالمكاسب الانيّة ، التي يجلبها تربعهم على سدة الحكم .

ويكفي أن ننظر الى الشريط الضيق من الأرض الذى يلاصق الساحل الشرقي للخليج العربي لنتبين بشاعة الوضع ، نتساءل من ثم عن مبرر

---

(١) ساطع الحصرى : اراء واحاديث في الوطنية والقومية ص ١٠٦

وجود ذلك العدد الكبير من الكيانات الضعيفة ، التي لا تملك مقومات الشخصية المستقلة .

وعلى الرغم من كل المحاولات التي يبذلها الاستعمار وأعوانه لترسيخ واقع التجزئة في النفس العربية ، فان الشعور بالانتماء للوطن الأكبر لم يهن أو يضعف ، ولعل من الملاحظ أن النكبات والأزمات تكون – في الغالب – عاملا يساهم في تجميع القوى المبعثرة والجهد المشتت .

واذا كنا اليوم ، ونحن نعاني آثار الصدمات والنكبات المتلاحقة لا نلحظ سوى الوجه المعتم للواقع العربي ، فمن المؤكد أن ثمة وجها أخر أكثر اشراقا مما نظن يتمثل في نضوج الوعي القومي وتعمقه ، وبدء تخلصه من الشوائب الضارة التي تلوث مجراه .

واذا كانت الدعوة للوحدة العربية بالأمس ترفا ذهنيا أو لونا من الألفة العاطفية ، التي تمليها – في كثير من الأحيان – مناسبات عارضة ، فهي اليوم حاجة ملحة ،وضرورة قائمة ،يفرضها الارتباط المصيرى .

واذا كان الشاعر اللبناني أو العراقي أو الكويتي يأتي بالأمس على ذكر مصر – على سبيل المثال – في معرض تكريم ضيف من رجالاتها ، أو خلال تعرضها لحدث مباشر ، فمن الواضح أنه يقف اليوم ليتحدث عن دقائق امورها الداخلية من موقع الشعور بأنه واحد من أبنائها ، أو أنها جزء من كيانه ، يضره ما تتعرض له من ضرر ، وينتفع بما تنتفع به .

ولم تعد هناك امور يمكن اعتبارها محلية تخص هذا القطر أو ذاك ، وبلغ الأمر حدا أصبحت معه نسبة بعض الشعراء الى قطر عربي بذاته أمرا عسيرا ، اذا لم نقع على ترجمة لحياتهم . وما ذلك الا نتيجة لانصهار المشاعر في بوتقة واحدة واتجاهها نحو هدف أكثر شمولا من ذى قبل ، يضاف الى ذلك تضاؤل السمات والاهتمامات المحلية ، التي كانت تستغرق الشاعر ، وتستنزف جهده ، وتصرفه عن التوجه للقضايا العربية المصيرية الكبرى .

وكمثال لتلك الحقيقة نرى أن من حق السعودية والكويت والبحرين أن تتنازع في نسبة الشاعر خالد الفرج اليها ، فالأرض العربية وطنه حيثما حل .

لا يرده عن الادلاء بآرائه وتصوراته احساس بالغربة ، أو حرج من اعتباره متدخلا فيما لا يعنيه .

ولأنـــه لم يضـع لمشاعــره حـدودا جغرافيـة تحـدّ من تدفقهـا ، لذا نجـدهـا تنساب لتغطي الرقعـة ما بـين طنجـة والكـويت ، فهو يعيب الاضطهـاد في البحريـن وينعـي حـال الجـزيـرة العربيـة ، وينـدد بالتخلف في الكـويت ، ويدافـع عن حق شعب المغرب في الحريـة قدر دفاعـه عن شعب فلسطين ضـد التآمـر الاستعمارى الصهيونـي ، ويتعرف على أدواء الوطن العربـي ليخلص الى أنهـا تعـود الى كـثرة الكيانـات ، الـتي ترسخ التفكك والضعف وأن العلاج لا يتأتـى الا بقيـام الاتحـاد .

وسواء أتحققت الوحـدة أم حـال دون قيامهـا سبب أو آخـر ، فان ذلك لم يضعف الاحساس بوحـدة المشاعـر الـتي تحكم الانفعالات وتترجـم الاتجاهـات الوحـدويـة .

وعـلى الرغـم من طمـوح الجماهـير العربيـة الى الانضواء تحت رايـة واحـدة ونظام سياسي واجـتماعـي موحـد ، فان التعـثر في تحقيق ذلك الهـدف لم ينهض مبررا لتسليم المواطـن العربـي بوجـود الحواجـز الـتي تقيّد احساسه بالانتماء الى الوطـن العـربـي الكبير . لـذا لم يكـن غريبـا أن نـرى الشاعـر يعيش الوحـدة فعـلا لا قـولا ، فيتغنى وهـو في الكـويت بنيـل مصـر ، أو بجبـال الاوراس ، ويحزن لمصاب تتعرض لـه فلسطين أو يبتهـج لنصـر تجـني المغرب ثمـاره ، وهـذا اللون يمثـل ذروة الايمـان بالوحـدة ، وان لم يلجـأ – في بعض الأحيـان – الى ترديـد الكلمـة ومشتقاتهـا .

وكمثـال لـذلك نقـرأ لخالـد الفـرج غناء شجيـا بمصـر ، أنشده بمنـاسبـة تهنئـة أحمـد شوقي بامارة الشعر . ، فهو يتكلـم بلغـة تتفجـر حبّا عـن مصـر وخـيراتهـا وأمجادهـا منذ عهود الفراعنـة :

يا مصرُ كَمْ لك من مجد يشيِّده — أبناء صدق لهم من أُمِّهم خيمُ
خصبت بالنبت زرعا كان أو بشر — فالخير منك على ما فيك مقسوم
وفي رباك أبو الهول المهيبُ له — مجد على صفحات الدهر مرسوم
يصارع الدهر بالأهرام جارته — والدهر مهما تفانى فهو مهزوم[1]

---

(١) خالد الفرج : حياته وآثاره ص ١٣٣

وخالد الفرج يخالف في هذا النص منهجه التسجيلي ، واسلوبه النثري التقريري الذي يثقله التكلف في معظم شعره القومي ، ولعل ذلك يعود الى أنه يصدر في هذه القصيدة عن صدق شعوري لم تثقله العناية بتسجيل المناسبة ، بل لعل المناسبة المقصودة تضاءلت وسط هذا الفيض الوجداني الدافق ، الذي تجاوزها ليتخذ من مصر بأسرها غرضا للحديث .

ويعدّ خالد الفرج من أوائل الشعراء الذين تبنوا فكرة الوحدة ، وألحوا على ضرورة العمل من أجل قيامها ، وهو يتحيّن المناسبات لعرض أفكاره الوحدوية ، ففي عام ١٩٢٦ دارت بينه وبين عبد اللطيف النصف محاورة شعرية ، تعرّضا فيها للأوضاع العربية المتردية ، ولم يفت الفرج أن يتطرق للوحدة ، ويبين تطلّعه الى قيام منقذ يضم صفوف العرب بعد تفرقهم ، كما فعل بسمارك موحد المانيا :

من لي « ببسمرك » يضم صفوفه — وعليه تجمع نفسها أشتاتهُ
فيعيد من هذى الممالك وحدة — والعلْمُ تخفق فوقها راياته(١)

ويتوجه بنداءته الى كل من يتوسم فيهم القدرة على تحقيق هذا الهدف الغالي ، ومن ذلك مخاطبته الملك عبد العزيز بن سعود في مطولته الشعرية « الوحدة » التي رفعها اليه في عام ١٩٣٢ وشرح فيها حال الجزيرة العربية :

علامَ الجزيرةُ فوق الخريط — ة برقاء قد رقِّشت كالحبَرْ
هنالك صنعا وذي حضرموت — وتلك عمان وهذي قطر
وكم من شيوخ وكم من كبار — مئين لدى بدوها والحضر
قد اتشح الكلُّ ثوب العدا — لاخوانه وارتدى بالحذر
مهاد العروبه قد قطعت — وهذا الصَغار لهذا الصِغَرْ(٢)

وليس ثمة مخرج من هذه الحال المؤسفة بغير الاتحاد ، الذي ظل يكرر الدعوة لــه باسلوب ينم عن ضيقه وضجره لعدم استجابة من يعنيهم الأمر :

الاتحاد الاتحاد — قول نكرره معاد
لكنه والله أع — لم قد يحققه المعاد(٣)

(١) ديوانه ص ١٢١ – خالد الفرج حياته وآثاره ص ٨٨
(٢) ديوانه ص ٨٤ – خالد الفرج حياته وآثاره ص ١١٣
(٣) ديوانه ص ٢١٥ – خالد الفرج حياته وآثاره ص ٦٢

ولعل من حسن الحظ أن خالداً قام بتأريخ معظم قصائده في الوحدة فأرشدنا الى تبين بدء اهتمام الشعر الكويتي بالدعوة للوحدة العربية ، ويتضح من النماذج السابقة أن الدعوة للوحدة اتخذت في العقد الثالث من القرن العشرين اتجاها واعيا ، تجاوز التصورات العاطفية المبهمة ، والتمنيات العفوية العابرة ، يضاف الى ذلك أننا لا نلمس في تلك النماذج اختلاطا كبيرا في المفاهيم ، وخاصة مفهومي العروبة والاسلام ، فالشاعر لم يدع الى وحدة المسلمين ، أو الى وحدة الشرق في مواجهة الغرب ، بل خص قومه العرب بدعوته ، لذا فان قصائده في الوحدة تكتسب أهميـة خاصة ، لكونها تكشف عن مستوى الوعي فـي مرحلة متقدمة .

ومن بعد اتسع الاهتمام بالدعوة للوحدة ، وكان للأحداث الجسيمة التي توالت على الأرض العربية تأثير كبير في تعميق الاحساس بالحاجة اليها ، لتكون الدرع الحصين ضد الأخطار والنوائب .

وها هو ذا الشاعر عبد الله زكريا الانصاري يتخذ من ترحيبه بالبعثة السورية التي كان مقدرا لها أن تأتي الى الكويت مناسبة للافصاح عن إيمانه بالوحدة العربية وكان ذلك فـي عام ١٩٤٥ . وقد جعل « الوحدة العربية » عنوانا لقصيدته التي يقول فيها :

قلوب لنا نحو العلا تتلهَّفُ	وأرواحنا باسم العروبة تهتفُ
وأعيننا ترنو اليها وطالما	سمعنا المنادي في الأثير يُسوِّف
مضت حقَبٌ والنوم ملءَ جفوننا	فليس بنا إلا أسيرٍ مكتَّف
تعيث بنا أيدي القوي فلا يُرى	من الجور إلا ظالمٌ متعسف
وطال علينا الليل حتى كأنه	أقام فلم يبرح ولا هو يُصرَّف
فما هي إلا نهضة العرب أقبلت	تعززها روحٌ اليها تَلَهَّف
فذي الوحدة الكبرى تبدّت وإنها	إلى لَمِّ شمل العرب لاشكٍّ تهدف

وعبّر الشعراء عن ضجرهم من التراخي في تحقيق ذلك المطلب الملح،فصقر الشبيب يعجب من تفرق العرب على الرغم من توافر مقومات الوحدة بينهم . ويحثهم على نبــذ الخلافات التي جعلت منهم أضدادا متنافرة :

هل رأيتم لأمَّةٍ في المعالي	قبل جمع القلوب وَرْيَ زنادِ
نحن أبناء يعرب لو عقلنا	اخوة في الرجوع للميلاد

والمَعَدِّيُ يعربيٌ على حا — لي رخاء من دهرنا واشتداد
وعلى الإخوة الكرام التصافي — لا التنافي كسائر الأضداد
فعلام افتراقنا والى ما — نحن نشقى منه بكل نآد (*)

وحين يتعذر قيام الاتحاد فسوف تبقى الأقطار العربية عرضة للمخاطروالنوائب :

واذا عزّ الاتحاد بني العر — ب عَدَتْهم عن الحياة العوادي[1]

وبعد أن تجرّع العرب مرارة الوضع المتردي في فلسطين ، نتيجة تفرق شملهم أصبحت الوحدة حاجة ملحة ، وقامت في المنطقة العربية أحزاب تقدمية ذات تطلع قومي ، رفعت شعار الوحدة ، وبشّرت بها ، ودعت الى النضال من أجل تحقيقها .

واتخذ الشعراء والسياسيون النوادي منابر لاذاعة أفكارهم الوحدوية والتبشير بها على نطاق واسع ، فما تكادتمر مناسبة للقاء بالجمهور حتى يصدع الشعر بالدعوة للوحدة سبيلا للخروج من الوضع السيء .

ومن ذلك أن راشد السيف أنشد في عام ١٩٥٥ قصيدة عن النوادي وأهدافها ، ولكنه لم يلبث أن تحوّل الى الحديث عن تفرق العرب وضعفهم ، ودعا الى الوحدة التي تمتلك كل مقوماتها :

خذو اوحدة الكبرى لتوحيد رأيكم[2] — منار سبيل واضح غير جائرِ
ففي اللغة الفصحى ودينٍ وموطنٍ — روابطُ تُغْني عن عموم الأواصر[3]

وتوجه محمود الأيوبي بخطابه الى شعب الكويت – الذي هو جزء من الوطن الكبير – مبينا أن الأوطان انما تصان بالاتحاد :

ان الكويت وأهلها وحماتها — جزء من الوطن الكبير مُكَرَّمُ
والاتحاد فضيلة أبديَّة — كبرى تصان بها الربوع وتسْلَم[4]

(*) النآدى : الداهية

(١) ديوانه ص ٢٠٩

(٢) وفي رواية اخرى « خذوا العروة الوثق لتوحيد رأيكم » انظر ادباء الكويت في قرنين ١٩٣/١ ط٢

(٣)ادباء الكويت في قرنين ص ١٩٦ ط٢

(٤) الحان الثورة ص ٢٥

وحين تكررت اعتداءات اسرائيل على الأقطار العربية في عام ١٩٥٦ وتهيأت قـوى العدوان الثلاثي لغزو مصر ، توجه عبد الله الجوعان الى المسؤولين العرب يدعوهم للتضامن والاتحاد ، وكان يؤمن – لفرط حماسته العفوية – أنه لا فرق في أن يكون الوطن العـربي تحت قيادة هذا الرئيس أو ذلك الملك ، انما المهم لديه أن تتحقق الحياة الكريمة في ظل الوحدة ، لذا نراه لا يجد حرجا في التوجه الى ملك العراق فيصل الثاني بقوله :

نحن لا فرقَ بيننا إنْ ملكت النـ ... يلَ والشام والخليجَ الداني
إنّما الفرقُ أن نعيشَ كراما ... ليس إلاّ بوحدةِ الأوطان(١)

ولخّص صقـر الشبيب الايمـان بالوحـدة بمعنـى بديع ، حـين قرر أن الوطـن العربي بأسره وطنـه ، وهو يستطيع أن يحـلّ في أية رقعـة منه ، اذا ما ضاقت به بلـده الكـويت :

فإنْ تضقْ الكويتُ اليومَ عنّي ... وما ضاقت بأمثالي الديارُ
فكم بلدٍ لقومي العرب فيه ... سيحلو لي من السَعَةِ القرارُ(٢)

(٦)

وحدة مصر وسوريا ونكسة الانفصال

على هذا النحـو بقيت الدعـوة للوحـدة تتردّد على ألسنة الشعراء ، في كـل محفـل ونـاد ، يبشرون بهـا ، ويحثون عـلى ضرورة العمل مـن أجلهـا ، ويشيرون الى أهمية قيامهـا ، وحـين قـدّر للوطـن العربي أن يشهد ميـلاد أول وحـدة عربيـة في العصـر الحديث بـين مصـر وسوريا عـام ١٩٥٨ ، كـان طبيعيا أن يهـبّ الشعر لتحية الوحـدة واحتضانهـا ، وتمجيد ذلك الانجـاز التاريخي الكبـير والاشادة بمـن ساهموا في صنعـه .

فبعد اعـلان نتيجـة الاستفتاء حـول قيـام الجمهوريـة العربيـة المتحـدة وانتخاب

(١) مخطوطه
(٢) ديوانه ص ٢٤٧

رئيسها ، استقبل عبد الله أحمد حسين تلك المناسبة بالتمجيد والفخر :

يا لها من لحظة حاسمة عَصفَت بالقيد فاهتز عِدانا
والطواغيت على أبراجها رفعت راياتها تبغي الأمانا
هِمَّةٌ جبّارة صاعقة وشبابٌ بلَّغ الدنيا مُنانا
حقق الاخلاص نجوى أمَّةٍ دفنتها في حناياها زمانا[1]

ونوّه عبد الله النوري بمن تعهدوا بذرة الوحدة بالنضال حتى تحققت :

غَرَسَ الأوائل غرسها بجهادهم ونضالهم وبعَزْمةٍ لم تبردِ
« شكرى » تعهد غرسَها بدفاعه و « جمال » أنماهُ بطيب المورد
مصر وسوريا كيانٌ واحد بكفاحه ودفاعه والمقصد
بلوائه وبجيشه وحدوده ومشرعيه وشعبه والسيِّد[2]

وأعرب صقر الشبيب عن اغتباطه بقيام الوحدة بين مصر وسوريا ، باسلوب مؤثر ؛ اذ تذكر أنه طالما تغنى بها في شبابه ، ولكنها تحققت أخيرا ، بعد أن بلغ من الكبر حدّا وهنت معه قواه ، لكنّ فرحته بالوحدة حددت همته ، وبعثت في نفسه القدرة على أن ينهض ثانية ، ويستحضر القوافي المغيَّبة :

طالما رحتُ أغنّيكم بها قبل شيبي ليتني لم أشِبِ
كِبَرى عن أنْ أُغنّي موهن بأساهُ قوَّتي والوصَبِ
لكنْ الوحدةُ سَرَّتني كما سُرَّ بالغيث فؤاد المُجدب
وشَفَتْ منى القِوَى فاتجَّهت كلُّها خلْفَ القوافي الغُيَّب[3]

وأكد محمد أحمد المشارى أن الوحدة هي الوضع الطبيعي ، لكوننا ننتمي الى أصل واحد ، وتجمعنا وحدة الاحساس واللغة ، ثم ان ما تم بين مصر وسوريا ما هو إلا نواة للوحدة العربية الشاملة ، التى تهفو لها القلوب :

ليس العجيب بنا تحقيق وحدتنا لكن تقسيمنا هذا هو العجبُ
فنحن شعب دماء العرب تجمعه والضاد والأصل والاحساس والنَّسَبُ

---

(١) جريدة الشعب ١٩٥٨/٢/٢٧
(٢) من الكويت ص ١٢٢
(٣) ديوانه ص ١٢٣

حيّوا معي الشعب في القطرين متحدا يرنو الى الوحدة الكبرى ويرتقب
ترقّبوا يوم يعلو فوقنا علم موحّدٌ واستعدّوا فهو مقترب[1]

وحين قامت ثورة الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨ في العراق ، بعد قيام الجمهورية العربية المتحدة ببضعة شهور ، تمنى العرب انضمام العراق لدولة الوحدة وعبّر محمد أحمد المشارى عن تلك الرغبة في قوله مخاطبا رجال الثورة :

دمُ العروبة يدعونا ويجمعنا وكلّنا لالتئام الشمل ظمآنُ
من الكويت الى تطوان ألْسِنة تدعو وأفئدة تهفو وآذان
بوحدة هي مأوانا وعدّتنا وهي السلام إذا ماكر عُدْوان[2]

وكان قيام دولة الوحدة مصدرا لاثارة المشاعر وحفزها الى نبذ واقع التخلف والتجزئة ، ونذكر في هذا الصدد أن الأندية الكويتية أقامت في شباط من عام ١٩٥٩ مهرجانا خطابيا كبيرا بمناسبة الذكرى الاولى لقيام دولة الوحدة ، وتطرق بعض الخطباء للوضع المحلي ، وعلى أثر ذلك أغلقت النوادى وعطلت الصحف ، وتم استجواب من اتهموا باثارة المشاعر . وعاشت البلاد حتى عام ١٩٦١ وضعا شاذا ، تميز بكبت الحريات وتعطيل النشاطات .

وفي أيلول من عام ١٩٦١ تعرض الشعب العربي لنكسة قاسية ، حين طعنت الوحدة ، ففقد بذلك أغلى أمانيه وأعز مكتسباته ، ولم يكن من اليسير على الجماهير أن تتقبل الانفصال على الرغم من كل المبررات والأقوال التي اثيرت حال تجربة الوحدة وتعثرها وتعرضها لكثير من الأخطاء التي عجّلت نهايتها .

وجاء التعبير عن تلك النكسة مصورا ما أصاب النفس العربية من أذى بالغ يقول عبد الله سنان :

فليست نكسة نكراءَ أو نكـ ـبة عظمى على حدّ المثال
ولكنْ ردة وقعت وقوع الـ مصيبة زلزلت شم الجبال

أما الذين صنعوا الانفصال فيخاطبهم على أنهم من الضالين :

---

(١) جريدة الشعب ١٩٥٨/٢/٢٠

(٢) جريدة الشعب ١٩٥٨/١١/٢٠

ضللتم منهج الاخلاص حتى عميتم في متاهات الضلال

ويبدى أسفه وحزنه لما آلت اليه الحال في دمشق :

ووا أسفا لجلّق كيف أمست مجالا للارانب والثعالي
أتحكمها الخيانة وهي جزء عزيز لا يعادل باللآلي[1]

وظلت النفوس تختزن الألم نتيجة ضياع الأمل في بقاء الوحدة وتطويرها . وعندما تمر مناسبة تعيد الى الاذهان ذكرى تلك الأيام المشهودة التي عاشها الشعب العربي يتجدد الشعور بالحزن ، وهذا ما تكشف عنه قصيدة خالد سعود الزيد « تقطع العقد » . فحين قدم أول سفير لسوريا بعد الانفصال أوراق اعتماده للرئيس جمال عبد الناصر أثارت تلك المناسبة شجون الشاعر ، وأعادت الى ذاكرته أيام الوحدة بين القطرين :

ذَكَّرتنيها فليت البينَ ما وقعا ذكَّرتنيها فقلبي هالك جَزَعا
حاولت نسيان يومِ الانفصال فلم أذكره يوما لأني لستُ مقتنعا
فجاء تقديمُك الأوراق فاجعة يا ويحها لحظة أودت بمن سمعا
كفكفت دمعي فما اسطاعت دوافعه كَتما فأطلقته فانهلَّ مندفعا[2]

(١) نفحات الخليج ص ١٤٠

(٢) صلوات في معبد مهجور ص ٧٥

الفصل الرابع

قضية فلسطين

* قضية فلسطين *

احتلت القضية الفلسطينية مركز الصدارة بين القضايا العربية ، منذ اتجهت المخططات الصهيونية والاستعمارية الى اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ، وذلك لعدة عوامل من أهمهـــا :

١ – أن فلسطين – بحكم موقعها الجغرافي – تكوّن الجسر الطبيعي الذي يصل جناحي الوطن العربي في المشرق والمغرب ، وأن قيام أي جسم أو حاجز بشري غريب في تلك البقعة لا بد أن يؤدي الى نتائج بالغة الخطورة .

٢ – أن الاستعمار الصهيوني لفلسطين استعمار استيطاني . يهدف الى التشبث بالأرض ، ولا يكتفي بمجرد امتصاص مواردها الاقتصادية .

٣ – أن الأطماع الصهيونية لا تقف عند حدود فلسطين ، بل تتطلع الى انتزاع مزيد من الأراضي العربية ، كي تتسع لاستيعاب جموع المهاجرين اليهود الوافدين من كل أرجاء الأرض .

٤ – أن الوجود الصهيوني التوسعي في قلب الوطن العربي يشكل تهديدا دائما ، وخطرا ماثلا ، ويؤدي الى زعزعة الأمن والاستقرار والســـلام ، ويحول دون اتجـاه الأقطار العربية الى تطويـــر أوضاعها والنهوض بمستوى معيشة الفـــرد فيها ، لأنهـــا تعيش حالة دائمـــة من الترقب ، وتوظّف قسطا كبـــيرا من مواردها لأغراض الأمـــن .

ويضـــاف الى ذلك تأثير كل تلك العوامـــل في الانسان العربي ، وجعلـــه نهبـــا للقلق والترقب والشك .

من هنـــا نرى أنه من الأجـــدر أن نعرض بشكل موجز للمراحـــل التي مرت بهـــا القضية الفلسطينيـــة ، لنصل من بعد الى متابعـــة تفاعل الشعـــر الكويـــتي مع الأحداث .

(١)

الحركة الصهيونية

تهدف الحركـــة الصهيونية الى جمـــع شمل اليهود المبعثريـــن في شتى بقاع الأرض ، واقامة كيان قومي لهم في فلسطين .

ولتحقيق هذه الغايـــة نشأت منذ فترة مبكـــرة عدة جمعيات يهوديـــة ، ولم يكن دورها يجـــاوز أول الأمـــر نشر الوعي القومي والدعـــوة للتجمع ، وبقي أثرها ضئيلا وجهودها مبعثرة .

وفي « سنة ١٦١٦ صدر كتـــاب « نداء لليهـــود » للسير هنري فيتش ، وهو أول كتاب يطالب بانشـــاء دولة لليهـــود ، تجمع فئاتهم وأفرادهـــم في ظل قومية موحدة »[1] .

وازدادت جهـــود المفكرين اليهـود في الدعوة الى العمل من أجـــل « الهجرة » الى فلسطين ، فنشر الحاخام « هيرش كاليشر » سنة ١٨٦١ كتـــاب « البحث عن صهيون » ، كما نشـــر « موسى هس » في العـــام التالي كتابه « رومـا والقدس » ، الذي نـــادى فيه باقامة دولة يهودية في فلسطين ، ونـــادى « دافيد غوردن » بما أسمـــاه « دين العمـــل » مشددا على أهمية استعمار اليهود لفلسطين .

ويعد كتـــاب « ليون بانسكر » « التحريـــر الذاتي » الصادر في عـــام ١٨٨٢ أقوى الكتب الصهيونية الأولى وأعمقها أثرا [2].

أما « تيودور هيرتزل » فيعدّ واضع الحجر الأساســـي في بناء الصهيونيـــة من خلال كتابه « الدولة اليهودية » الصادر في عـــام ١٨٩٥[3] .

وقد ارتبط ميـــلاد الفكرة الصهيونية باشتداد الاضطهـــاد الذي تعرض له اليهـــود في أوروبـــا ، كما ارتبط باستغلال الدول الاستعماريـــة للمسألة الشرقيـــة ، لتحقيق أطماعها في أملاك الدولة العثمانية .

ومع ظهور « تيودور هيرتزل » على مســـرح الأحداث بدأ العمل الصهيوني يتخذ طابع التنظـــيم والشمول ، ونجح هيرتزل في مساعيه لعقـــد المؤتمر الصهيوني الذي قدر لـــه أن ينعقد في ٢٨ من آب سنة ١٨٩٧ .

وعلى الرغم من أن هيرتزل لم يكن متحمســـا لفكرة جعل فلسطين – على وجـــه التحديد – الموطن القومي لليهـــود ، الا أن المؤتمـــر الصهيوني اتجه الى تأييـــد رأي القائلين بضرورة اختيـــار فلسطين ، نظرا لما لتلك البقعـــة من تأثير عاطفي في نفوس اليهود .

---

(١) صابر طعيمه : اليهود في موكب التاريخ ص ٥٦٦

(٢) الدكتور عبد الوهاب الكيالي : تاريخ فلسطين الحديث ص ٣٠

(٣) سعدى بسيسو : اسرائيل جناية وخيانة ص ١٩

وانتهى المؤتمر الى « أن هدف الصهيونيـة هو أن توجد للشعب اليهـودي وطنا في فلسطين ، يضمنه القانـون العام ، أما الخطوات التي يجب اتباعهـا لتحقيق تلك الغاية فهي :

١ – تقوية الاستعمار اليهودي لفلسطين .
٢ – انشاء منظمة ترتبط بهـا اليهودية العالميـة عن طريق مؤسسات في كل بلد به يهـود .
٣ – تقوية الشعور الوطني اليهـودي .
٤ – الحصول على موافقة الحكومـة على العمل لبلوغ الأهداف الصهيونية[١] .

(٢)

وعد بلفور

استغل اليهـود اندلاع الحرب العالميـة الأولى للتقرب من طرفي النزاع ، وعلى الرغم من استجابة المانيـا لنداءاتهم فانها لم تستطع اقناع حليفتهـا – الدولة العثمانية – بتغيير موقفها منهم .

وضاعف « وايزمان » الذي أصبح خليفـة لهرتزل جهوده الراميـة الى نيل تأييـد انجلـترا بالدرجة الأولى ، وتمكن من كسب صداقة بلفـور ، وسكوت – رئيس تحرير المانشستر جارديان – الذي عرّفـه بدوره بكل من لويد جورج وهربرت صموئيـل وهما عضوان في الوزارة البريطانيـة .

وصرح وايزمان في رسالة وجههـا الى سكوت في تشرين الثاني ١٩١٤ بقوله « في حالة وقوع فلسطين في دائرة النفـوذ البريطاني ، واذا ما قامت بريطانيـا بتشجيع استقـرار اليهود هنـاك ، باعتبارها محمية بريطانيـة ، فاننا نستطيع خـلال عشرين أو ثلاثـين سنة جمع مليـون يهودي هناك ، وقد يكون العـدد أكثر من ذلك فيقومون باعمـار البـلاد ، ويعيدون المدنية اليها ، ويشكلون في الوقت نفسـه حرسا هماماً لقناة السويس »[٢] .

أحست بريطانيـا أن استجابة العرب والمسلمين لنداء الجهـاد مع تركيـا سوف يؤثر في مركزها خـلال الحرب ، لذا بادرت الى الاتصـال بالشريف حسين لضمـان

---

(١) الان تايلور : مدخل الى اسرائيل ص ١٧
(٢) المصدر السابق ص ٢٣ .

وقوف العرب ضد العثمانيين .

وكانت السياسة العثمانية قد أوصلت العرب الى حافة اليأس من اصلاح ما فسد ، اذ لم يلقوا من جماعة الاتحاد والترقي سوى التعصب الذميم للعنصر التركي ، وانكار الحقوق العربية .

وتألفت الجمعيات العربية التي كانت تهدف الى تحسين أوضاع العرب ضمن اطار الدولة العثمانية ، ولكن العثمانيين لم يظهروا تجاوبا مع الآمال العربية بل لجأوا بدلا من ذلك الى التنكيل بالأحرار ، فتوج جمال باشا أعماله باعدام نخبة من رجالات العرب في بيروت خلال عامي ١٩١٥ و ١٩١٦ ، كما وسم جمهرة أخرى منهم بالخيانة ، على الرغم من توسط الشريف حسين للعفو عنهم .

وأدت هذه السياسة الى ازدياد النقمة على الدولة العثمانية ، واستغلت بريطانيا تلك الظروف الملائمة لحث الحسين على الوقوف الى جانبها والتخلص من الحكم العثماني .

وعلى الرغم من تردد الحسين في قبول هذا العرض ، الا أنه استجاب آخر الأمر ، بعد اتصاله برجال « العربية الفتاة » و « العهد » الذين عرضوا عليه « بروتوكول دمشق » ليكون أساسا للتعاون مع بريطانيا .

وتمخضت المراسلات المتبادلة بين الحسين ومكماهون عن تفاهم أساسه قيام العرب بالثورة على الدولة العثمانية ، على أن تلتزم بريطانيا بالاعتراف بخليفة عربي للمسلمين حين اعلان الخلافة ، والاعتراف بدولة عربية مستقلة ضمن حدود اتفق عليها الطرفان ، وتجدر الاشارة الى أن فلسطين تدخل ضمن تلك الحدود .

وعلى حين أعلن العرب الثورة على الدولة العثمانية في ٥ من حزيران ١٩١٦ تبين أن بريطانيا توصلت في مفاوضات أخرى مع فرنسا الى عقد اتفاقية « سايكس بيكو » في آيار ١٩١٦ وهي تتضمن استلاب الأراضي العربية الخاضعة للدولة العثمانية .

وقبل أن تدخل القوات البريطانية بقيادة الجنرال اللنبي فلسطين بتاريخ ١١ كانون الأول ١٩١٧ كان وزير خارجية بريطانيا آرثر بلفور قد أصدر وعده المشهور في ٢ من تشرين الثاني ١٩١٧ في صورة خطاب وجهه الى الثري الصهيوني اللورد روتشيلد ، يقول فيه : « يسرني جدا أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالة الملك ، بأن حكومته

تنظر بعين العطف الى تأسيس وطن قومي للشعب اليهـــودي في فلسطين ، وستبذل جهودها لتسهيل تحقيق هذه الغاية ، مع التأكيد بعدم الاضــرار بالحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهوديـــة المقيمة في فلسطين الآن ، والحقوق والمركز السياســي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى » .

(٣)

الانتداب ونضال الشعب الفلسطيني

دخلت القضيـــة الفلسطينية طورا جديدا مع دخـــول الجنرال اللنبي وعساكــره أرض فلسطين ، ومع بدايــة عهد الانتداب ، اذ باشرت بريطانيــا تنفيذ مساعيهــا ووعودها - التي توجّت بصدور وعد بلفور - بهدف المساهمة في تحقيق الأطمـــاع الصهيونية في فلسطين .

وفي تموز ١٩٢٠ أنهت بريطانيـــا الادارة العسكرية ، وأقامت ادارة مدنيـــة واختارت وزير داخليتهــا السابق « السير هربرت صموئيل » الصهيوني أول مندوب سام لهـــا في فلسطين ، ومنذ ذلك الحين باشر هربرت صموئيل مهامه في العمل على تهويد البـــلاد .

وعبر الدكتور وايزمـــان عن دور بريطانيا بقولـــه « احتضنت بريطانيـــا الصهيونية منذ نشوئها ، وأخذت على عاتقهـــا تحقيق أهدافها ، ووافقت على تسليم فلسطين خالية من سكانها العرب في سنة ١٩٣٤ ، ولولا الثورات المتعاقبة التي قـــام بها عرب فلسطين لتم انجاز هذا الاتفاق في الموعد المذكـــور »[1].

ويسّرت بريطانيـــا اغراق فلسطين بجموع المهاجرين اليهـــود ، حتى ارتفع عددهم من نحو ٥٥ ألف في عـــام ١٩١٨ الى نحو ٧٠٠ ألف في عـــام ١٩٤٨ ، حسب تقدير الجمعية الصهيونية ، كما عملت على تسهيل انتقال الأراضي لليهود ، حيث أغلقت المصرف العثماني ، الذي كان يقدّم القروض للمزارعين .

وضاعفت الضرائب على أصحاب الأراضي ، لدفعهم الى بيعهـــا ، وقامت بنقـــل ملكية مساحات كبيرة من الأوقاف الى اليهود ، كما قدّمت مساحات أخـــرى من أملاك

(١) اسرائيل جنايه وخيانة ص ٦٠

الدولة منحة للوكالة اليهودية .

واضافة لذلك لجأت بريطانيا الى تعيين عدد كبير من اليهود في الدوائر المهمة ، مثل دوائر الأراضي والسفر والهجرة ، وسهّلت لهم اقتناء السلاح والتدرب عليه ، وذللت أمامهم سبل الحصول على الامتيازات الاقتصادية واستغلال ثروات البلاد .

لم يقف الشعب العربي في فلسطين مكتوف الأيدي أمام المؤامرات التي كانت تهدف الى طمس عروبته وانتزاع أرضه .

ومنذ المراحل الأولى للمؤامرة اتخذت المقاومة صورا متعددة ، منها تقديم عرائض الاحتجاج ، والقيام بحملات التوعية من خلال الصحافة ، وتشكيل الجمعيات والتنظيمات الوطنية .

وأمام شعور الفلسطينيين بخيبة الأمل من امكان استجابة بريطانيا ، أو المجتمع الدولي لوجهة نظرهم حول وقف الخطر الصهيوني ، لم يجدوا بدا من اللجوء الى القوة .

وبدأت المصادمات الدموية الكبيرة منذ شهر آذار ١٩٢٠ ، ثم اتسع نطاقها في عام ١٩٢٩ ، وبخاصة حينما ازدادت مخاوف العرب من احتمال اعتداء اليهود على المسجد الأقصى .

ويبدو أن الحوادث التي وقعت في عام ١٩٢٩ كانت من الخطورة بحيث تردد صداها في الآفاق العربية ، وتجاوز الأمر حدود ترقّب الخطر ، أو توقع حدوثه الى الاعلان عن وقوعه ، والحث على ضرورة دفعه .

ويلاحظ أن الشعر الكويتي – أو ما وصلنا من نماذجه – لم يتعرض لقضية فلسطين قبل عام ١٩٢٨ ، ولعل أول اشارة للقضية هي التي جاءت ضمن قصيدة للشاعر خالد الفرج في ذلك العام عن ميثاق السلام ، ففي قصيدته تلك قارن بين مصطفى كمال حين حطم « معاهدة سيفر »[١] ، والعرب الذين طوّقهم وعد بلفور في قوله :

هَزِيَ القويُّ « بسيفر » وعهودها ولوعد بلفور بنا أطواقُ[٢]

ولعل هذه أول اشارة الى قضية فلسطين في الشعر الكويتي[٣] ، على أن حوادث

(١) معاهدة « سيفر » هي المعاهدة التي فرضها الحلفاء على تركيا بعد الحرب العالمية الاولى .

(٢) ديوانه ص ١٧٦

(٣) جاء في كتاب فلسطين في الشعر النجفي أن أول شاعر عراقي تعرض لقضية فلسطين هو الشاعر صالح الجعفري . وكان ذلك في عام ١٩٢٨ .

عـــام ١٩٢٩ لفتت خالد الفرج وغيره من شعراء الكويـــت الى الاهتمام بمعالجة القضية الفلسطينية ، وأعادت الى الأذهان النتائج الخطيرة التي يمكن أن تنجم عن وعد بلفور .

وبعد أن اتضح تصميم اليهـــود على التشبث باقامة الوطن القومي ، وتكررت اعتداءاتهم على السكان العرب خلال عام ١٩٢٩ ، توجه خالد الفرج بخطابه الى بلفـــور ، الذي يعدّ في نظره أساس البـــلاء ، وفي هذا المعنى يقول :

هذي فلسطين الوديـ ـعة في مصائبها تميدْ
ما ينقضي زلزالها حتى تزلزل من جديد
من قبل وعدك بالهنا عاش المسوَّد والمسود

ثم ذكر بلفور بحق العرب التاريخي في فلسطين منذ أقدم العصـــور ، وقارن بين قدم عهدهم بها وحال اليهود المشردين في أنحاء الأرض :

الدّارُ دارُ جدودِهم من عهد كنعان البعيدْ
فَلِيَعْرُبِ الملكُ الطريـ ـفُ وللعماليقِ التليد
ما لليهود الغاصبيـ ـن سوى المآثمِ والحقود
شعب شريد في المما لك منذ أن بريَ الوجود[1]

وثمة شاعـــر آخر هو محمود الأيوبي أثاره في عـــام ١٩٢٩ « حادث البراق » الذي يرى أنه جاء نتيجة لسياسة بريطانيـــا الجائرة في اصدار وعـــد بلفور ، ثم لاطلاقهـــا أيدي اليهود لتعبث بالمقدسات ، وتستفزّ المشاعر ، وتزعزع الأمن والاستقرار :

وفي فلسطين من « بلفور » مهزلة هُزَّت لها من خمار الحقد أذقانُ
فحادث القدس ساء الناس قاطبة و « للبراق » على التنكيل برهان
واليوم أشعلتُم نارا تؤججها أيدي اليهود ، وهم للفتك ذؤبان
فبنتيوس وصمويل وأولهم بلفور كلُّهمُ للجور أوثان

ثم يترحم على حال فلسطين :

لهفي عليك فلسطين العزيزة يا مهد السلام وللاسلام بستان

---

(١) ديوانه ص ١٨٠

في كلّ شبر شهيد حوله جثث   من الضحايا الأُلى للبغي ما دانوا[1]

وبعد حوادث عـام ١٩٢٩ لجأت الحكومة في فلسطين الى اعتقـال عدد كبير من العرب ، وأخذت في محاكمتهم .

وفي ١٧ من حزيـران ١٩٣٠ قامت الحكومة بتنفيذ حكم الاعـدام في ثلاثة من المناضلين العرب ، ممن أدينوا في حوادث ١٩٢٩ ، وهم فؤاد حجـازي وأحمد عطا الزير وخليل جمجـوم .

وكان لاعدامهم رنة حزن غمرت الوطن العـربي ، وأثارت السخط على بريطانيـا التي لم تلجأ الى العدل والمساواة في معاملة الطرفين المتنازعين .

ويمجّد محمود الأيوبي شهداء الوطن ، وضحايا وحشية الانجلـيز فؤاد وأحمد وخليل الذين كانوا يتسابقون الى المشنقة بشجاعة خارقة :

« فؤاد » شهيد الحق أسرى مُهَلِّلا   وخلّف ذكرى وهو كالطفل طاهرُ
وسار « خليل » للفراديس مشرقا   نقي المحيّا وهو كالورد عاطر
و« أحمد » لم يحفل مشى للردى ولم   يَشنْهُ ظلام الحزن والوجه ناضر
هم هتفوا لبيك لبيك أمتي   وساروا على الأكباد شدّا وخاطروا
ضحايا وحوش الانجليز تضرّجت   من الدم منها أرضنا والحفائر[2]

وعلى الرغم من كل المحاولات والجهـود السياسية التي بذلها الفلسطينيون لم تتوقـف بريطانيـا عن المضي في تسهيل اقامة الوطن القومي لليهـود في فلسطين ، وكان لا بد من السعي الى تطوير أساليب المقاومة ، فعمّت المظاهرات والاضرابـات مدن فلسطين وقامت الجماعات المسلحة بأعمـال بطولية هاجمت خلالها معسكرات الجيش البريطاني واغتالت عددا من الضباط الانجلـيز .

ويعدّ الشيخ عزالدين القسّام – امام أحد مساجد حيفـا – خير مثال لرجال الديـن ، الذين فضّلوا مواجهة العدو والاستشهاد على الاكتفاء بحث الآخرين على الجهـاد ، وقد واجه قوات الاحتلال مع نفر قليـل من صحبه وآثر الاستشهـاد في ٢٥ من تشرين الثاني ١٩٣٥ على الاستسلام .

---

(١) الحان الثورة ص ١٩٨

(٢) الحان الثورة ص ٢١٩

(٤)

ثورة سنة ١٩٣٦

أيقظت بسالة الشهيد عزالدين القسّام وجماعته المشاعر ، وأججت الحماسة للثورة ، وأدرك الشعب الفلسطيني عقم الأساليب التي ينتهجها الزعماء التقليديـون في محاولاتهم دفع بريطانيا الى الالتفات للمطالب العربية .

وشكلت لجان قوميـة دعت الى اعلان الاضراب ، فتجاوبت الأحزاب مع تلـك الدعوة . واتفقت على تكوين اللجنة العربية العليـا ، وأوكلت للحاج أمين الحسيني رئاستها .

وأعلنت اللجنة أنها سوف تدعو الى الاستمرار في الاضراب الى أن تتحقق المطالب الوطنية التي تتلخص في وقف الهجرة اليهودية ، ووقف انتقـال الأراضي لليهـود .

واستجابت فئات الشعب لدعوة الاضـراب ، فأغلقت المحلات التجاريـة وامتنع الطلاب عن الذهـاب الى مدارسهم ، كما امتنع القرويـون عن دفع الضرائب أو ارسال محاصيلهم الى الأسواق ، وأضرب جزء كبـير من المواطنين عن أداء أعمالهـم وتم تنفيذ الاضراب بصورة محكمة ، بحيث أصيبت الحياة العامة بالشلل .

وانتقل الأمر الى طور المجابهة ، فأشعلت الحرائـق ، وقطعت المواصـلات ووقعت المصادمات المسلحة ، والهجمات المباغتة على المواقع الحكومية والصهيونية .

كانت أصداء الثورة الفلسطينية تتردد في الوطن العربي ، فتلهب الحماسة وتبشـر بانقـاذ البلاد مما تعاني ، وهب الشعر لتمجيد الثوار والاشـادة بهم ، والدعوة الى مساندتهم .

ويتخذ الشاعر فهد العسكر من استقبـال البعثة التعليمية الفلسطينية التي جاءت الى الكويت في عـام ١٩٣٦ مناسبة للتساؤل عن حال فلسطين ومناضليها الذين لبّوا نداء الواجب :

بالله يا رسل الثقافة خبّرو ... نا كيف حال الأخت يا اخواني
أعني فلسطينا وكيف أمينها[١] ... وجنوده وبقيّة السكان

(١) يقصد الشاعر بـ « أمينها » الحاج أمين الحسيني

بعد الكفاح وبعد ما بثّ اليهو　　د شرورهم فيها بكل مكان
إني سمعت نداءها وسمعت تل　　بية الضياغم من بني عدنان
وزئير أشبال العروبة من بني　　غسان لا نكبوا بنو غسان

ويتطرق للدور الذي لعبته بريطانيا ، باصدارها الوعد القاضي باقامة وطن قومي لليهود في فلسطين :

لا دَرَّ دَرُّ الغادرين فإنّهم　　وعدوا اليهود بقسمة الأوطان
وبنيّ كالغرباء في أوطانهم　　أو ليس هذا منتهى الطغيان[1]

ولصقر الشبيب عدة قصائد يحيي فيها الثورة ، ويحث العرب على ضرورة الوقوف الى جانب الثوار ومدهم بما يحتاجون ، كما ينحي باللائمة على الذين يتخلفونَ عن مساندة الثورة ، يقول مشيدا بنضال شعب فلسطين خلال ثورة ١٩٣٦ ، ومؤكدا ضرورة النهوض لنصرة المناضلين ، لأن في ذلك دفاعا عن النفس ضد خطر يهدد العرب أجمعين :

وقد جاهدت شبانُهم وكهولُهم　　جهاد بهاليل غطارفة غرٍّ
جهادٌ فؤاد المجد سُرَّ بوقعِهِ　　وعادت له العلياء باسمة الثغر
وقد أصبحت فَرْضاً معونتهم بما　　تصونون من غالي الحياة أو التبر
فان تنجدوهم يا بني العرب تنجدوا　　نفوسكم لا غيرها من يد الشرِّ[2]

وواجهت الحكومة أعمال الثوار بالقوة ، فأدى ذلك الى زيادة اشتعال الثورة ، فاضطرت الى انتهاج أسلوب آخر ، حيث أجرت اتصالات مع السعودية والعراق والأردن بهدف التوسط لدى اللجنة العربية العليا .

وحاول الأمير عبدالله – أمير شرق الأردن – التوسط ، ولكن اللجنة العربية العليا لم تستطع الاستجابة لطلبه نتيجة الضغط الشعبي، كما بذل نوري السعيد محاولات أخرى للتوسط ، ولكنه لم يوفق لما أراد ، نتيجة اصرار الشعب الفلسطيني على الاستمرار في الثورة والاضراب .

وكذلك فان وعود بريطانيا بارسال لجان للتحقيق في مطالب العرب لم تجد آذانا مصغية ، بعد أن تبينت حقيقة تلك اللجان .

---

(١) فهد العسكر – حياته وشعره ص ١٤٨ ط٣
(٢) ديوانه ص ٢٧٠

وفي هذه الأثنــاء دخل فوزي القاوقجي فلسطين ليكون قائدا عاما للثورة العربية ، ولحق به سعيد العاص . وتدفق المتطوعون العــرب ، وتطورت أساليب الثــوار ، فامتد لهيب الثورة الى مناطق عدة من فلسطين وتكرر هجوم الثوار على المواقع البريطانية والمستوطنات اليهودية ، وشهدت البلاد معارك دامية ، سطر خلالها الشعب العربي في فلسطين آيات البطولة والتضحية ، وأثارت تلك المعارك الرعب في المستوطنات اليهودية ، ففرّت أعداد كبيرة من اللاجئين اليهود الى القدس ، حتى ضاقت بهم .

أخفقت بريطانيــا في وقف الثورة وكذلك في وقف الاضــراب الذي امتد نحو ستة شهور ، على الرغم من لجوئها الى شتى أساليب القمع والارهــاب ، وعندئذ عادت الى طلب وساطة ملوك العرب وأمرائهم ورؤسائهم ، الذين وجهوا - بعد اتصالهم باللجنة العربيــة العليــا - نداءات في ٨ من تشرين الأول ١٩٣٦ تحث على وقف الأعمــال الثوريــة والاضراب ، جاء فيهــا « الى أبنائنا عرب فلسطين . . ندعوكم للاخــلاد الى السكينة ، حقنا للدماء ، معتمدين على حسن نوايــا صديقتنا الحكومة البريطانيــة ورغبتها المعلنــة لتحقيق العدل ، وثقوا بأننا سنواصل السعي في سبيل مساعدتكــم حتى النهايــة »[1] .

قامت اللجنة العربية العليــا باعلان نداءات الحكام العرب ، ودعت الشعب الى انهاء الاضراب في ١٢ من تشرين الأول ١٩٣٦ بعد أن استمر نحو ستة شهور وهي أطول مقاومة مدنية في التاريــخ .

وبهذا تم اجهاض الثورة نتيجة عجز القيادات السياسية التقليدية الفلسطينية منها والعربية ، وعدم قدرتها على تطوير أساليب النضال ومواصلة الصمــود .

وعلى الرغم من وقوع القيادات في هذا الخطأ الجسيم لم تفقد الجماهير ثقتها بقدرة فلسطين على مواصلة الثورة حتى تتحقق المطالب العادلــة .

وها هو ذا صقر الشبيب يدعو بعد انهاء الاضراب الى ضرورة مد الثــوار بالمال ، حيث تبين قدرتهم على الوقوف في وجه الأعداء :

بني يعرب من فاته أمس سَلُّهُ ... حساما به عن قومه يحسن الذَّبَّا
فما فاته أنْ تمنح اليوم كفُّهُ ... فلسطينَ ما يمحو به ذلك الذَّنبا
فجودوا بكثر المال والقلِّ واذكروا ... هنالك أرحام العروبة والقربى

(١) اسرائيل جنايه وخيانه ص ٩٩

ويعرّج على ذكر قادة ثورة ١٩٣٦ ، فيشيد بالقائدين فوزي القاوقجي وسعيد العاص وصحبهما :

فمرحى « لفوزيٍّ » العلا و « سعيدها » وصحبهما المعلين أعلامها القُشْبا
فقد رفعوا شأن العروبة فاعتلى بهم وجلوا عن شمس علياتها الحجبا
وألقوا عليها خير درس مفاده إذا شئت أن تحيا فلا تغمد العضبا[1]

وبعد مرور شهر واحد من نهاية الاضراب ، وصلت الى فلسطين لجنة « بيل » للتحقيق ، فقاطعتها اللجنة العربية العليا ، ولكنها عادت الى الاتصال بها استجابة لطلب الحكام العرب .

وانتهت لجنة بيل في تقريرها المؤرخ في ٧ تموز ١٩٣٧ الى التوصيـة بـ « تقسيم فلسطين الى ثلاثة أقسـام بين العرب واليهود والانجلـيز».

أثار تقرير لجنة بيل استياء عاما في الأوساط العربية ، وفي ٨ من أيلول ١٩٣٧ عقد مؤتمر في بلودان بسوريـا حضره مندوبون عن مصر وسوريا والعـراق ولبنان وفلسطين وأكد المؤتمر حق العرب في الدفـاع عن فلسطين ، كما طالب بالغاء تصريح بلفـور والانتداب ، وعقد معاهدة انجلو فلسطينية ، تعترف بريطانيـا بموجبها باستقـلال فلسطين ، وتوقف الهجرة اليهوديـة .

أما الفلسطينيون فقد استهلوا ثورتهم باغتيـال حاكم الجليل ، ثم امتدت الأعمـال الفدائية لتشمل قطع طرق المواصـلات ، واضرام الحرائق في المنشآت البريطانيـة وشن الهجمات على قوات الاحتـلال .

وعـاد الأمل باندلاع الثورة ثانيـة ، كما عادت الدعوة الى ضرورة مساندة الثـوار للقضاء على مشاريع التقسـيم .

وفي قصيدة لصقـر الشبيب نشرت في أيلول ١٩٣٧ نلمس لدى الشاعر الحاحـا في أن تلقي مصـر بثقلها في معركة فلسطين ، ولوما للأزهـر وشيخه ، ولحكومة النحاس التي شغلتها الأوضاع الداخلية في مصـر ، وترحما على أيـام سعد زغلول وفي ذلك يقـول :

لُومي فلسطينُ العزيزةُ أو ذَري مصرا على هذا السكوت المُنكرِ
. . . . .
وأحقُّ من مصر بكلّ ملامة ذاك الذي يدعونه بالأزهر

(١) ديوانه ص ١٣٧

كنّا نؤمّلُ أنْ يقيم قيامه إنْ لم ترق مهج الأعادي تذعر
فاذا تثاقله يطول كأنما دَهَنَ العدى أعصابه بمخدّرِ

. . . . .

لو لم يغب يا مصر سعدك ما أتى « نحاسُك » الأمر الذي لم يُشْكَرِ[1]

وفي قصيدة أخرى نشرت في كانون الأول ١٩٣٧ يؤكد صقر الشبيب الصفة القومية لقضية فلسطين ، وينبه الى أنه لا لوم على العجم والهنود ان هم تراخوا عن نصـرة قضيتنا ، مع كونهم من المسلمين ، ذلك أن الروابط بين العرب تجـاوز العامل الديني لتشمل اللغـة والنسب أيضـا :

وما جبنت فلسطين ولكنْ عليها للعدى كثر الجنودُ
وها هي تستغيث بنا فحتى متى عن أنْ نعين بنا جمود
فليس العجْمُ تعذل إنْ تراخت بنجدتها ، ولا تلحى الهنود
فانْ متّوا بدينهم الينا ونعم الرابط الدين الفريد
ففيما بيننا لغة ودين وفيما بيننا النسب الأكيد[2]

ومع ازدياد نشاط الثوار الفلسطينيين عادت بريطانيا الى انتهاج أقسى أساليب البطش ، وبلغ عدد الذين أعدموا ١٤٨ شخصا من بينهم الشيخ « فرحان السعدي » الذي كان في الثمانين من عمره ، ولم يرع الانجليز شيخوخته ، بل دفعوا به المشنقة في عكا خلال شهر رمضان وهو صائم .

وحول حادث اعدام الشيخ فرحان يقول محمود الأيوبي مخلدا بسالته وتضحيته :

حيّوا بفرحان السعدي شيبته تلك التي حولها الأنوار تزدخر
في الخالدين مضى في زورق عبقت به الطيوب بمن يوم اللقا صبروا

ويسخر من بريطانيا – الدولة المتقدمة – التي أمست تنقاد لشذاذ الصهيونيين ، وتنسى احتمالات تحرك العرب جميعهم بسبب ما يحدث في فلسطين :

عجبت من أمة « التاميز » كيف غدت حيرى على مذبح الشذاذ تنتحر
أين العقولُ التي راضت ثقافتها « كمبردج » لَمْ تغنها الآيات والنذر

---

(١) ديوانه ص ٢٧٨

(٢) ديوانه ص ١٩١

هذي فلسطين قلبٌ في عروبتنا تلقي دروسا ستأتي بعدها أُخَرُ
فكيف لو زحفت فرسان يعرب في يوم به موقد الثارات يستعر[1]

وهكذا لم تفلح السياسة التعسفية التي انتهجتها بريطانيا في وقف الثورة بل أدت الى زيادة اشتعالها ، كما دفعت الى تطوير أساليب النضال وجعلها أكثر دقة وتنظيما ، وتم تشكيل « اللجنة المركزية للجهاد » التي جعلت مقرها في دمشق. وأمام صلابة الثوار وتعاظم قوتهم ، لم تجد بريطانيا بدا من العدول عن قرار لجنة بيل حول التقسيم ، واعلان مواصلة الانتداب ، كما لجأت الى دعوة مندوبين عن مصر والعراق واليمن وشرق الاردن للبحث في مصير القضية الفلسطينية .

وافتتحت المفاوضات في ٧ من شباط ١٩٣٩ ، وعندما أخفق الفريقان العربي واليهودي في التوصل الى صيغة معينة للاتفاق أصدرت بريطانيا في ١٧ من أيار ١٩٣٩ الكتاب الأبيض ، وأعلنت فيه أن هدفها هو أن تقيم في غضون عشرة أعوام دولة فلسطينية ترتبط مع بريطانيا بمعاهدة ، كما أصدرت تصريحا بينت فيه أنه بدخول الدفعة الأخيرة من المهاجرين اليهود الجدد ، وعددهم ٧٥ ألف نسمة خلال خمس سنوات يجب وقف الهجرة ، وخلال فترة السنوات الخمس هذه يجب أن يوضع حد لتملك اليهود أراضي جديدة في فلسطين .

انقسم العرب ما بين مؤيد ومعارض لما جاء في الكتاب الأبيض ، أما اليهود فأظهروا سخطهم على الحكومة لاقدامها على اصداره .

وكانت الظروف الداخلية وأجواء الاستعدادات للحرب العالمية الثانية من بين الأسباب التي أدت الى اختناق الثورة التي ظلت مشتعلة في فلسطين من عام ١٩٣٦ الى عام ١٩٣٩ .

تلقى الصهيونيون صدور الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ بالرفض ، وانتهجوا في سبيل مقاومته مسلكين ، أحدهما اللجوء الى الارهاب ضد الحكومة لدفعها الى العدول عما ورد فيه ، وخاصة ما يتصل بالهجرة اليهودية ، وثانيهما التماس الدعم الأمريكي .

وقامت المنظمات الصهيونية شبه العسكرية ، وهي الهاجانا وأرغون زفاي ليومي وعصابة شتيرن بأعمال ارهابية ضد الشرطة والجنود البريطانيين .

وفي الوقت ذاته أحس الصهيونيون وهم يحوّلون ثقلهم صوب الولايات المتحدة الأمريكية انها اذا ما دخلت الحرب فسوف يكون من المحتمل أن تخرج منها زعيمة

(١) الحان الثورة ص ٢٢٥

للغرب ، بحيث يصبح بمقدورها ممارسة ضغط فعال على بريطانيا لدفعها الى العدول عن سياستها المعلنة في الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩[1] .

ولم يكن العرب يجهلون أساليب بريطانيا في المراوغة ، وفي الرجوع عن وعودها اذا ما أحسّت بتغير الظروف لصالحها ، وهم وان لم يجدوا في الكتاب الأبيض سوى بصيص ضئيل من الأمل ، الا أن تجاربهم مع بريطانيا كانت كافية لتوكيد سهولة تنصلها مما أعلنت .

ولصقر الشبيب كلمة تؤكد هذا المعني قالها خلال عام ١٩٤٠ ، وعبّر فيها عن شعوره بأن لين الأعداء ما هو إلا خداع ومراوغة :

إنْ يلينوا للبعض منّا فهذا　　لينُ أفعى منها استحال السلام
أو ينيلوا الحطام منها أناسا　　فسلوهم من أين ذاك الحطام [2]

وبوفاة الرئيس الأمريكي روزفلت ، واعتلاء الرئيس ترومان سدة الرئاسة تسنّى للصهيونية أن تحقق كثيرا من المكاسب ، ففي ٣١ آب ١٩٤٥ اتخذ ترومان أول اجراء ايجابي في صالح الصهيونيين ، بالطلب الى « أتلي » رئيس وزراء بريطانيا السماح بدخول ١٠٠ ألف لاجيء يهودي الى فلسطين[3] .

وكانت بريطانيا تخشى رد الفعل العربي للموافقة على مثل تلك الخطوة التي تعد خرقا لسياسة الكتاب الأبيض ، لذا رأت أن تشرك معها أمريكا في تحمل المسؤولية ، فاقترحت تشكيل لجنة انجليزية أمريكية في سنة ١٩٤٦ ، لتوصي بالحل المناسب .

ورأت اللجنة أن الخصومة بين اليهود والعرب جعلت من انشاء دولة مستقلة في فلسطين أمرا متعذرا في ذلك الوقت ، ومن ثم أشارت على الحكومة البريطانية بأن تحتفظ بالانتداب الى أن تعد اتفاقية لفرض وصاية على فلسطين تحت إشراف الأمم المتحدة ، وفي الوقت عينه أوصت اللجنة بالسماح لمائة ألف يهودي اوروبي بدخول فلسطين ، بناء على ما طلبه الرئيس ترومان [4] .

وزاد الصهيونيون من جهودهم لتجنيد الأعوان في الكونغرس الأمريكي بغية تأييد

---

(١) انظر : مدخل الى اسرائيل ص ٧٥

(٢) ديوانه ص ٤٠٦

(٣) مدخل الى اسرائيل ص ٨٦

(٤) هنري كتن : فلسطين في ضوء الحق والعدل ص ٢٥

مطالبهم ، كما لجأوا الى وضع خطط محكمة لتنظيم الهجرة غير المشروعة الى فلسطين ، ويضاف الى ذلك تصعيد أعمال العنف ضد البريطانيين .

* * *

كان لتقرير اللجنة الانجليزية الأمريكية وقع سيئ في الأوساط الفلسطينية والعربية ، ففي فلسطين عمت الإضرابات ومظاهرات الاستنكار والاحتجاج ، وعلى الصعيد العربي ازدادت حدة التذمر والقلق من المصير الذي بدأت تنزلق اليه القضية الفلسطينية ، وارتفعت الأصوات منادية بضرورة النظر الى القضية بكثير من الجدية والوعي ، مع الاستعداد للتضحية .

يقول عبد الله النوري من قصيدة أنشدها في شهر أيار من عام ١٩٤٦ :

فتى الشرف الأعلى ومنبت نشئه ... اليك انتهى أمر دهينا به أمر *
تضام فتاة العز وهي قريبة ... اليك وفيك المجد والشرف الكبر
أتشقى فلسطين وانتم حماتها ... فأين السيوف البيض والأسل السمر
وأين رجال المجد من كلّ عترة ... يمثلها صيت ويرفعها ذكر

وفي المسجد الأقصى ومسرى نبيكم ... تذل به التقوى يهان به الذكر
وهل يرتضي الاسلام هذا المسجد ... اليه سجودا في صلاتهم خرّوا[1]

ويحيي « عبد الله أحمد حسين » في عام ١٩٤٦ من أرخصوا دماءهم في سبيل الحفاظ على عروبة فلسطين ويدعو الى انتزاع الحق عن طريق اللجوء للقوة :

حيّوا الدماء السائلا ... ت على ربي القدس الشهيد
عودوا لزمجرة الحد ... يد فما يفيد سوى الحديد
واستخلصوا العذراء من ... أيدي الزبانية اليهود[2]

وفي الجانب الرسمي تنادى الحكام العرب الى مؤتمر عقد في « انشاص » بمصر في ٢٨ من أيار ١٩٤٦ ، وأعلن المجتمعون أنهم يتمسكون بعروبة فلسطين ويأملون الا يؤدي

(*) الامر : المنكر أو العجيب
(١) من الكويت ص ٦٦
(٢) مخطوطه

ما لحق بالفلسطينيين من ظلم الى تعكير صفو العلاقات بينهم وبين كل من بـريطـــانيا وأمـــريكا .

وخلال شهر حزيران من عام ١٩٤٦ عقد اجتماع استثنائي لجامعة الدول العربية في « بلودان » بسوريا ، وكان من مقررات هذا المؤتمر مفاوضة الحكومة البريطانية لحل قضية فلسطين ، فإذا أخفقت المفاوضات تعرض القضية على الأمم المتحدة .

والجزء الثاني من التوصية يتفق مع رغبة بريطانيا في التنصل من مسؤوليتها تجاه تردي الوضع في فلسطين ، وجعل القضية في يد الأمم المتحدة ، التي تستطيع أمريكا ممارسة ضغط كبير عليها .

وفي تشرين الثاني ١٩٤٦ عقد مؤتمر لندن ، وتقدم العرب بمشروع يتضمن بـعض التنازلات ، ولكن بريطانيا لم تأخذ به بحجة عدم موافقة اليهود ، وتقدمت بدلا من ذلك بمشروع آخر يقضي بوضع البلاد تحت حماية دولية لمدة خمسة أعوام وتقسيمها الى وحدات إدارية ، وبعد أربعة أعوام تحاول جمعية عربية يهودية سن دستور فلسطين المستقلة ، فإذا اتفقت أكثرية أعضائها اليهود وأعضائها العرب اعلن الاستقلال ، والا رفعت القضية الى الامم المتحدة[1] .

ولما أصبح من المتعذر الوصول الى أي اتفاق نتيجة لتعارض مصالح الأطراف الثلاثة ، قررت بريطانيا التخلي عن الانتداب ، وعرض القضية الفلسطينية على الأمم المتحدة .

(٥)

قرار التقسيم ومقاومته

طلبت الحكومة البريطانية رسميا ادخال قضية فلسطين في جدول أعمال الامم المتحدة في الثاني من نيسان ١٩٤٧ ، وفي ٢١ و ٢٢ نيسان طلبت مصر والعراق وسوريا ولبنـان والمملكة العربية السعودية أن يدرج في جدول الأعمال الانتداب على فلسطين ، واعــلان استقلالها[2] .

وعيّنت الامم المتحدة لجنة لدراسة القضية وتقديم الاقتراحات المناسبة وتوصلت

---

(١) جهاد شعب فلسطين ص ٢٩٥

(٢) ملف القضية الفلسطينية ص ٤٣

اللجنة الى إقتراح مشروعين أحدهما مشروع الأغلبية ، والآخر مشروع الأقلية ، واقترح مشروع الأغلبية إنهاء الانتداب ، وتقسيم فلسطين ، وانشاء دولة عربية ودولة يهودية وكيان منفصل لمدينة القدس يخضعها لنظام دولي خاص ، أما مشروع الأقلية فيقترح بدوره انهاء الانتداب ولكنه يدعو الى انشاء دولة اتحادية ، قوامها دولة عربية وأخرى يهودية ، وتكون القدس عاصمة الدولة الاتحادية .

وعارض العرب تقسيم فلسطين مستندين الى أنه لا يتفق مع العدل والديمقراطية .

وفي الجولة الأولى من التصويت لم ينل مشروع التقسيم في الامم المتحدة العدد اللازم من الأصوات لإقراره ، وتكرر التأجيل حتى تتاح الفرصة للصهيونيين كي يمارسوا مزيدا من الضغط ، وفي هذه الأثناء لعبت الولايات المتحدة الأمريكية دورا بارزا بتوجيه من الرئيس ترومان لدفع الدول المعارضة للتقسيم الى العدول عن رأيها وبدا ذلك جليا حين انتقلت خمس دول من معارضة التقسيم الى تأييده ، أو الاكتفاء بالامتناع عن التصويت .

وفي ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ أقرت الامم المتحدة مشروع التقسيم بأغلبية ٣٣ صوتا ضد ١٣ صوتا ، وامتناع ١٠ عن التصويت .

وبعد اقرار ذلك المشروع أعلنت بريطانيا أنها سوف تنهي الانتداب ، ولعلها قصدت بذلك اتاحة الفرصة لليهود ليعلنوا قيام دولتهم ، بعدما هيّأت أسباب قيامها .

وكان لتلك النتيجة التي انتهت اليها القضية الفلسطينية وقع مؤثر على امتداد الوطن العربي ، حيث ارتفعت أصوات الغضب والاحتجاج ، ونرى الشاعر خالد الفرج يخاطب مجلس الأمن وهيئة الامم المتحدة في عام ١٩٤٧ متسائلا عن وجه العدالة في تقسيم فلسطين :

يامجلس الأمن بل يا هيئة الامم	ماذا التلاعب في الألفاظ والكلم
هل العدالة سلب المرء موطنه	والأمن هل هو في التقتيل والنقم

ثم يلتفت الى بريطانيا ليذكرها بأنها منذ أصدرت وعد بلفور وهي تحتضن الوليد الصهيوني ، حتى اشتد عوده وأصبح قادرا على البقاء والاستفزاز والعدوان :

ما وعد بلفور الا بدء سلسلة	من المظالم في التاريخ كالظُّلَمِ
مضت ثلاثون عاما وهو يكلؤهم	كالأم تحضن طفلا غيرَ مُنْفطم
فأعلن الانجليز اليوم عزمهم	على الجلاء وأبدوا طيش منهزم

ويؤكد أن الاضرابات والمظاهرات لا تعيد الحقوق المغتصبة ، وليس ثمة من سبيل الى ادراك الغايات بغير اللجوء للقوة ، ثم العمل على جمع الشمل واقامة الوحدة :

ما في الصياحِ ولا الاضراب منفعة وليس ينفع إلاّ بطش منتقِم
يا قوم ساعتنا العظمى لقد أزفت وليس غير امتشاق الصارم الخذم
فكوّنوا وحدة منكم مؤيدة بكلّ مقتدر بالله معتصم[1]

* * *

وبعد أن تلقى الشعب الفلسطيني بخاصة ، والشعب العربي بعامة قرار التقسيم بالرفض ، شرع القادة الفلسطينيون وغيرهم بالعودة الى فلسطين للمشاركة في النضال ، وأخذت عناصر جيش الانقاذ تتحرك للمساهمة في القتال .

واشتدت الصدامات بين العرب واليهود ، واتسع نطاقها ، الأمر الذي دفع أمريكا الى اعادة النظر في امكان نجاح مشروع التقسيم .

وفي ٩ من آذار ١٩٤٨ اضطرت لأن تطلب من مجلس الأمن عقد دورة خاصة للجمعية العامة لتعمل على وضع حل جديد .

وأنهت الجمعية العامة دورتها الخاصة بقرار يوصي بتعيين وسيط دولي مهمته تسوية الموقف في فلسطين تسوية سلمية .

ويقول عبدالله زكريا الأنصاري مخاطبا الوسيط الدولي « الكونت برنادوت » ، ومبينا وجه الظلم الذي لحق بالعرب من جراء انحياز مجلس الأمن الى جانب اليهود :

رفعوا عن مسرح الظلم ستارا وأنبروا يبغون في الأرض جهارا
أوغلوا في الجور حتى خلتهم في مدى جورهمُ قوما سكارى
عبثت بالحق أيديهم وقد ملأوا الدنيا خرابا ودمارا
أو لم يأتك ماذا فعلوا حين سنّوا لفلسطين قرارا
عبدوا صهيون في أمواله وتخلّوا عن بني العرب أزورارا[2]

وخشي اليهود أن تؤدي محاولات مجلس الأمن البحث عن صيغة جديدة لمعالجة قضية فلسطين الى صرف النظر عن قرار التقسيم ، وقرروا لذلك زيادة الأعمال الارهابية واشاعة

---

(١) ديوانه ص ١٨٦
(٢) مجلة كاظمه آب ١٩٤٨

الذعر بين السكان العرب ، لدفعهم الى مغادرة بلادهم .

وكانت مذبحة دير ياسين في ٩ من نيسان ١٩٤٨ من أكبر الأعمال الوحشية تأثيرا في السكان .

وعن تلك الكارثة ومثيلاتها التي ذبح فيها السكان ذبح النعاج يقول خالد الفرج :

وغَدَت فلسطين الشهيدة مذبحا — فيه الدماء جرت من الأوداج
في « دير ياسين » وفي أخواتها — ذبح الأهالي مثل سَرْح نعاج
والمسلمون جميعهم في - شاغل — من سفسفات أو عقيم لجاج[1]

وصمد الفلسطينيون على الرغم من افتقارهم الى السلاح للقوة اليهودية التي تتفوق عليهم بعدتها وحسن تنظيمها ، ولكن نفاد ذخيرتهم من جهة والموقف المناصر للصهيونية من قبل قوات الاحتلال من جهة أخرى مكّنا اليهود من احتلال بعض المواقع قبل أن يحل الموعد المعلن لانتهاء الانتداب .

(٦)

الحرب العربية الاسرائيلية ١٩٤٨

وبعد اعلان انتهاء الانتداب في ١٥ من أيار ١٩٤٨ بدأت كتائب من الجيوش العربية بدخول فلسطين تنفيذا لقرار سابق للجامعة العربية ، فاستقبلت بالبهجة والفرح والأمل في القضاء على العدوان ، وعمّت الفرحة أرجاء الوطن العربي ، وعلت أصوات الفخر والاعتزاز بمن تنادوا لنصرة الحق .

يقول عبدالله زكريا الأنصاري مصورا تلك المشاعر :

يا فلسطين زهت أوطاننا — ببني المجد وجاءت لا تُبارى
هتفت مصر وضجّت مكّة — وغدت بغداد لا تبدي قرارا

. . . . . .

أعلنوها ثورة قدسيّة — ومشى الاسلام فيها والنصارى
وثبوا كالأسد في وجه العدا — وثبة أضحى لها القوم حيارى

---

(١) ديوانه ص ١٦

نحن لسنا عربا إنْ لم ندع فكرة التقسيم عنهم تتوارى[1]

ويعبر أحمد السقاف عن الأمل بالنصر في قوله :

بين فتك الظبا وخوض الملاحم ظهر المجد وهو جذلان باسمْ

ويذكّر أدعياء السلام بما آلت اليه الحال في فلسطين :

يا حماة السلام مني سلام محرق كالشواظ غضبان ناقم
ليس عدلاً أن يشنق العدل في القد س وأن تستباح فيه المحارم
ليس عدلاً أن تنجزوا حلم صهيو ن ، وصهيون فاقد الرشد وأهم

ثم يصف تحفّز العرب للذود عن حقهم :

أقسم العرب أن تصان فلسطيـ ن وألاّ يروعها أيّ قاسم
وتَنَزَّت مما ارتكبتم ملايـ ن وخفّت الى الجهاد عوالم
فالعِقالُ الأبيّ شدّ على العز م وليثت على الثبات العمائم[2]

ومنذ الأيام الأولى لاندلاع الحرب « فرضت القوات العربية الحصار البحري على فلسطين ، وأنزلت في صفوف العدو ضربات قوية . . . . ولم يمض اثنا عشر يوما على بدء القتال حتى أضحت الكتائب المصرية والعراقية تحدق بتل أبيب نفسها . ، وتحرز القوات العربية في سيرها تقدما مستمرا »[3]

وكان مجلس الأمن قد وجه نداء بوقف القتال بعد اسبوع واحد من اندلاعه ولكن العرب لم يستجيبوا ، وفي ٢٩ من أيار ١٩٤٨ دعا المجلس الطرفين المتحاربين الى هدنة لمدة أربعة أسابيع .

ونتيجة للضغط البريطاني والأمريكي تراجع العرب عن موقفهم ، ووافقوا على قبول الهدنة ، وكانت هذه الموافقة من أكبر الأخطاء التي وقعت فيها الحكومات العربية حيث تمكن اليهود خلالها من تنظيم صفوفهم ، وسد وجوه النقص في استعدادهم سواء من جهة الرجال ، أو الأسلحة ، على الرغم من مخالفة ذلك لشروط الهدنة .

---

(١) مجلة كاظمه آب ١٩٤٨

(٢) مجلة كاظمة أيلول ١٩٤٨

(٣) اسرائيل جناية وخيانه ص ١٢٠-١٢١

وعنـد انتهـاء الهدنة في ٩ مـن تموز ١٩٤٨ ، استؤنفت الحرب ثانيـة وظهـر أن اليهـود أصبحـوا أكـثر استعدادا من ذى قبـل .

واستمر القتـال لمـدة عـشرة أيام تمكـن اليهـود في أثنائها من احتلال اللـد والرملة بعـد أن تخـلّى عنها الجيش الأردني ، كمـا استولوا عـلى مناطـق أخـرى تقع خارج الأجـزاء المخصصـة للدولـة اليهـوديـة بمـوجب قرار التقسيم .

وفي ١٥ مـن تمـوز ١٩٤٨ أصدر مجـلس الأمـن قرارا يدعـو الى وقف القتـال واعـلان هدنـة غير محدودة بمدة معينة ، كما مارست أمـريكـا وبريطانيـا الضغط عـلى العـرب حتـى يقبلـوا بالهدنـة .

ولم يمض وقت طويـل عـلى بـدء الهدنـة حـتى ضاعف اليهـود استعدادهـم ، وعمـدوا الى خرقهـا ، واحتـلال مزيـد مـن المناطـق العربيـة التي لم تكـن في أيديهم .
ومن بعد تم توقيع أربع اتفاقيات للهدنة ، الأولى مـع مصـر في ٢٤ من شباط ١٩٤٩ ، والثانيـة مـع لبنان في ٢٣ مـن آذار ١٩٤٩ ، والثالثـة مـع الاردن في ٣ مـن نيسان ١٩٤٩ ، والرابعـة مـع سوريـا في ٢٠ مـن تمـوز ١٩٤٩ . وبتوقيـع تـلك الاتفاقيـات انتهـت الحـرب في فلسطـين الى حـين .

ولخالـد الفـرج قصيـدة بعنوان « الهدنـة » يظهر فيهـا استخفافـه باتفاقيات الهدنـه ، الموقعة بـين العـرب واسرائيـل ، التي جعـل منهـا الاسرائيليون غربـالا يمكـن أن نستعـين بـه لغربلة رجالاتنـا الـذين يدّعـون البطولات الكـاذبة :

بين اليهود وبين قومي هدنةٌ ... قد خرِّقت حتى غدت غربالا
فيه النصال على النصال تكسرت ... وبه نَخَلنا للخطوب رجالا
لم يمسك الغربال منهم واحدا ... حتّى ولا وعدا ولا أقوالا
صور تراءت فوق شاشة مسرح ... ومتى لمست لمست ثَمَّ خيالا
« كالدُّونِ كَيْشُوت » وطاحوناته ... يغشى الوغى ويجندل الأبطال
واذا اليهودَ بغوا رأيت كفاحهم ... بالاحتجاج صياحهم يتعالى[1]

كانت الأمم المتحـدة قـد تبنّت توصيـات وسيطهـا الكونت برنادوت الـتي رفعهـا قبـل اغتياله مـن قبـل اليهود ، وعينت لجنة للتوفيق مـن ممثلـين عـن الولايات

(١) ديوانه ص ٢٠٥

المتحدة الامريكية وفرنسا وتركيا ، لتقوم باتمام المهمة التي بدأها . وفي ١٢ من أيار ١٩٤٩ وافقت الحكومات العربية واسرائيل على مقترحات اللجنة التي عرفت بـ « بروتوكول لوزان » لتكون أساسا للعمل والمفاوضات حول القضايا المعلقة .

وفي هذا الصدد عبر خالد الفرج عن الاحساس السائد بخيبة الأمل والتشاؤم نتيجة قبول العرب الذهاب الى « لوزان » كما انتقد موافقتهم على التعاون مع لجنة يرأسها « يلجان » وزير خارجية « تركيا » ، الذى قال عنه أنه يهودى الأصل :

ياليت شعرى هل العربانُ عربانُ	وهل رأت ذلهم والخزى لوزانُ
واسوأتاه وللتاريخ عبرته	أن الرئيس على المأساة « يلجان »
لِمَ الذهاب الى لوزان في ضَعَة	ألاعْتراف ؟ فليت القوم ما كانوا
لَمْ يبقَ شئ للوزان نفوز به	إلاَّ خنوعٌ واذعان وخسران

وانتهى الى أنه لا سبيل الى تحقيق المطالب بغير القوة :

وهل تُرَجُّونَ حقا لا يؤيده	من المدافع والنيران برهانُ[1]

(٧)

من آثار النكبة

وبانتهاء الحرب بين العرب واليهود في عام ١٩٤٨ ، وتوقيع اتفاقيات الهدنة في عام ١٩٤٩ ظهر الكيان الاسرائيلي الى الوجود ، من خلال اغتصاب رقعة عزيزة من الأرض العربية ، وبذلك دخلت قضية فلسطين مرحلة جديدة .

فقيام كيان أجنبي في قلب الوطن العربي كان بداية متوقعة لسلسلة جديدة من المشكلات ، لعل من أهمها نزوح أعداد كبيرة من المواطنين الفلسطينيين عن مدنهم وقراهم ، يضاف الى ذلك أن اسرائيل سعت منذ اعلان قيامها الى توسيع رقعة الأرض التي تحتلها ، فتجاوزت المساحة المحددة بموجب قرار التقسيم ، منتهجة في سبيل تلك الغاية شتى أساليب التخويف والارهاب ، والاعتداء الوحشي على السكان الآمنين . الأمر الذى أدى الى تفاقم مشكلة النزوح من فلسطين .

(١) ديوانه ص ١٩١

وعلى الرغم من صدور عدة قرارات من الأمم المتحدة تطالب بعودة اللاجئين الى ديارهم فان اسرائيل لم تستجب ، ولم تعر تلك المأساة الانسانية أدنى اعتبار .

ومن الآثار النفسية الخطيرة التي تخلّفت عن النكبة ، الاحساس الجارف بالشك وفقدان الثقة بالنفس وبالمستقبل ، بحيث لم يكد ينجو من الوقوع في هذا الشرك سوى فئات قليلة من المؤمنين بامكانات الامة وطاقاتها ، وبمقدرتها على تجاوز المحن وخلق الظروف الملائمة الكفيلة باعادة الحق الى نصابه .

وبمرور الأيام أصبح الكيان الاسرائيلي أداة طيعة لتنفيذ المخططات الاستعمارية الرامية الى عرقلة التحرر العربي ، وصرف العرب عن الالتفات الى تطوير أوضاعهم.

وكانت بريطانيا قد عمدت قبيل انتهاء الانتداب الى البدء بسحب قواتها من المناطق المخصصة لليهود بموجب قرار التقسيم ، حتى تيسّر لهم تثبيت مواقعهم وترسيخ أقدامهم فيها ، وتم الانسحاب قبل الموعد المعلن سابقا ، وبذلك وضع السكان العرب في تلك المناطق تحت رحمة اليهود ولم يتردد اليهود في انتهاج أقسى أساليب البطش والارهاب لاجبار السكان على الهجرة ، عملا بسياستهم الرامية الى اخلاء فلسطين من سكانها العرب ، واحلال مزيد من المهاجرين اليهود مكانهم ولم يتمكن العرب من مجابهة الارهاب بسبب تجريدهم من سلاحهم خلال فترة الانتداب ففرّت جماعات كبيرة منهم الى الأقطار العربية المجاورة ، طلبا للنجاة .

وعند وقوع الصدام بين اليهود والجيوش العربية التي دخلت فلسطين بعد انتهاء الانتداب ، ترك كثير من الفلسطنيين موطنهم ، وفي نيتهم العودة اليه بعد انتهاء المعارك ، الا انهم لم يتمكنوا من العودة بسبب تعنت السلطات الاسرائيلية .

ولم تتوقف موجة النزوح بعد الحرب ، بسبب استمرار اسرائيل في طرد السكان العرب من المناطق التي تحتلها ، أو الاستيلاء على أراضيهم وموارد رزقهم .

ويقدر عدد اللاجئين الفلسطينيين بنحو مليون لاجئ « تركوا أراضيهم وعقاراتهم ومتاجرهم وبضائعهم وأثاث بيوتهم وثرواتهم ، بما يمكن أن يقدر بنحو ألفي مليون جنيه »[1] .

---

(١) أكرم زعيتر : القضية الفلسطينية ص ٢٥٦ .

وبقي معظم هؤلاء اللاجئين في المناطق العربية التي نزحوا اليها في حال مزرية ، يقيمون في أكواخ بائسة وخيام رثة ، لا تقيهم برد الشتاء ولا حر الصيف ، ويتعرضون لشبح الجوع والامراض الفتاكة .

وفي هذا قال خالد الفرج مصورا حالهم ، وساخرا من الحكومات العربية التي لم تول قضيتهم ما تستحق من عناية واهتمام :

اللاجئونَ من الرمضا إلى النار ... عار عليكم جميعا أيّما عار
تركتموهم وقد غرّرتم بهمُ ... مشردينَ بلا مال ولا دار
الجوع يفتك والأمراض سارية ... وكم رأى الليل من ضاو ومن عاري
ألا قلوبٌ ألا عطفٌ ألا صلةٌ ... حتى ولو من صلات الجار للجار
لا الحق عاد إلى أصحابه أبدا ... فقد فقدناه في ذل واعذار
ولا المشرد واسيناه عن سعة ... دارا بدار وايسارا باعسار
ما للخيام وللأطمار ماثلة ... ما بين قصر وجنات وأنهار[1]

وأشار محمود الأيوبي الى الحال السيئة التي يعيشها اللاجئون ، من الشيوخ والأطفال والنساء ، وكيف أنهم أمسوا عرضة للهلاك :

وحول التخوم تئنُّ الألوف ... من اللاجئين بليل عكِرْ
وبين الوهاد وفوق الذرى ... يزمجر غول الهلاك القذر
فتاة تصيح وأخرى تموت ... وأخرى بأحزانها تحتضر
وطفل يولول فوق العدا ... وشيخ يهمهم أين المفر
وأمٌّ تهاوى وليس بها ... سرى أعظم نال منها الضرر[2]

وعالج محمد أحمد المشارى مشكلة اللاجئين باسلوب قصصي مؤثر . حين صور حال امرأة فلسطينية كانت عزيزة الجانب ، ولكن المأساة الجأتها الى السؤال فأخذت تطوف مع طفلتها الشوارع :

لما رأتنا أسرعت إثرنا ... وعينها بالدمع مُخْضَلَّهْ
قالت ومدّت كفّها نحونا ... وصوتها مرتعش ذِلَّه

(١) ديوانه ص ٢٠١
(٢) الحان الثورة ص ١٦٦

الله لا يريك مأساتنا يا سيدى وشدَّة العلّه
كانت لنا أمس فلسطيننا وبيتنا والعيشة السهْلَه

وغني عن البيان أن مشكلة اللاجئين لم تحل حتى يومنا هذا ، نتيجة تعنت اسرائيل ورفضها الاستجابة الى قرارات الامم المتحدة التي تدعو الى اعطائهم حق العودة لوطنهم ان هم رغبوا في ذلك .

وكذلك ما يزال اللاجئون الفلسطينيون يعيشون في ظروف سيئة يصعب احتمالها وما يزال الاحساس بخطورة تلك المشكلة يشغل الأذهان ويثير الألم في النفوس ، ويندر أن تمر مناسبة للحديث عن فلسطين دون أن تكون مأساة اللاجئين في مقدمة الموضوعات التي يلح المتحدثون على التذكير بخطورتها ،ولا نريد في هذا الموضع أن نتتبع ما جاء على ألسنة الشعراء عن تلك المشكلة عاما بعد عام ، بل نكتفي بذكر مثال لواحد منهم ، وهو الشاعر عبد الله سنان ، الذى لجأ الى التذكير بمشكلة اللاجئين في عام ١٩٦٦ ، أى بعد مرور ثمانية عشر عاما على التقسيم ، فأعاد رسم الصورة كما فعل خالد الفرج من قبل ، وكأنما هو يؤكد أن وضعهم السيئ لم يطرأ عليه أى تحسن أو تغير :

وَشُرِّدَ أهلها ظلما وبغيا حفاة أُشبعوا نفيا وطردا
وباتوا في العراء بلا وقاء يقيهم في العرا قرّا(*) وبردا
يحطِّمهم على الأوطان حزن وتحصدهم يد الأمراض حصدا
تراهم تائهين بكل أرض يجوبون الفلا غورا ونجدا
فلسطين الجريحة خبريني فجرحي ما يزال عليك يندى
متى يجد الشريد اليك دربا فيسلكه ويحمد فيك عودا(1)

ولعل من أخطر الآثار المتخلفة عن نكبة ١٩٤٨ شيوع روح الشك والقلق وفقدان الثقة بالامكانات العربية ، بعدما تبين للمواطن عجز الحكومات عن مواجهة العدوان الصهيوني الاستعمارى ، ومنذ ذلك الحين سرى في مجرى الأدب العربي تيار سلبي يصور الاحساس بالكآبة والتخاذل والعجز ، وساهم الأدباء من حيث لا

(١) مجلة البيان — حزيران ١٩٦٦
(*) القرّ : هو البرد

يدرون في ترسيخ هذا الشعور المدمر الخطير ، الذى كرس في الوجدان العربي مفهومات مغلوطة تتطلب ازالتها جهدا كبيرا .

أما الجوانب الايجابية التي كانت النكبة سببا في تحققها ، فلم يعمد الأدباء الى ابرازها بالصورة المطلوبة .

فالنكبة كانت ناقوسا أيقظ العرب من سباتهم ، ودفعهم الى التنبه والبحث عن مواطن الضعف في أوضاعهم الداخلية ، التي كانت من أبرز أسباب الهزيمة .

واذا كان الشعراء ساهموا قبل النكبة في اثارة الهمم ، والحث على النضال والتضحية والعطاء ، فقد كان وقوع النكبة سببا في تدمير الايمان بقدرات الامة لدى كثيرين منهم . وهذا ما يبرر انصراف تلك الطائفة الى الشكوى والتذمر والتهكم وترسيخ اليأس في النفوس بدلا من المساهمة في اقتلاع جذوره .

ويبدو أن هذا التيار السلبي بلغ حدّا من الاتساع يجيز اعتباره ظاهرة تستحق التسجيل .

وكان للشعر الكويتي نصيب من تلك الروح التشاؤمية ، التي ارتسمت على آثار كثير من الشعراء العرب بعد عام ١٩٤٨ .

فالشاعر عبد الله سنان بعد أن عدّد منجزات الآباء التي تداعت لم يتردد عن الدعوة الى البكاء على ما فات :

ابكِ ما فرّطت يداك فأصبحـ ... ـتَ بلا رفعة ولا تأييدِ
جرِّدَ العزُ من يديك فأصبحـ ... ـت من الهون راضيا بالقيود
أنت أنت الذي أضعت طريق الـ ... ـمجد فلتبكه بكا المنكود
....
هل حلمتم أم الألى[1] حلموا أن ... تترك العرب دولة لليهود[2]

وبيّن في موضع آخر أنه لا أمل في مستقبل أفضل للعرب ، بعد أن أطبق عليهم العدو ، وهم منشغلون عنه باهتماماتهم الجانبية التافهة :

أيُفلح مستقبل للعرب ... وهل لهم عزَّةٌ تُرتقبْ

(١) استعمل الشاعر كلمة « الألى » بمعنى الأوائل أو الأقدمين وصواب معناها هو « الذين »
(٢) نفحات الخليج ص ٦٤م

أترجو المحال لمن أطبقت — عليهم يد الجائر المغتصِب
يقولون عُرْب وقد رابطوا — على اللهو دون العلا والطرب
يقولون عُرب وليست بهم — ولا خلَّة من خلال العرب[1]

ويبلغ بـه اليأس غايتـه في موضع ثالث ، فيسرف في التهكـم من قومـه :

تركنا العُلا ونبذنا الهمم — وبعنا الكرامة بيع النعم
. . . . . .
اذا لطمتنا يد الجائرين — وضعنا على رأسنا من لطم
ونشربْ نخب انتصار العدا — علينا ونقبل ركل القدم
ولا نأخذ الحق من غاصبيه — ونقبل من غاصبيه النهم[2]

وتبـدو في هـذه الأبيـات آثـار اليأس ، الـذى جـرف الشاعـر بعيـدا عـن قصده ، وأوقعه في مبالغة غير محمودة ، في مثل قـول « ونشرب نخـب انتصـار العدا» . . وقولـه »"ونقبـل ركـل القـدم »

وأمعن خالد الفرج في السخريـة من قومه ، واتهمهم بأنهـم لا يجيدون سـوى الكـلام ووصفهـم بالطبـول الفارغـة :

واذا الموائدُ في الولائم صفِّقَتْ — فاسمع عراضا نُمِّقت وطوالا
هي من كلام الليل لما أشرقت — شمس الحقيقة ذوبته فسالا
واذا اليهود بغوا رأيت كفاحهم — بالاحتجاج صياحهم يتعالى
الطبل يدوى حين يُقرع بالعصا — والقوم ليسوا منه أحسن حالا[3]

وفي قصيدتـه « تمخض الجبـل » سخـر مـن مقابلـة عبـد الخالـق حسونـه – أمين الجامعـة العربيـة – لايزنهـاور ، وصرح بأنـه لولا اعتزازه بأجداده العـرب ، ذوى المفاخر والبأس لأقدم عـلى الانتمـاء الى جنس آخـر غيرهـم :

تَمَخَّض الطود فهل من خَبَرْ — ينبئ عمّا قد جرى من عِبَرْ
تبسَّم الناس وقالوا لنا — قابل حسونة ايزنهور

---

(١) نفحات الخليج ص ٢٩
(٢) نفحات الخليج ص ١٥٩
(٣) ديوانه ص ٢٠٥

يا أُمّةَ القول ألا فِعْلَةٌ | تبقى لكم في الناس بعض الأثر
لولا اعتزازي بجدودي الأُلى | سادوا وشادوا المجد فيما غَبر
لقلت يا « موماو » هل عندكم | لي صَبْغة أو فلفل من شعر[1]

والشاعر عبد الله النوري الذي دفعه حسه القومي الى الدفاع عن العروبة والانتصار لليبيا ضد الارهاب الايطالي عام ١٩٣١ ، والحث على صون عروبة فلسطين في عام ١٩٤٦ يتحول فيما بعد الى وصف القومية بأنها دعوة رعناء تسعى الى تشتيت الشمل في قوله :

قوميّة رعناءُ شتّتَ شملنا | فيها فصرنا طعمة لعدوِّنا
فالعُربُ وحدَهمُ وفارسُ وحدَها | والهند قوم ما همُ من جنسنا[2]

وهو لا يجهل أن الهنود ليسوا من جنسنا ، والفرس قوم يختلفون عن العرب . كما أنه يدرك أن القومية لم تشتت شملنا ، بل سعت الى جمعه ، بل لعله أحد المؤمنين بها ، وعلى هذا لا نجد تفسيرا لتلك الانتكاسة لديه سوى القول بأنها ربما تكون نتيجة للاحساس بخيبة الأمل التي كرستها نكبة فلسطين ، وعجز العرب عن التماس سبيل العلاج .

وثمة فريق آخر من الشعراء آلمهم واقع النكبة ، وهزتهم الهزيمة ، ولكنهم حاولوا البحث عن العوامل الكامنة وراء ما حدث ، فمنهم من أعادها الى تفرّق كلمة العرب ، ومنهم من اتجه باللوم الى الزعماء الذين يملكون زمام الأمر .

وهناك من اكتفى بالتعبير عن حزنه وأسفه لما حدث ، فالشاعر عبد المحسن الرشيد يعدّ الهزيمة في عام ١٩٤٨ نتيجة طبيعية للشقاق والتفرق والتخاذل والغدر يقول :

أجَلْ هذه العُقبى وبئس هي العقبى | أما أصبحت أوطاننا للعدى نَهبا
رمينا الى داعي الشقاق قيادنا | فلم نحمد المسعى ولم نشكر الدّربا
وبالعار لا بالغار عادت جيوشنا | وقد هُزمت غدرا وما هزمت حربا
وضاعت فلسطين وشُرِّد أهلُها | وضمّت مغانيها الصهاينة الغربا

(١) ديوانه ص ٢٠٦
(٢) من الكويت ص ١١٧

اذا معشر دَبَّ التخاذل بينهم وجدتهم والضعف في عزمهم دبا[1]

أما عبد الله أحمد حسين فيرى أن الحقيقة كشفت زيف الادعاءات ، بدليل أن المسؤولين العرب لم ينفذوا وعودهم ، وما جاء في خطبهم الرنانة ، حول الوقوف بوجه المؤامرات الاستعمارية ، بل لجأوا بدلا من ذلك الى التماس التسويات السلمية التي تدل على الخنوع :

أيُّ عهد لنا وأيُّ مناظرْ كذَّب العقل ما يراه الناظرْ
ضجَّت الأرض من مهازلكم تلـ ـك ومادت ببيدها والحواضر

. . . .

كم ملأنا الأسماع في شدة الخطـ ـب كلاما ، وكم هززنا المنابر
واجتمعنا من كل حدب وصوب وسمعنا لناظم ولناثر
غير أنّا لم نجبه الخصم بالعنـ ـف وملنا الى السلام الخائر [2]

ويبدي عبد الله زكريا الانصاري ألمه وحزنه للمصير الذي آلت اليه فلسطين حيث تم تهويد مدنها التي كانت عامرة بسكانها العرب :

يا ليافا أُتُراها هودت بعدما كانت لآل العرب ركْنا
ولحيفا أتُراها أقفرت وخلَتْ أربعها مغنًى فمغنى

ويبلغ به اليأس حدا يتمنى معه أن يكون في حال لا يرى فيها ولا يسمع ما يجري حوله :

ليتني والدهر في سكرته لا أرى عينا ولا أسمع أذنا [3]

وتجدر الاشارة الى أن المعاني التي تتسم باليأس والتشاؤم والاستهانة بالقدرات العربية ، كما رأينا في النماذج السابقة ربما تكون لدى شعراء الكويت أخف حدة وعنفا مما نجد عند كثير من الشعراء العرب الآخرين ، ونكتفي في هذا الموضع بالاستشهاد بنموذج لواحد منهم ، لنتبين من خلاله ما يمكن أن ينجم عن اليأس نتيجة النكبات التي تتعرض لها الامة .

---

(١) أغاني ربيع ص ٢٧

(٢) مجلة البعثة – كانون الثاني ١٩٤٩

(٣) مجلة البعثة – كانون الثاني ١٩٤٩

يقول الشاعر علي أحمد باكثير عن العرب بعد وقوع نكبة فلسطين :

عربٌ أنتمُ كذبتم كذبتم ... إنما أنتمُ يهودٌ يهودُ
لا ، بل ان اليهود أمثلُ منكم ... هم أفاعٍ تخشى وأنتمْ دُوْد
لَتَمنَّيت لو نميت إلى الزنـ ... ـج وما مَتّ بي اليكم جدود
إنمَّا أنتمُ شنارٌ وعار ... ووبال دانٍ وغوت بعيد
لَعَنات من السماء عليكم ... تمتريها صَواعق ورعود
إن أصلاب يعرب لبراء ... منكمْ أيها العبيد العبيد [1]

ومن الجلي أن مثل هذا الانسحاق النفسي أشد تأثيرا وأبعد خطرا من الهزيمة العسكرية .

* * *

وفي مقابل التيار المتشائم الغالب على الشعر ، كان هناك تيار آخر ، سلك الشعراء من خلاله مسلكا مغايرا ، حين عنوا بالتنبيه الى خطر الصهيونية ودعوا الى ضرورة النهوض لمقاومة مخططاتها ، وأشادوا بالطاقات العربية الكامنة التي لو أمكن حشدها لتغير الموقف .

وثمة جمهور من الشعراء ألحوا على ضرورة صرف النظر عن استجداء عون مجلس الأمن وهيئة الامم المتحدة ، والاعتماد على القوة الذاتية للعرب .

يقول أحمد السقاف من قصيدة له أنشدها بعد النكبة في عام ١٩٤٨ :

الحقُّ للمدفع القصّاف ليس لمن ... يريد من « مجلس التضليل » إحسانا

. . . . . .

يا أيها القوم هُبّوا ذا أوانكمُ ... عار عليكم اذا ما نمتم الآنا
الله أكبر ان يبن اليهود لهم ... بأرضكم عنوة مُلْكا وسلطانا
موتوا ففي الموت اعلاء لدينكم ... ويمموا الخلد في تكريم رضوانا [2]

(١) كامل السوافيري : الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين ص ٥٤١

(٢) كامل السوافيري : الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين ص ٥٣٩= ويلاحظ أن المؤلف ذكر أحمد السقاف ضمن شعراء حضرموت ، مع أنه واحد من شعراء الكويت المعروفين والسقاف وان كان ولد في عدن فقد استقر في الكويت منذ عام ١٩٤٣- أنظر أيام الكويت - لأحمد الشرباصي ص ١٨٠ .

وينبــه عبـد المحسن الرشيـد في عام ١٩٤٩ الى أن العــرب لا ينسون ثأرهــم ولا يقبلــون الضـيم ، ولا بـد أن ينهضـوا لردع العـدوان وتحريـر الأرض ، لأنهم يمتلكـون من الطاقـات ما يتيــح لهـم تحقيق النصر في النهايـــة .

ومَنْ ظَنَّ أن العرب ينسون ثأرهم ويرضون حملِ الضّيم لم يعرف العُربا
فلا يحسب الأعداء فينا هوادة فما هي إلاّ رجعة تسبق الوثبا
رويدهم يلفوا كتائب يعرب كما فاض في الوادى المضيق اذا عبّا
بكلِ فتى كابن الوليد بسالة يرى الموت في ساح الوغى منهلا عذبا
أَبيٍّ هوى الأوطان حلَّ شغافه فليس يُرى الاّ بها مدنفا صَبَّا
. . . . . .
ستغدو فلسطين بحدِّ حسامه مُحَرَّرة سهلا مُطَهَّرة هضبا[1]

ويحث محمود الأيوبي العرب على السعي لتحريـر الأرض مــن رجس العـدو مبينا أن النصــر سوف يكــون حليفهم أن هــم صمموا عــلى اللجوء للقوة :

إلى تحرير أرض الله مما عثا فيها من الرجس الدميم
لأنّا الظافرون اذا أردنا وأنا الفائزون على الخصوم
أعدّوا للسلاح المال وامشوا الى الهيجاء حمسا في الخروم
فدمدمة الرصاص على الأعادى لأصدق من مناقشة الفهوم
وعند القوة الحمراء يأتي الينا النصر بالمجد الصميم[2]

وقد مثلت اسرائيل منذ قيامها دور الشرطي ، المكلف من قبل القوى الاستعماريـة بردع الأقطار العربية التي تتطلع الى الانعتاق من التبعية ، والسعي الى التحرر .

ولتنفيذ هذه الأهداف قامت باعتداءات غادرة كثيرة على الأردن وسوريا ومصـر ولم يكن من قبيل الصدفة أن يأتي توقيت هذه الاعتداءات مع رغبة الدول الاستعمارية في ممارسة الضغط على تلك الأقطـار . لدفعها الى تغيير سياستها بما يخدم مصالح الاستعمـــار .

ولعل من أهم تلك الاعتداءات « مجزرة قبيـة » والاعتداء على قرى الساحل الشرقي لبحيرة طبريا ، والاشتراك في العدوان الثلاثي على مصــر .

---

(١) أغاني ربيع ص ٢٧
(٢) الحان الثورة ص ١٢٨

ففي تشرين الأول من عام ١٩٥٣ داهمت كتيبة اسرائيلية قرية قبية ليلا بينما كان أهلها نائمين ، وأمطرتها بالقنابل ، فقتل من سكانها نحو سبعين فردا كما قامت باعتداء مماثل على قرية نحالين ، وقتلت عددا كبيرا من سكانها ، وكان توقيت هذه الاعتداءات متفقا مع ظهور بوادر الرغبة في اصلاح الأوضاع السياسية في الأردن .

وكان لحادث قبية وقع مؤثر هزّ المشاعر ، وأثار السخط ، وارتفعت الأصوات في كل مكان تعيب التخاذل في مواجهة العدو ، وتطالب بوضع حد لتلك الأعمال الهمجية ، يقول خالد الفرج :

لو كنتِ يا « قبية » من « مازن »   لم يستبحك اللقطاء اليهودْ
لكنّما قومك وآسوأتا   تَدرّعوا اليوم بذلٍّ العبيد
يلقون بالقول اعتداء العدى   والاحتجاجات بعيدا بعيد[1]

ويكرر خالد الفرج سخطه وبرمه بعجز العرب عن رد العدوان ، عندما تعرضت قرية « نحالين » الفلسطينية لمثل ما تعرضت له قبية من قبل :

أُفٍّ لهذا الوضع أُفٌّ   إنْ لم تفوا بالقول كُفّوا
منكمْ تفطّرت المرا   ئر والعدى بكمُ استخفّوا

. . . . . .

ماذا السكوت وفي وجو   هكمُ تداولت الأكُفُّ
يا أهل « نحالين » صب   را إن رزأكُمُ أخَفُّ
من « قبية » ستون في   أمثال محنتكم تُوفُّوا
طلّت دماؤهم وأد   مع ثاكليها لا تجفُّ[2]

أما اعتداءات اسرائيل على سوريا فكانت تتفق مع رغبة الاستعمار في اكراهها على تغيير حكومتها « الوطنية » ومن الجدير بالملاحظة أن يلتقي بالتوقيت عدوان اسرائيل الغادر على قرى الساحل الشرقي لبحيرة طبريا بالمعركة التي شنها الاستعمار على سوريا لادخالها في حلف بغداد الاستعماري[3] .

---

(١) ديوانه ص ٢٠٣ . . وفي القصيدة اشارة الى قول الشاعر قريط بن أنيف « لو كنت من مازن لم تستبح إبلي »

(٢) ديوانه ص ٢١٨

(٣) شفيق الرشيدات : فلسطين تاريخا وعبره ومصيرا ص ٣٦١

ويضاف الى ذلك رغبة اسرائيل الدائبة في توسيع رقعة الأرض التي تحتلها وسعيها في سبيل تنفيذ تلك السياسة الى ارهاب السكان الآمنين واجبارهم على ترك أراضيهم .

وعن حادث الاعتداء على قرى بحيرة طبريا قال محمود الأيوبي مشيدا ببسالة السوريين :

قف من «طَبَرِيَةَ» واقتحم أسوارها   متحفزاً للتلّ يوم لقاء[1]
وعلى طَبَرِيَةَ حادثات روّعت   جيش اليهود بأفزع الارزاء
دوت على صهيون كارثة الردى   محمّرة بصواعق الافناء
سيخر عرش الظالمين مديّثا[2]   في لعنة الأجيال في الظلماء

. . . . . .

والحق يؤخذ بالدماء ويُفتدى   بدم الأباة يسيل في الأرجاء[3]

وكان الاعتداء الثلاثي على مصر في عام ١٩٥٦ أصدق مثال على التلاحم بين المصالح الاستعمارية والصهيونية التي تهدف الى تدمير تطلعات الشعب العربي للتحرير من التبعية والا ستغلال .

فحين كسرت مصر طوق الحظر على التسلح في عام ١٩٥٥ ، ثم أقدمت على تأميم قناة السويس في عام ١٩٥٦ ، لم تجد بريطانيا وفرنسا بدا من الاستعانة باسرائيل لتأدية الدور المقرر لها في خطة العدوان على مصر ، واعادتها الى دائرة النفوذ الاستعماري ، وكان أن قامت بتأدية مهمتها على الوجه الأكمل .

وفي هذا الصدد أشار محمود الأيوبي الى أن اتفاق اليهود مع الحكومتين البريطانية والفرنسية في العدوان الثلاثي ، يمثل حلقة من سلسلة الأيام المشؤومة التي بدأت بوعد بلفور ، وأن أهداف اليهود كانت تتجه أبدا الى القتل والارهاب والتدمير ، والقضاء على التطلعات العربية ، يقول مخاطبا اسرائيل :

من وعد بلفور حتى اليوم لم تدعي   للآمنين حمى بالأمن ينتظمُ

. . . . . .

مذابح قهقه الشيطان منتفضا   من شكلها فزعا والهول ملتحم
أعوامهم كلّها شؤم يسيل دما   وللمجازر فيها أدمع و د م

---

(١) انظر ص ١٦٠

(٢) المديّث : المطروق – المذلل

(٣) الحان الثورة ص ١٣٥

حتى اذا اجتمعوا بالدولتين دجى « يوم القناة » على أوطاننا هجموا
وبيّتوا الأمر أن يفنوا عروبتنا بالذبح والسلب في أيديهم الخذم[1]

لم يكن من اليسير على عرب فلسطين أن يركنوا للدعة والاستسلام ، وهم يشهدون اسرائيل تمعن في البغي والعدوان ، ولا تقيم لحقوقهم في العودة الى وطنهم أدنى اعتبار ، يضاف الى ذلك أن معظم الأقطار العربية لم تكن في وضع يمكنها من التصدي للعدو ، والسعي لاسترداد الحقوق المغتصبة ، أما الأمم المتحدة فتبين الفلسطينيون منذ وقت بعيد أنها لا تملك القدرة على تنفيذ مقرراتها ، الأمر الذي جعل تلك المقررات كلاما مكرورا لا طائل تحته .

وعلى الرغم من قسوة الظروف التي يعيشها الفلسطينيون في الأقطار المجاورة لوطنهم السليب ، فان ذلك لم يفتّ في عضدهم ، ولم يثنهم عن العودة لمواصلة النضال .

وفي أوائل عام ١٩٥٥ بدأ الاعداد للعمل الفدائي ، واتخذ الفدائيون الفلسطينيون من قواعدهم العلنية في غزّة وسوريا ، وقواعدهم السرية في الأردن ولبنان منطلقا لأعمال بدأت في عام ١٩٥٥ وامتدت حتى عام ١٩٥٨ .

وخلال هذه المدة قام الفدائيون على فترات متقطعة بأعمال ناجحة أقضّت مضاجع الأعداء ، وأثارت الرعب والقلق في نفوسهم ، وللتدليل على خطورة ما وصل اليه العمل الفدائي ، يجدر التمثيل بكلمة لمندوب اسرائيل في مجلس الأمن ، ففي يوم ١٩٥٥/٩/٨ عقد مجلس الأمن جلسة خاصة لبحث شكوى اسرائيل من تكرار الهجمات الفدائية ، وقال المندوب الاسرائيلي « ان حوادث العنف التي وقعت أخيرا وصلت الى الذروة ، وأن اسرائيل لم تذق طعم الأمن والسلام طيلة أسبوع كامل »[1] .

وبلغ العمل الفدائي ذروته في عام ١٩٥٦ ، ولعل من بين الأسباب التي دفعت اسرائيل للاشتراك في العدوان الثلاثي على مصر رغبتها في القضاء على الفدائيين الذين ينطلقون من غزة .

ومن جهة أخرى كان لعودة العمل الفدائي تأثير ايجابي كبير في الجماهير العربية ، التي بدأت تستعيد الثقة بالنفس بعد أن كاد اليأس يخنقها .

يقول محمود الأيوبي من قصيدة في عام ١٩٥٥ ، معبّرا عن تفتّح الأمل بالعودة

(١) ألحان الثورة ص ٥٩

(١) صبحي محمد ياسين : حرب العصابات في فلسطين ص ١٨٥

الى الحمى المفقود ، بعد أن هب للذود عن الحق رجال مخلصون أرخصوا الأرواح والدماء :

إنَّ الفدائيين هم قد حقّقوا للنصر خلدا
ودم الشهيد يفور من ورد الربا أزكى وأندى

. . . . .

متعاضدين يكسرو ن بيأسهم قيدا فقيدا
وتراهم في شرعة ال علياء ايمانا وجدّا[1]

كما يشيد في قصيدة أخرى له خلال عام ١٩٥٦ بمن تنادوا للثأر :

دعا للثأر في الأوطان قوم لأخذ الحق من بعد الضياع
من الشيب الأشاوس هبَّ رهط وكلٌّ ثورة للحق داعي
شباب العرب لبّوا والصبايا نداء المجد والأمر المطاع

. . . . . .

فلا عاش الجبان وكلُّ حرٍّ له في يوم وثبته دواعي
سنرجع للحمى المذبوح نحيى به روح الشباب بلا نزاع[2]

ولم تدّخر اسرائيل جهدا في السعي للقضاء على الفدائيين ، وبعد أن أخفقت في وقف هجماتهم ، عن طريق القيام باعتداءات معاكسة على المدنيين في غزة وغيرها من المدن العربية ، لجأت آخر الأمر الى أمريكا طالبة تدخلها لدى مصر لتسريح الفدائيين ، الذين يتخذون من غزة قاعدة لهم .

وبعد العدوان الثلاثي سعت أمريكا الى تغيير الوضع المهادن للفدائيين في الأردن ، وساعدت على قيام حكومة جديدة أخذت على عاتقها محاربتهم وتضييق الخناق على نشاطهم حتى توقف في عـــام ١٩٥٨ .

على أن الشعب العربي الفلسطيني الذي لم يعرف طعم الراحة والسكينة منذ اتضحت خيوط المؤامرة الصهيونية ، لم يلبث أن عاود النضال مرة أخرى ، ففي اليوم الأول من كانون الثاني ١٩٦٥ صدر أول بلاغ عن حركة التحرير الفلسطينية يعلن بدء مرحلة جديدة من العمل في سبيل تحرير الأرض .

---

(١) الحان الثورة ص ١٧٤

(٢) الحان الثورة ص ١٠٠

ويوما بعد يوم كان رجال المقاومة يوسّعون من نشاطهم ويلحقون بالعدو خسائر كبيرة في الأفراد والآليات والمنشآت الحيوية .

وكانت الآثار المعنوية لتلك الأعمال أكثر أهمية ، اذ بدأت الجماهير العربية والفلسطينية بخاصة تحس أن لديها من الامكانات ما يمكّنها من انتزاع حقوقها ولو بعد حين ، وأن القضية لم تمت ، وان حاولت اسرائيل ترسيخ الأمر الواقع ، وتعلقت الأنظار بالعمل الفدائي الذي أصبح يمثل نافذة للاطلال على غد أفضل .

وخلال المدة من عام ١٩٦٥ الى عام ١٩٦٧ قام الفدائيون بتوسيع وتطوير جهودهم ، الأمر الذي أدى الى زعزعة الأمن والاستقرار في اسرائيل ، ومن المعلوم أن اسرائيل تعتمد في وجودها وبقائها على استمرار حالة الاستقرار التي تتيح لها جلب مزيد من المهاجرين الجدد ، وأن أي اضطراب في الأمن لا بد أن يؤدي الى نتائج عكسية ، تتمثل في عودة بعض المهاجرين الى أوطانهم الأصلية .

(٨)

نكسة حزيران ١٩٦٧ والمقاومة الفلسطينية

كانت رغبة اسرائيل في القضاء على العمل الفدائي من بين الأسباب المباشرة لعدوان ٥ حزيران ١٩٦٧ ، أما الأسباب البعيدة فتتصل بالاستراتيجية الاسرائيلية التي تعتمد على التوسع في احتلال المزيد من الأراضي العربية كلما كانت الظروف مواتية لتحقيق ذلك الهدف .

ومنذ توقيع اتفاقية الهدنة بين سوريا واسرائيل في ٢٠ من تموز ١٩٤٩ ، لم تكف اسرائيل عن خرق بنود الاتفاقية ، فيما يتعلق بالمنطقة المجردة من السلاح ، سواء من حيث محاولة استصلاحها ، أو من جهة الاعتداء على سكانها العرب ، ولم تكن القرارات المتعاقبة للهيئات الدولية كافية لردعها عن المضي في سياستها وأدت هذه الانتهاكات الى استمرار توتر الوضع على الحدود السورية .

وبحلول عام ١٩٦٧ رأت اسرائيل أن الوقت أصبح ملائما لشن عدوان جديد تحقق من خلاله مزيدا من المكاسب ، ومنها :

١ – وقف تسلل الفدائيين من سوريا ، واجبارها على تغيير موقفها منهم .

٢ – تدمير الجيش المصري الذي يعدّ من أقوى الجيوش العربية .
٣ – احتلال مزيد من الأراضي .

وخلال شهر أيار من عـام ١٩٦٧ اتخذت التهديدات الاسرائيلية ضد سوريا طابعـا خطيرا ، الأمر الذي دفعها الى الاستنجاد بمصر ، كما يقضي ميثاق الدفاع المشترك الموقع في ٤ تشرين الثاني ١٩٦٦ .

وسارعت مصر الى طلب سحب قوات الطوارئ الدولية من أراضيها ، ودفعت بقواتها الى احتلال مواقعها ، كما عملت على اغلاق مضايق تيران الواقعة ضمن مياهها الاقليمية .

كانت التحركات العربية الاسرائيلية السريعة تنذر بأحداث ذات خطر سوف تشهدها المنطقة ، لذا أقدمت بعض الأقطار العربية على ارسال وحدات من قواتها للمشاركة في الدفاع عن الحق ضد قوى العدوان .

أما الجماهير فكان احساسها الفطري يتجه صوب تحرير فلسطين ، ووضع نهاية للوضع الشاذ ، ولعلها لم تكن تشك في أن الطاقات العربية الضخمة سوف تحسم المعركة المقبلة لصالح العـرب .

ونهض الشعر ليؤدي دوره في اثارة الهمم والاشادة بالاجراءات التي اتخذت لاستعادة الحقوق الضائعة ، والتنبيه الى تحفّز الجماهير للبذل والعطاء ، وتمجيد كل من هبوا لخوض حرب التحرير .

فالشاعر أحمد العدواني يخاطب القوة الكويتية التي اتجهت الى مصر قبيل وقوع الصدام لتشارك في مهمة الدفاع عن الأرض والكرامة ، فيقول :

بوركت يا جيش الكويت وبوركت ... أيدٍ أعدَّت للعلا أقمارَها
وتَقدَّست أرض نَمَتْكَ وقُدِّست ... حرب تخوض الى الخلود غمارها
وهناك في سيناء اخوان لنا ... عركوا الخطوب ورَوَّضوا أخطارها
شاركهم الخطوات في شرف الفدى ... واختر – اذا كان الخيار – كبارها
وليَعْلم الأعداء أنّا أمة ... رفعت على هام النجوم شعارها
تَنْسى مكارمها إذا جادت بها ... للقاصدين وليس تنسى ثارها[1]

(١) جريدة الرأي العام ٢٨ أيار ١٩٦٧

ويذكّر عبدالله الجوعـان بالمآسي التي تعرض لهـا الفلسطينيون ، ويدعو الى ضـرورة نجدتهم ، وانتزاع الحق من مغتصبيه :

فربوعهم من بعد أن ... عمروا رباها مقفرات
تركوا اليتامى والأيا ... مى نائحين ونائحات

....

هبّوا لنجدة أرضهم ... ونسائهم والعائلات
هذى فلسطين حبيـ ... ـبتنا لها أنتم حماة
ما كنتم يوما لها ... الا قلوبا مصغيات
شدّوا على الطغيان كي ... تستأصلوا أثر الطغاة (١)

ويتوجه خالد سعود الزيد الى الرئيس جمال عبدالناصـر مشيدا بتحريكه الجيش الى الخطوط الأمامية ، ومناشدا إياه أن يقود الجموع لتحرير فلسطين :

إنَّ العروبة آمنت بك قائداً ... متعدد الطاقات غيرَ مُقادِ
لله إذْ حَرَّكت جيشك مصعدا ... حرّكت فينا نخوة الأجداد
فَقُدِ الجموع الى فلسطين وما ... أحد سواك يقود جمع الضاد
وادحر جيوش المعتدين وانها ... لجيوش زيف لم تقم لرشاد
وابعث صلاح الدين من حِطِّينه ... وامسك زمام قلوبنا يا حادى (٢)

ويصور عبدالله أحمد حسين ما سوف يكون عليه الغد العربي ، ما دامت الجيوش تحركت لغسل العار وتحرير الأرض :

يا موطنا قد هبَّ يطلب ثأره ... ما طاب لي في غيرك الاخلاد
فغدا نزيل من الطريق شوائبا ... وغدا تُحطِم بيننا الأعواد
وغدا يثوب التائهون لرشدهم ... وغدا يلفُّ حباله الصياد
وغدا تضم العائدين ديارهم ... ويزاح عن وجه البلاد حداد

وانتهت جولة حزيران ١٩٦٧ على غير ما توقع العرب ، وانقلب الأمل في تحرير الأراضي السليبة الى يأس مرير ، نظرا لضياع مزيد من الأراضي الجديدة وتشريد جموع

---

(١) جريدة الرأي العام ٣٠ أيار ١٩٦٧

(٢) مجلة البيان حزيران ١٩٦٧

أخرى من المواطنين ، الأمر الذي زاد القضية تعقيدا .

ولعل مما أثار الألم والجزع أن الفرصة لم تتح للجيوش العربية لتؤدي دورها على الوجه الأكمل ، فكان الهجوم الصاعق المباغت من قبل اسرائيل سببا في قلب كل الموازين والحسابات والاحتمالات المتوقعة ، وخلال فترة وجيزة انتهى كل شيء وأفاق المواطن العربي ليحس بهول الفاجعة التي تجاوزت كل تقدير .

وعاد الشعور بالخيبة واليأس وفقدان الثقة ليطبق من جديد ، بحيث لم يعد من الممكن النظر الى الواقع الا من خلال منظار قاتم السواد ، يوشك أن يحجب الرؤية ، ويحول دون الاعتدال في تقويم الأزمات التي تتعرض لها الأمم عادة دون أن تفقدها الثقة بالنفس .

كانت الأيام التالية للنكسة تمر ثقيلة في حساب المواطن العربي ، الذي يتوق الى غسل عار الهزيمة بأسرع مما تقتضي الحال ، وكان التراخي عن تحقيق هذا المطلب سببا في برمه وضيقه بالأوضاع القائمة .

ولم يكن اللجوء الى الهيئات الدولية لاستجداء عونها مقبولا، فتجربة العرب مع تلك الهيئات تؤكد اخفاقها في تنفيذ أي من توصياتها التي تبقى في الغالب حبرا على ورق .

وكان لزاما على الشعر أن يتولى التعبير عن شك الجماهير في جدوى اللجوء الى الأمم المتحدة ، وسأمها نتيجة التأخير في اقتلاع جذور العدوان .

يقول عبد المحسن الرشيد من قصيدة له بعد ٥ حزيران ١٩٦٧ ، ساخرا من الاستنجاد بالامم المتحدة ، في وقت لم يعد يسمع فيه غير صوت القوى :

في مجلس الأمن أو في هيئة الامم — ضاعت حقوقكم فالقوم في صمم
لا ينهض الحق إلاّ حين تسمعه — صوت الرصاص يدوّى لا صدى الكلم
شريعة الغاب ما انفكّت مسيطرة — الحق للذئب ليس الحق للغنم

ويبدى استغرابه لسكوت العرب على الظلم ، وضياع أوطانهم وتشريد اخوانهم :

ما تنظرون وذى أوطانكم سلبت — وأصبحت مرتعا للغاصب الأثم
واخوة جرّدوا من كلّ ما ملكوا — وشردوا في سهول البيد والأكم
أتصبرون على ذل ومسكنة — يا للاباء قضى في العرب والشمم[1]

(١) أغاني ربيع ص ٣١

ويتساءل عبد الله سنان عـن مـبرر السكوت والأعداء يحتلون الأرض الع
ويشردون أهلهـا ، ويعجب مـن التوجـه الى الأمـم المتحدة :

هذى جيوش العدا تحتل ساحتكم   فأين أنتم وأين الحقد والغض
سيناء قد ذهبت والضفتان [1] وشر   قيّ القناة وقدس الله والن
ولليهود اعتداءات مكرّرة   تترى وما اعترفوا يوما بما ارتـ
في كلِّ يوم لنا شكوى نرددها   في هيئة كلُّ ما جاءت به كـ
ماذا نؤمله من هذر هيئتهم   ومجلس الأمن ماذا منه نرتقب

وتمر الذكـرى الأولى لوقوع عـدوان حزيران ١٩٦٧ ، وتليها الذكرى الثان
دون أن يلوح في الأفق أى أمل بامكان معالجـة الوضع ، ويضيق المواطن بهذا
والتراخي عـن استرداد ما اغتصب .

وها هـو ذا عبد الله سنان يعود ثانيـة ليبدى تذمره مـن سكوت العرب واحتمالهم
بعـد مضي عامـين عـلى وقوع النكسة :

عامان مرا وهذا ثالث لهما   غدا سيأتي ويأتي بعده عا
ونحن نحن وحق المصطفى صور   جوفاء لم تزن الجليّ وأجسا
نستقبل العام والأيام توصمنا [3]   على الجباه ويكسو شعبنا الذ
نستقبل العام والقدس الشريف على   ساحاته منهم بغي وآثام (

ولمحمد المشاري كلمة مماثلة قالها بعد أن مر على وقوع النكسة عامان ، دون
العرب طاقاتهم الكبيرة لتصحيح الوضع :

سنتان لا شهر ولا سنة   مضتا ونحن بحالة عجب
عجبا لضبط العرب أنفسهم   وهم هم في سورة الغضب

ولم يكن أمام الجماهير بعـد أن فقـدت ثقتهـا بالأنظمـة سوى التعلق بأذيال

---

(١) لعله يقصد بقوله « الضفتان » الضفة الغربية لنهر الأردن ، والضفة الشرقية لقناة السويس على الرغم من شرقي القناة أيضا .

(٢) مجلة البيان أيار ١٩٦٩

(٣) قوله « توصمنا » صوابه : تصمنا

(٤) مجلة البيان حزيران ١٩٦٩

(٥) مجلة البيان تموز ١٩٦٩

الفلسطينية ، التي أصبحت كوة النور المهيأة لأن تنفتح كلما اربَدَّت السماء العربية بالمشكلات المعقدة .

ومنذ وقعت النكسة بادرت المقاومة الفلسطينية الى تصعيد نشاطها وتشديد ضرباتها لتعيد للمواطن ثقته الضائعة بالنفس ، وكانت الرد المؤثر العاجل على غطرسة العدو ، التي تفاقمت بعد انتصاره الخاطف على الجيوش النظامية .

ونتيجة لذلك أصبحت المقاومة الفلسطينية قبلة الأنظار ، ومحط الرجاء والأمل .

يقول عبد المحسن الرشيد مشيدا برجال المقاومة ، الذين أحيوا في النفوس أملا أوشك أن يطوى :

أفدى أباة كآساد الشرى طلعوا — على الرزايا طلوعِ الشهب في الظلم
أحيوا بأنفسنا ما مات من أمل — وفي القلوب شَفَوا ما حزّ من ألم
باعوا لأوطانهم أرواحهم ومضوا — تقلّهم للمعالي أعظم الهمم
بهم فلسطين دمع الذل قد مسحت — عن وجنتيها وسلّت سيف مُنتَقِمِ (١)

وتوجه عبد الله سنان بالتحية الى منظمة « فتح » التي بدأت بنضالها عهدا جديدا يبشر بالفوز والنصر :

توقعي النصر « فتح » — ففي مُضيِّكِ نجحُ
قد جاء عهد جديد — وحان للباب فتح
ولاح للفوز في ظلا — مة الدياجير لمح
وللفدائي شوق — للتضحيات مُلِحُّ (٢)

وعبّر خالد سعود الزيد عن الشعور السائد بأنه لم يعد في الساحة سوى العمل الفدائي ، الذي أمسى الأمل والرجاء كما صوّر مقدار تعلّق الجماهير برجال المقاومة وتسليمها القياد لهم :

وتلفّتَت منّا القلوب فما رأت — الآك في الميدان تحت لوائِهِ
رمز البطولة أنت حين يلفّنا — ضيم ويختال الردى بردائه

---

(١) أغاني ربيع ص ٣١

(٢) مجلة البيان آذار ١٩٦٨

فاقدم وقاك الله أنى يممت راياتك الغرّاء في أرجائه
قد أقسمت منا الشعوب ومن يُرِدْ موت الشعوب فقد سعى لفنائه
وتحرّكت نحو الفداء وقادها مَنْ جاد قبل فدائها بفدائه (١)

ولم يقف الشعر عند حدود التعميم في تمجيد رجال المقاومة الفلسطينية بل تعدى ذلك الى متابعة الأعمال التي يقومون بها مما يدل على مقدار وقع تلك الأعمال وشغف الجماهير بتتبعها ، والاعتزاز بالقائمين بهـا .

فالشاعر عبدالله أحمد حسين يفرد قصيدة لتحية رجال الجبهة الشعبية الذين اقتحموا مطار أثينا ، ودمّروا طائرة للعدو كانت جاثمة فيه :

دخل المطار وفي سريرته عزم بألاّ يخلف الوعدا
ترقب الساعات مقدمَهُ والدهر لا يقوى له صدا
وتقدمت للمجد خطوته وسعى فأبصر أمره جدّا
وَدَعَتْهُ للميدان نخوته واستنهضته فلم يجد بُدا
القى على الدنيا رسالته يوما فكان هتافها رَدًّا (٢)

ومرّت ذكرى عدوان حزيران واغتصاب مزيد من الأراضي العربية ، عاما بعد عام ، وليس ثمة من بادرة تبشر بحل القضية حلا عادلا ، ومن الطبيعي أن يزداد الاهتمام بالمقاومة الفلسطينية ، على اعتبار أنها الجهة التي لم تتوقف عن السعي على طريق التحرير ، وان كانت خطواتها تصطدم بكثير من العقبات التي تعرقل السير وتؤخر من ثم بلوغ الغاية المنشودة .

---

(١) مجلة البيان أيار ١٩٦٨
(٢) مجلة البيان نيسان ١٩٦٩

الفصل الخامس

خصائص فنية عامة

* خصائص فنية عامة *

يتبين من نماذج الشعر التي استشهدنا بها في الفصول السابقة أن أهميتها تكمن في قيمتها التاريخية ، وذلك من جهة معالجتها كثيرا من الأحداث القومية في فترة مبكرة ، أما قيمتها الفنية فهي في الغالب متدنية .

وغني عن البيان أن وظيفة الشعر لا تنحصر في نقل الأحداث وتسجيلها تسجيلا أمينا ، أو تصويرها تصويرا فوتوغرافيا دقيقا ، فتلك مهمة تنهض بها الصحافة عادة ، على حين ينبغي للتجربة الفنية أن تكون « تجربة نفسية للعقل عمل فيها ، ولكن بشرط أن لا يخرجها من عالمها عالم الرؤى والأحلام والصور الطريفة ولعله من أجل ذلك كان الخيال عنصرا مهما في التجربة الشعرية »[1] .

وهذا ما لم يتنبه له كثير من الشعراء الكويتيين ، أو لعلهم لم يملكوا سبل ادراكه ، وخاصة في المراحل المتقدمة ، لذا جاءت آثارهم بعيدة عن روح الشعر وعوالمه . فالقصيدة عندهم شذرات من المشاهد المشتتة ، التي تفتقر الى ما يسلك جزئياتها في نظم متسق ، يوشيه الخيال بحلل من المجازات والاستعارات التي تميّز العمل الفني ، كما ترشد الى معرفة التباين بين أساليبه .

وعلى الرغم من سمو وشرف الموضوعات التي تناولها الشعر القومي فقد كانت المعالجة فاترة ، تفتقر الى الاثارة ، وتقصّر عن الارتقاء الى مرتبة الحدث أو القضية ، ويجدر التمثيل ببعض الشواهد لتوكيد هذا الرأى .

فالشاعر محمود الأيوبي – على سبيل المثال – يتطرق لقضية الاستشهاد في سبيل الوطن ، وهي من أهم القضايا ، وأكثرها خصوبة وقدرة على تفجير الأحاسيس ، وحين نبحث عن موقفه منها ، ونحاول تلمس وسائله الفنية في تناولها ، أو نفتش عن الاضافة التي أتى بها فسوف نتبين أنه لم يجاوز النقل الجامد للحدث .

يقول من قصيدة له عن استشهاد ثلاثة من المناضلين الفلسطينيين في أعقاب حادث البراق سنة ١٩٢٩ :

« فؤاد » شهيد الحق أسرى مُهللا ... وخلّفَ ذكرى وهو كالطفل طاهرُ

---

(١) الدكتور شوقي ضيف – في النقد الأدبي – ص ١٤٩

وسار « خليل » للفراديس مشرقا　　　نقي المحيا وهو كالورد عاطر
و«أحمد»لم يحفل مشى للردى ولم　　　يشنه ظلام السجن والوجه ناضر

وهو يوجه اهتمامه الأول الى تسجيل أسماء الشهداء ، الثلاثة : فؤاد وخليل وأحمد . ثم يخبرنا أنهم تقدموا الى ساحة الاعدام ، وهذه معلومات نعرفها من وكالات الأنباء ، ولربما كان في غنى عن أن يعيد سردها بتلك الطريقة الجافة .

ولا يغير من الأمر قوله : « فؤاد أسرى » و « خليل سار » و « أحمد مشى » ، فهذه الكلمات الثلاث تعطي معنى واحدا .

ومن مظاهر ضعف المعنى والنظم اضطراره الى القول أن الأول أسرى وهو « كالطفل طاهر » . والثاني سار وهو « كالورد عاطر » . والثالث مشى و « الوجه ناضر » . وهي معان فجّة لا تليق بمكانة الشهداء ، أما بقية الفاظ الأبيات فلا تعدو أن تكون حشوا استعان به الشاعر للوصول الى القافية المنهكة .

وبعد أن أبلغنا بأن هؤلاء الشهداء هتفوا لبيك موطني ، وأنهم ضحايا الانجليز ، اتجه الى التهديد والوعيد بالثأر ، أي أنه لم يضف الى الأبيات السابقة شيئا جديدا عن الشهداء ، أو عن الاستشهاد في سبيل الوطن بصفة عامة .

ولعل من بين النماذج التي استعنّا بها في هذا البحث ما لا يفضل من حيث القيمة الفنية ، قصيدة الأيوبي في شهداء فلسطين .

ويجدر التنبيه الى أننا تجنبنا الاستشهاد بكثير من القصائد القومية لفرط رداءة معانيها ، أو لبعدها عن روح الشعر ، ومن أمثلتها قصيدة محمد أحمد المشارى « نحو المجد » التي استهلها بقوله :

قم فتى العرب الى المجـ　　　ـد الى سفك الدماء

ويبدو أن سفك الدماء مرادف للمجد في نظره ، أو أنه – في أحسن الأحوال – الوسيلة الموصلة اليه ، ولعل الشاعر قصد الدعوة الى التضحية والاستشهاد ، ولكنه عبّر عن ذلك بعبارة « سفك الدماء » التي توحي بالعدوان .

ثم مضى يعدد سبل بلوغ المجد فقال :

ليس بالأقوال يا ابن الـ　　　ـعرب يأتيك العزاء
ليس بالصيحات عزّ　　　أو هناء أو صفاء

انما بالفعل لا بال ... قول نبقى سعداء
ذاك ماض فاستعده ... فهو خير ورجاء
كيف لا ترحم شعبا ... في جحيم وشقاء
كيف ترضى بحياة ... كل ما فيها بكاء[1]

وهو يؤكد في هذه الأبيات أن الأفعال أجدى من الأقوال . وتلك بديهية ساذجة ، كما أن التعبير عنها جاء بصيغ نثرية رديئة مكررة ، لا يكاد المرء يحس أنه يقرأ من خلالها شعرا ، وهذه المعاني على ضحالتها مفككة لا تربطها وحدة نفسية ، ولا يجمع شتاتها سوى حبل القافية الرث .

وبعد أن تحدث عن الأفعال في ثلاثة أبيات قال : « ذاك ماض فاستعده » ، ولعله أراد أن يخبرنا بأن الأفعال هي من مآثر السلف ، فيجدر أن نقتفي آثارهم ، ويتبين من هذا القول مدى ضعف الفكرة وركاكة الاداء .

ثم انتقل الشاعر فجأة الى القول : «كيف لا ترحم شعبا في جحيم وشقاء» ويبدو أنه يقصد شعب فلسطين ، الذى دعانا الى نصرته بدافع الشفقة والرحمة ، وليس على أساس الدفاع عن أنفسنا وحقوقنا المغتصبة ، ومن بعد تساءل :

« كيف ترضى بحياة ... كل ما فيها بكاء »

ولنتأمل كلمة « بكاء » التي فرضتها القافية فزادت القصيدة تداعيا وسقوطا .

وثمة قصيدة لخالد الفرج بعنوان « الأمر الواقع » تطرّق فيها لاعتراف امريكا الفورى باسرائيل ، وعدد مثالب امريكا ومواقفها المعادية لحرية الشعوب ، قال في مطلع قصيدته تلك :

ودولة تدّعي الحرية اعترفت ... بواقع الأمر فورا في فلسطين

وقوله : « اعترفت بواقع الأمر فورا » لا يبتعد كثيرا عن لغة الصحافة التي هي شيء مغاير للغة الشعر .

ويبدو أن الشاعر مهتم بتسجيل الحقيقة كما هي ، دون أن يضفي عليها مسحة من الفن ، تخرج بها من اطار التقرير النثرى الى أجواء الشعر وعوالمه الفسيحة .

---

(١) البعثة – تشرين الثاني وكانون الأول ١٩٥٣ – ويجدر التنبيه الى أن هذه القصيدة تُعدُّ من بدايات نظم الشاعر .

ولعل شغفه بتصيّد المناسبات ، وحرصه على اجراء المقابلات والمجادلات العقلية من بين الأسباب التي دفعته الى القول :

هل بين « شنك كاى شك » أو مطارده « تونك » كما بين « محمود » و « كوهين »[1]

فهو يريد أن يعقد مقارنة بين الصين الشعبية ممثلة بزعيمها « تونك » أى : « ماوتسى تونغ » والصين الوطنية ممثلة برئيسها « شنك كاى شك » من جهة ، وبين العرب ، الذين رمز لهم باسم « محمود » واليهود الذين وضع اسم « كوهين » رمزا لهم من جهة اخرى ، ولكنه لم يوفق الى توصيل قصده من اجراء تلك المقارنة بصورة مقبولة .

ومن الواضح أن هذا البيت لا يمت للشعر بصلة ، حيث أثقلته الأسماء التي حشدت بكثير من التعسف ، وأبعدت عنه بريق الشعر ورونقه وظلاله ، يضاف الى ذلك أن المعنى جاء في غاية الضعف والتكلف .

وسوف نمثل في ما يلي للملاحظات التي تتصل بالشعر القومي ، سواء من جهة المضمون أو الشكل .

(١)

المضمون

اتخذ التعبير عن القضايا القومية صورا متعددة ، فمن الشعراء من اكتفى بلوم المستعمرين ، ورأى أنهم سبب البلاء،ومنهم من تجاوز هذا الحد الى التهجم على بعض المسؤولين العرب ، الذين لولا تقاعسهم وتواطؤهم مع المستعمر لما تمكن من تحقيق أغراضه . وثمة من أنحى باللائمة على الشعب العربي ، متهما اياه بالخنوع والاستسلام ، وفي مقابل هؤلاء أشاد فريق آخر بالقدرات والطاقات العربية .

وتفاوتت الأساليب بين الالحاح المستمر ، والاكتفاء بالتنبيه ، ولعلنا نلمس في كلمة عبد الله أحمد حسين عن الدعوة للجهاد ما يؤكد الاصرار :

فالجهاد الجهاد بُح لنا الصو ت وكلٌّ في مهمه الغى سادرْ

(١) ديوانه ص ٢٢٦

ومثلـه قـول خالـد الفـرج في الدعـوة الى الاتحـاد :

الاتحاد الاتحاد قول نكرره مُعادْ

وهـذا الاصـرار يكشف احساس الشعراء بالغضب والضجـر لان صيحاتهـم لا تلاقـي آذانـا مصغيـة .

وكـان لتوتر المشاعـر وشدة الانفعـال لدى بعضهـم آثـار سلبية ، خرجت بهم عن قصدهـم النبيـل ، وأوقعتهـم في مبالغات مذمومـة ، دفعتهـم الى مجانبـة الحقيقة والاسراف في التجنّـي عـلى قومهـم .

ومـن شواهـد ذلك قول عبد اللـه سنان في أعقاب نكبـة ١٩٤٨ :

اذا لطَمتنا يد الجائرين وضعنا على رأسنا مَنْ لَطَمْ
ونشرب نخب انتصار العدا علينا ونقبل ركل القدم

وخلط نفـر من الشعراء بين بعض المفاهـيم مثل العروبـة والاسلام ، فاذا الشاعـر يخاطب قومـه العـرب – في بعض الأحيان – عـلى أنهـم أمـة الاسلام ، كقول ناصـر الغـانـم :

فيا أُمَّة الاسلام هذى جموعكم ألمّ بها خطب عظيم مزعزع
اذا أصبحت الفَيتها في تفرق وان هي أمست فالضغائن تصرع

وربمـا تفرّد الشيـخ عبد اللـه النورى في مرحلـة معينـة بالتهجم على الدعـوة القومية الـتي عـدّهـا سببا في تفرق قومـه المسلمين :

قوميّة رعناء شتت شملنا فيها فصرنا طعمة لعدونا
فالعرب وحدهم وفارس وحدها والهند قوم ما هم من جنسنا

ويبدو أن الشيـخ النورى ، وهـو من رجـال الدين ، لا يتنكـر لقومـه العـرب ولكنـه يعـبر عن اليأس من امكان نجـاح الدعـوة القوميـة ، ويرى أن الرابطـة الدينية يمكـن أن تكون البديـل المناسب ، وان هـو أساء التعبـير عن قصـده في قولـه « والهنـد قوم مـا هـم من جنسنا » ، اذ الحقيقة أنهـم ليسوا مـن جنسنا .

ولعـل صقـر الشبيب يمثـل الفريق الآخـر الغالب من المتدينين ، الذيـن لا يرون الرابطـة الدينيـة بديـلا للقومية ، ويتجـلى ذلك في المقارنة الـتي أجراهـا بين مسؤولية

العرب من جهة والمسلمين من جهة اخرى تجاه قضية فلسطين :

فليس العجم تعذل إن تراخت بنجدتها ولا تلحى الهنود
فإنْ مَتّوا بدينهمُ الينا ونعم الرابط الدين الفريد
ففيما بيننا لغة ودين وفيما بيننا النسب الأكيد

وتجدر الاشارة الى أن آراء صقر الشبيب تلك تعود الى عام ١٩٣٧ ، على حين تعود آراء عبد الله النورى الى عام ١٩٥٥ ، الأمر الذى يكشف نضوج الوعي القومي عند صقر منذ فترة مبكرة .

أما الوحدة والاتحاد فكلمتان كانتا تردان لدى الشعراء ويقصد بهما معنى واحد ، هو التضامن وتكتيل الجهود ، والانضواء تحت ارادة موحدة ، ولم يكن الشعراء يميزون في أغلب الأحيان بين المعنى الاصطلاحي لكل من الكلمتين ، لذا نجد الشاعر يدعو الى الوحدة حينا والى الاتحاد في أحيان اخرى .

أما مقومات الوحدة بين العرب فقد تكون متباينة عندهم ، ولكنها لا تخرج في الغالب عن اللغة والأصل والتاريخ ، بالاضافة الى الدين الذى كان يرد على السنتهم كثيرا ، وخاصة في المراحل المتقدمة .

وهذا الاختلاف الطفيف لم يكن ناجما عن تباين في الاتجاهات والأفكار ، بقدر ما هو ترجمة للمشاعر العفوية التي تدفع الشاعر الى تقديم أحد العوامل وتأخير غيره ، تأثرا بلحظة الانفعال التي ترافق ميلاد القصيدة ، وربما كان لمتطلبات النظم من وزن وقافية تأثير مباشر في تقديم لفظ على سواه في بعض الأحايين ، ولعل محمد أحمد المشارى خير من أجمل مقومات الوحدة في قوله :

فنحن شعب دماء العرب تجمعه والضاد والأصل والاحساس والنسب

ومما يلاحظ اهتمام الشعر بالأفراد ، واغفاله ما للعمل الجماعي من أهمية ، وتبلغ العناية بالأفراد ذروتها عند تمجيد القادة ، الذين ينسب لهم كل الفضل في أية خطوة ايجابية ، وكأنهم يقتطفون ثمار النصر من شجرة مقطوعة الجذور ، منبتة الصلة بالتربة التي عليها نشأت ومنها استمدت غذاءها وقوتها .

وربما كانت معظم هذه المبالغات بدافع الاعجاب . ولكن الذى يعنينا

أنهـا تكشف في الوقت ذاتـه تقصير الوعـي عن ادراك ما للجماعـة من أثـر في صنع المكاسب ، وفي تهيئـة الظروف الملائمـة لظهور الفـرد المميـز ، إن كانت ثمـة أهمية لظهـوره .

ومن أمثلـة المبالغات الـتي جاءت بدافـع الاعجـاب قول أحمـد السقاف عـن الرئيس محمـد نجيـب :

فلو لم تكن أنت معنى الخلاص لجاءت مفاهيمه قاصره
ولو لم تكن أنت معنى الكفاح لظلّت مكانته شاغره

(٢)

الشكل

اتخـذ الشعر القـومي في الغالب اسلوب العرض المباشر للأحـداث ، وتصوير ردود الفعـل الملتصقـة بهـا ، وكان هذا العـرض يقـترب من الأساليب النـثريـة أحيانـا ، نتيجـة اللجـوء الى الـتركيب والتوليد العقـلي للمعانـي .

ومـرت حقبـة من الـزمن قبـل أن تبتعـد القصيـدة عن الالتصاق بالأحداث ، وتنأى عـن العرض المباشر الجـاف للوقائـع ، ويعـد أحمـد العدوانـي من أوائـل الذيـن خرجـوا بالقصيـدة السياسية عن سننها المألوفة ، وكـان ذلك في أواخـر العقد الخامس من هذا القـرن ، ولعلنـا نلمس التطـور الذي خلّص القصيدة من أسر المناسبة في مثـل قولـه من قصيدة نشرت في عـام ١٩٤٩ :

دعوا أهواءكم وارعوا شياها أسأتم رعيها بين المرابي
حبيتم دونها خضر المراعي فراحت ترتعي شوك اليباب
وأغلقتم مشارعها عليها فهامت تستقي لمع السراب
ألم تنتج لكم لبناً وسمناً ألم تمنحْكُمُ أزهى شباب
ألم تتحفْكُمُ لحماً وشحما ألم تبلغكم نجح الرغاب
اتسقيكم وتطعمكم هنيئاً وتلقى عندكم سبعان غاب

وهـذا القـول لا يحفـل بواقعة معينـة ، ولا يستهدف راعيـاً بذاتـه ، الأمـر الذى

أتاح لأحاسيس الشاعر أن تتدفق برخاء ويسر ، دون أن يشوبها جفاف السرد النثرى أو تحول دون انسيابها الوقائع والأسماء .

ومن بعد اتسع تيار التجديد ، وتطورت الصيغ التعبيرية ، وأصبحت الرؤية أكثر عمقا . الأمر الذى نلمسه عند العدواني نفسه في آثاره الجديدة . وكذلك عند نفر من الشعراء الشباب ، ومع هذا فان جمهرة كبيرة من الشعراء بعيدة عن التأثر بتيارات التجديد .

وثمة من انتهج الشكل الجديد في النظم « الشعر الحر » ، ولكن يلاحظ أن معظم النماذج التي تنتمي الى هذا الشكل لم تسلم من الهنات ، مما يدل على أن الشعراء لم يتمثلوا بعد تلك التجربة الجديدة بالقدر الذى يجنبهم المزالق ، ويبتعد بهم عن الوقوع في أسر التقليد ومسايرة الموجة .

وعلى الرغم من عناية الشعراء عامة باللغة ، فان ذلك لم يحل دون وقوع نفر منهم في بعض الهفوات اللغوية والنحوية ، أو لجوئهم الى استعمال الصيغ الركيكة ، وسوف نورد في ما يلي بعض الشواهد ، فمن أمثلة الاخطاء اللغوية قول عبد اللطيف النصف في وصف حال الكويت وما تعاني من جمود المتعصبين :

لعبت به العِمّات أشنع لعبة ... فشقي بها وشقت به عمّاته

فقوله « شقت » صوابه « شقيت » ويلاحظ أنه اضطر الى تسكين ياء « شقي » لكى يستقيم الوزن .

وربما كان هذا المثال الهفوة الوحيدة في كل ما وصلنا من شعر عبد اللطيف النصف الذى عرف بمتانة نظمه وسلامة لغته .

ومن أمثلة الأخطاء النحوية قول محمد أحمد المشارى من قصيدة مطلعها :

سر نحو بغداد نبع المجد بغدانُ ... يلقاك بالرحب أحباب وخلاّنُ

. . . . . .

فالنسر لو كان مفتوت الجناح جثا ... ووحدة العرب للعرب الجناحان

. . . . . .

بني العروبة في بغداد إن بكم ... ويشهد الله اصرار وايمان

وقوله « الجناحانُ » بضم النون خطأ صوابه « الجناحانِ » بكسرها ، لأن نون

المثنى مكسورة أبـدا ، ويبـدو أن الشاعـر جعل « الجناحـانِ » كلمة مفردة ، فأدخـل عليهـا حركـة اعراب المفرد .

وقولـه « إصرارٌ وإيمـانُ » بالرفـع خطأ صوابـه « إصرارا وإيمـانـا » بالنصب ، لأن « اصرارا » اسم إن و « إيمـانـا » معطوفة عليهـا .

ومـن شواهـد الصيغ الركيكـة قول أحمد السقاف في الدعوة للجهـاد :

بارك الله في الجهاد ولا عا … شت نفوس تعيش عيش البهائم

وهـذه الركـاكة جاءت نتيجـة التكرار في قولـه « عاشت تعيش عيش »

وللشاعـر عبد اللـه سنان في تصويـر فداحـة نكسة الانفصال قولـه :

فليست نكسة نكراء أو نكـ … ـبة عظمى على حد المثال

ونتوقع حينئذ أن نسمع منه تسمية تفوق كلمتي نكسة ونكبة بشاعة ولكنه يفجؤنـا بقوله « ولكنْ ردة . . . »

والردة أخف وطأة من النكبة العظمى عادة ، ولا يرتفع بها الى مرتبة النكبة وصفها بأنها زلزلت شم الجبال ، ثم أن قوله « على حد المثال » يعدّ تعبيرا بعيدا عن روح الشعر .

وله من قصيدة في وصف حال اللاجئين الفلسطينيين :

وباتوا في العرا بلا وقاء … يقيهم في العراء قرّا وبردا

والمعروف أن « القرّ » هو البرد ، وكان حقه أن يقول « تقيهم في العرا حرّا وبردا » لتصح المقابلة – ان كان راغبا فيها – وليضيف جديدا للمعنى .

ومن ذلك أيضا قول عبد الله النوري عن الايطاليين وأعمالهم الوحشية في ليبيا :

زلزال ظلمكم والله انّ له … نارا تفجّر فيما بعد بركانا

وقوله عن العروبة :

الحزن قرّح بالبكا أجفانها … وأزال نضرتها وأسقط شانها
لبست حزينةً السواد وأسبلت … دمعا يجدّد دائما أحزانها

فكلمة « فيما بعد» في المثال الأول بعيدة عن الصياغة الشعرية ، وهي أقرب الى لغـة المـراسـلات الرسميـة ، ومثلها في المثـال الثاني كلمـة « دائما » .

وفي المثال الثاني نلمس أيضا ضعف المعنى في تشبيه العروبة بالكائن الذي يبكي وقـد

قـرّحت أجفـانه من فـرط الحـزن والبـكاء كما زالت نضرتـه وتـداعى شأنه .

ويؤكد الشاعـر المعنى مـرة ثانية في قـوله أن العروبة لبست السـواد عـلامـة للحـزن وأسبلت الـدمع ، وأن الـدمع يجـدد أحزانها .

وهـذه المعـاني كما يبـدو غاية في الضعف ، ويضاف الى ذلك أنه جعل الدمـع سببا في تجـدد الحزن ، وكان حقه أن يجعل الحـزن دافعا الى البـكاء ، كما يـلاحظ أن كلمة « حزينة » في البيت الثاني قلقة غير مستقرة في مـوضعها .

وتأتي الصياغة ركيكة ، والأوزان مضطربة في بعض الأحيان نتيجة التعسف في اقحام الأسماء وبخاصة الأجنبية منها ، وربما لجأ الشاعـر الى التـصرف في تلك الأسماء وتحريفها ، ان لزم الأمر حتى يستقيم الوزن ، ويبـدو ذلك جليـا لـدى محمود الأيوبي الذي أسرف في حشر الأسماء وفي تحريفها ، حتى أوشكت آثاره أن تـكون نثرا رديئا .

فمن قـوله في قضيـة فلسطـين :

« فبنتيوس » و « صمويل » وأولهم « بلفور » كلّهم للجور أوثان

فالبيت لا يحتمـل مجيء هذه الأسماء الثـلاثة متتالية ، كما أن اسم صوئيل وهـو « هربرت صموئيل » لا يتفق مـع الـوزن ، لذا نجد الشاعر يتصرف فيه ويحذف الهمزة ويجعله « صمويل » ولسنا نظن أنه أراد الاتيان بالاسم بصيغته الأجنبية .

ويقـول في مـوضع آخـر :

هذا اللهيب الذي أورت شرارته لم يطفه «المانش» و«التاميز» و«النهر»

ويـلاحـظ أنه أتى بثـلاثة أسماء في البيت هي « المانش » و « التاميز » و « النهر » ولجأ الى تحريف التيمز ليصبح « التّاميز » ، كما اضطـر الى وضـع هامش يبين المقصود « بالنهر » ويتبين من الهامش أنه قصد نهر السين في فرنسا .

وللأيوبي أمثلة كثيرة مشابهة مثل تحريفه « طَبَرِيَّة » لتصبح « طَبَرْيَة » ، وتل أبيب لتصبح التل في قوله :

قف من « طَبَرْيَةَ » واقتحم أسوارها متحفزا « للتل » يوم لقاء

ومثل تحريفه مدغشقر لتصبح « دغشقر » وديغـول ليكون « دويغيل » ونحسب أن دواعي النظم في هذا الموضع الجأته الى الاتيان بصيغـة التصغير الذي لم يكن مقصودا لذاته .

ويشارك خالد الفرج الأيوبي شغفه بالأسماء ، وتصرفه في تحريفها وان فعل ذلك على نطاق أضيق .

يقول في السخرية من قومه :

« كالدَّوْنِ كَيْشُوتٍ » وطاحوناته يغشى الوغى ويجندل الأبطالا

فالقصيدة من بحر الكامل ، ولكن اسم « دون كيشوت » لا يلائم التفعيلة ولا يستقيم معه الوزن ، الأمر الذي دفع الشاعر الى اجراء شيء من التحريف ، حين لجأ الى كسر نون « الدونِ » وتنوين التاء في « كيشوت » .

تعليق

مع اطلالة العقد الثالث من هذا القرن تفتحت في الكويت مواهب كثير من الشعــراء الذين انتقلوا بالشعر الى ممارسة دور أكثر ايجابية في مواكبة الأحـداث المحلية والعربية .

ويعد عبد اللطيف النصف من أوائل الشعراء الكويتيين الذين تعرضوا للقضايا العربية وذلك من خـلال قصـيدته الـتي حيّـا فيهـا المجاهد المغربي عبد الكريم الخطـابي في فترة تقـع بـين عامي ١٩٢١ و ١٩٢٦ ، والقصيدة ذات قيمـة تاريخيـة كبيرة ، لكونها تكشف مدى التفاعل مع أحـداث الـوطن العربي في أقصي بقاعه ، خلال فترة مبـكرة تعود الى أوائل العقد الثالث من هـذا القـرن .

ومن المعلوم أن الشاعـر النصف لم يكتسب من الشهرة ما يليـق بمنزلته ، على الرغم من جودة ما وصلنا من آثاره ، وذلك بسبب انقطاعه عن النظم أو عن النشر منذ زمن بعيد.

وكان خالد الفرج أوفر عطـاء وأكـثر ايجابية ، ويبـدو أن لطبيعة حيـاته تأثـيرا مباشرا في توجيه اهتماماته ؛ فقد تسنّى له أن يرتحل عن بلدته الصغيرة ، البعيدة عن معترك الصخب والصراع ، ويتصل بالكثيرين من رجالات الدولة في الجزيرة العربية وشـواطيء الخليج ، ويتعرف على قادة الرأي وأرباب الكلمة في كثير من الأقطار العربية ، ويشهد تجربة الاستعمار البريطـاني في الهنـد خـلال اقامته هناك ، لذا جـاء ديوانه حـافـلا بتسجيل الأحداث الـتي عـاصرها وهزّت مشاعره ، وكانت قضية فلسطـين همـه الأكـبر منذ فـترة مبكرة تعـود الى عام ١٩٢٩ .

ويجدر التنبيه الى أن خالد الفرج كان من أوائـل الشعـراء العرب الذين تناولوا القضية الفلسطينية في تلك الفـترة المبـكرة ، فضلا عن اهتمامـه الكبـير بقضايا التحـرر والـوحدة بصـفة عــامة .

وعاش محمود الأيوبي ظروفا مقـاربة لظـروف خـالد الفـرج ، حيث قـضى شطرا من حيـاته متنقلا ما بـين العراق وسـوريا وفلسطـين ولبنـان ومـصر وايـران ، حتى انتهى به المطـاف الى أندونيسيـا التي استقـر فيهـا حينا من الـزمن ، وأفاد الأيوبي من ترحاله وطـوافه بتلك الآفـاق ، وتعرفه على أنماط متباينة من ضروب الحيـاة فانعكست تجاربه على شعره الذي جـاء حافـلا بتسجيل الأحـداث .

وكان للقضايا العربية عامة ، ولقضية فلسطين بصفة خاصة جانب كبير من اهتمامه ويعد لذلك من أوائل الذين عالجوا قضية فلسطين ، من خلال تطرقه لحادث البراق في سنة ١٩٢٩ .

ويلاحظ أن الأيوبي يتكلف في رصد الأحداث والمناسبات ، حتى توشك قصائده أن تكون نظما سطحيا جافا تثقله أسماء المدن والأشخاص والحوادث التي تقحم في كثير من الأحيان بصورة متكلفة .

ويكاد خالد الفرج يقع – في بعض قصائده القومية والسياسية – في ما وقع فيه الأيوبي وان كان أجود منه وأكثر وعيا وأعمق ثقافة .

ويعد صقر الشبيب من رواد الشعر القومي ، وان كان الأيوبي سبقه في تناول أحداث عام ١٩٢٩ في فلسطين ، كما سبقه عبد الله النوري في قصيدتيه عن طرابلس الغرب اللتين نشرتا في عامي ١٩٣١ و ١٩٣٢ ، وهو أجود منهما شاعرية وأدق حسا ، وأعمق وعيا ، وأكثر جرأة في التصريح بما يحس .

وعاش صقر وضعا مغايرا لوضع زميليه الفرج والأيوبي ، حيث فرضت عليه العاهة[1] ، جوا من العزلة والانطواء والتشاؤم ، ولكن تلك الظروف لم تحل بينه وبين التفاعل مع قضايا الوطن العربي ، وبخاصة قضية فلسطين خلال ثورة ١٩٣٦ .

وكان فهد العسكر من بين الذين عالجوا قضية فلسطين في فترة مبكرة ، وكان ذلك من خلال استقباله بعثة المدرسين الفلسطينيين الذين قدموا الى الكويت في عام ١٩٣٦ ، ولكن دوره بقي خافتا ، اذ أنه آثر العزلة والابتعاد عما يحيط به ، والاكتفاء بترديد الشكوى والتعبير عن برمه بالحياة .

ومن بعد طرأت عوامل جديدة دفعت بالشعر الى تأدية دور أكثر أهمية على صعيد القضية العربية . ومنذ نهاية الحرب العالمية الثانية برز عدد من الشعراء منهم :

أحمد العدواني ، عبد المحسن الرشيد ، عبد الله زكريا الأنصاري ، عبد الله سنان محمد ، عبد الله أحمد حسين ، أحمد السقاف ، فاضل خلف وغيرهم .

وساهمت هذه الطائفة من الشعراء في توجيه الاهتمام الأكبر نحو القضية العربية .

---

(١) أصيب في بصره وهو في السابعة أو التاسعة من عمره .

وثمة من يذهب الى أن العدواني كان قليل التفاعل مع الأحداث القومية ويرى أحدهم أن « الشاعر يعيش في مجتمع عربي اسلامي ، ولكن قرّاءه لا يرون شعره في العـــروبـــة والاســلام »[1]

ونرى في هذا الصدد أن للعدواني أسلوبه المميز وأدواته الفنية المتطـورة في تنـاول موضوعاته ، فهو لا يعنى بتسجيل الأحداث أو التعليق على المناسبات ، وهذا موقـف فني ، ولكنه ينظر الى ما وراء تلك الأحداث والمناسبات نظرة شاملة ، لا تحفل بالجزئيات ، ثم يعمد الى تأدية تصوراته من خـلال الرمز الذي يتخذ صورا متعددة لديه ، وهو يسجل بذلك الاتجاه تطورا ملحوظا في الشعر الكويتي ، كان له فضل شق مجـراه . ويبدو أن العدواني متأثر بالمهجريين وبالمنحى الرومانسي المغلّف بغلالة رمـزية شفافة لـدى بعض شعراء جماعة أبولو . وحاول محمد أحمد المشاري اقتفاء آثاره ، وانتهاج بعض وسائله الفنيّة ، وبخاصة الحكاية الرمزية التي استعان بها لتوصيل تصوراته ، ولكن محاولاتـه بقيت تفتقر الى العمق .

وفي الكويت اليوم – بالاضافة الى من ذكرنا – طائفة من الشعراء الشباب ، الــذين يحاولون مواصلة حمل الرسالة التي نهض بها أسلافهم من قبل ، وذلك من خـلال التعبير عن رفضهم للواقع السيئ ، وتطلعهم الى النهوض والتحرر من كل أشكال التسلط والتخلف . وقد أفاد هؤلاء الشعراء إفادة جزئية من تيارات التجديد التي شهدها الشعـر في البيئات المتقدمة ، فجاءت آثار بعضهم تصور ما طرأ على الشعر الكويتي من تطـور نسبي في الصيغ التعبيرية ، ومن توجه الاهتمامات الى معالجة قضايا وهموم الانسان المعاصر . ويمكن أن نمثل لهذه الطائفة بكل من على السبتي ومحمد أحمد المشاري وخالد سعــود الزيد ومحمد الفايز وعبد الله العتيبي وكاتب هذا البحث .

على أن الهزّة الاقتصادية والاجتماعية التي تعرض لها المجتمع الكويتي منذ منتصف القرن العشرين تركت آثارا سلبية خطيرة ، كان من نتائجها تمييع الاهتمامات الجادة ، واجهاض كثير من الطاقات الجيدة ، أو صرفها عن أن تصب في مجرى العطاء الأصيل ، الموجـه لمعالجة قضايا الأمـــة .

---

(١) أحمد الشرباصي – أيام الكويت ص ١٦٣

المصادر والمراجع

١ – د . ابراهيم الوائلي	الشعر السياسي العراقي – في القرن التاسع عشر		بغداد – ١٩٦١
٢ – أحمد الشرباصي	أيام الكويت		القاهرة – ١٩٥٣
٣ – أكرم زعيتر	القضية الفلسطينية		القاهرة – ١٩٥٥
٤ – الان . تايلور	مدخل الى اسرائيل – تعريب شكرى محمود نديم .		بغداد – ١٩٦٥
٥ – د . جميل صليبا	الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام		القاهرة – ١٩٥٨
٦ – د . حسن سليمان محمود	الكويت ماضيها وحاضرها		بغداد – ١٩٦٨
٧ – د . حسن علي الابراهيم	الكويت – دراسة سياسية		بيروت – ١٩٧٢
٨ – حسين خلف الشيخ خزعل	تاريخ الكويت السياسي	جـ١ جـ٥	بيروت – ١٩٦٢ القسم الأول بيروت – ١٩٧٠
٩ – حمد محمد السعيدان	الموسوعة الكويتية المختصرة	جـ١ جـ٢ جـ٣	الكويت – ١٩٧٠ الكويت – ١٩٧١ بيروت – ١٩٧٢
١٠– خالد سعود الزيد	أدباء الكويت في قرنين	ط٢	الكويت – ١٩٦٧
١١– خالد سعود الزيد	خالد الفرج : حياته وآثاره		الكويت – ١٩٦٩
١٢– خالد سليمان العدساني	نصف عام للحكم النيابي في الكويت		بيروت – ١٩٤٧
١٣– خليل مردم بك	أعيان القرن الثالث عشر في الفكر والسياسة والاجتماع .		بيروت – ١٩٧١
١٤– خير الدين الزركلي	فهرس الأعلام		بيروت – ١٩٦٩
١٥– ديكسون . هـ . ر . ب	الكويت وجاراتها		الكويت – ١٩٦٤
١٦– راشد عبد الله الفرحان	مختصر تاريخ الكويت		القاهرة – ١٩٧٠
١٧– ساطع الحصرى	آراء وأحاديث في الوطنية والقومية	ط٤	بيروت – ١٩٦١

١٨– سامي هداوى ، يوسف صايغ – ملف القضية الفلسطينية = سلسلة أبحاث فلسطينية ٧ – بيروت – ١٩٦٨
١٩– سعدى بسيسو – اسرائيل جناية وخيانة – ط٢ – حلب – ١٩٥٦
٢٠– سيف مرزوق الشملان – من تاريخ الكويت – القاهر – ١٩٥٩
٢١– شفيق الرشيدات – فلسطين ، تاريخا وعبرة ومصيرا – ط – بيروت – ١٩٦١
٢٢– د . شوقي ضيف – في النقد الأدبي – ط٢ – القاهرة – ١٩٦٦
٢٣– صابر عبد الرحمن طعيمه – اليهود في موكب التاريخ – القاهرة – ١٩٦٩
٢٤– صالح مسعود بويصير – جهاد شعب فلسطين – ط٣ – بيروت – ١٩٧٠
٢٥– صبحي محمد ياسين – حرب العصابات في فلسطين – القاهرة – . . .
٢٦– د . صلاح العقاد – معالم التغيير في دول الخليج – القاهرة – ١٩٧٢
٢٧– عباس العزاوى – الأدب العربى في العراق – بغداد – ١٩٦٠
٢٨– عبد العزيز حسين – محاضرات عن المجتمع العربى في الكويت – القاهرة – ١٩٦٠
٢٩– عبد العزيز الرشيد – تاريخ الكويت – بيروت – . . . .
٣٠– عبد العزيز محمد المنصور – الكويت وعلاقتها بالبصرة وعربستان – القاهرة – ١٩٧١
٣١– عبد الله الحاتم – من هنا بدأت الكويت – دمشق – . . . .
٣٢– عبد الله زكريا الانصارى – فهد العسكر حياته وشعره – ط٣ – الكويت – ١٩٧٢
٣٣– عبد الله النورى – قصة التعليم في الكويت – القاهرة – . . . .
٣٤– عبد المسيح الانطاكي – الايات الصباح في مدائح الشيخ مبارك باشا بن الصباح – القاهرة – . . . .
٣٥– د . عبد الوهاب الكيالي – تاريخ فلسطين الحديث – بيروت – ١٩٧٠
٣٦– عثمان بن سند البصرى – سبائك العسجد في أخبار أحمد نجل رزق الاسعد . – بمبي – ١٣٨٥ ه

٣٧– عمر دقاق	الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث	ط٢	حلب – ١٩٦٣
٣٨– عواطف خليفه العذبي الصباح	الشعر الكويتي الحديث		الكويت – ١٩٧٣
٣٩– فاضل خلف	دراسات كويتية		الكويت – ١٩٦٩
٤٠– كامل السوافيرى	الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين		القاهرة – ١٩٦٤
٤١– محمد جابر الأنصارى	لمحات من الخليج العربي		البحرين – ١٩٧٠
٤٢– محمد حسين	الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر		القاهرة – ١٩٥٤
٤٣– محمد حسين الصغيّر	فلسطين في الشعر النجفي المعاصر		بيروت – ١٩٦٨
٤٤– محمد خليفه النبهاني	التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية		القاهرة – ١٣٤٢ هـ
٤٥– محمد سعيد المسلم	ساحل الذهب الأسود		بيروت – ١٩٦٢
٤٦– محمود الدرّه	الحرب العراقية البريطانية سنة ١٩٤١		بيروت – ١٩٦٩
٤٧– منيف الرزاز	معالم الحياة العربية الجديدة	ط٤	بيروت – ١٩٦٠
٤٨– هنرى كتن	فلسطين في ضوء الحق والعدل		بيروت – ١٩٧٠
٤٩– يوسف عز الدين	الشعر العراقي : أهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر		بغداد – ١٩٥٨
٥٠– يوسف بن عيسى القناعي	صفحات من تاريخ الكويت	ط٤	الكويت – ١٩٦٨
٥١– يوسف بن عيسى القناعي	الملتقطات		الكويت – . . . .

المجموعات الشعرية

١ – خالد سعود الزيد — صلوات في معبد مهجور — الكويت – ١٩٧٠
٢ – خالد محمد الفرج — ديوان خالد الفرج — دمشق – ١٩٥٤
٣ – صقر الشبيب — ديوان صقر الشبيب — الكويت – ....
٤ – عبد الجليل البصرى — روض الخل والخليل — ط بومباى – ١٣٠٠ هـ
« الطباطبائي »
طبعة حكومة البحرين – ١٩٦٤

طبعة حكومة قطر – ١٣٨٥
ط دمشق – ....
٥ – عبد الله سنان محمد — نفحات الخليج — الكويت – ١٩٦٤
٦ – عبد الله الفرج — ديوان عبد الله الفرج — ط٢ دمشق – ١٩٥٣
٧ – عبد الله محمد النورى — من الكويت — القاهرة – ....
٨ – عبد المحسن محمد الرشيد — أغاني ربيع — بيروت – ....
٩ – علي السبتي — بيت من نجوم الصيف — بيروت – ١٩٦٩
١٠– فاضل خلف — على ضفاف مجرَده — الكويت – ١٩٧٣
١١– محمد الفايز — النور من الداخل — الكويت – ١٩٦٦
١٢– محمود شوقي الأيوبي — الحان الثورة — الكويت – ١٩٦٩
بعض المجموعات الشعرية المخطوطة .

الدوريات

اعداد متفرقة من الدوريات الآتية :

١ – أخبار الكويت
٢ – الارشاد
٣ – الأيمان
٤ – البيان
٥ – البعثة
٦ – دنيا العروبة
٧ – الرائد
٨ – الرأى العام

٩ – الرسالة
١٠– سجل الكويت اليوم ١٩٥٦
١١–السياسة
١٢– الشعب
١٣– الطليعة
١٤– صدى الايمان
١٥– صوت الخليج
١٦– الفجر
١٧– كاظمة
١٨– الكويت
١٩– الكويت والعراقي
٢٠– الهدف
٢١– اليقظة

الفهرس